Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بحار الأنوار

الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار

تأليف

العلم العلامة الحجة فخر الأمة المولى

الشيخ محمد باقر المجلسي

"قدس الله سره"

مؤسسة الوفاء

بيروت. لبنان

Bibliotheca Alexandrina
0129655

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

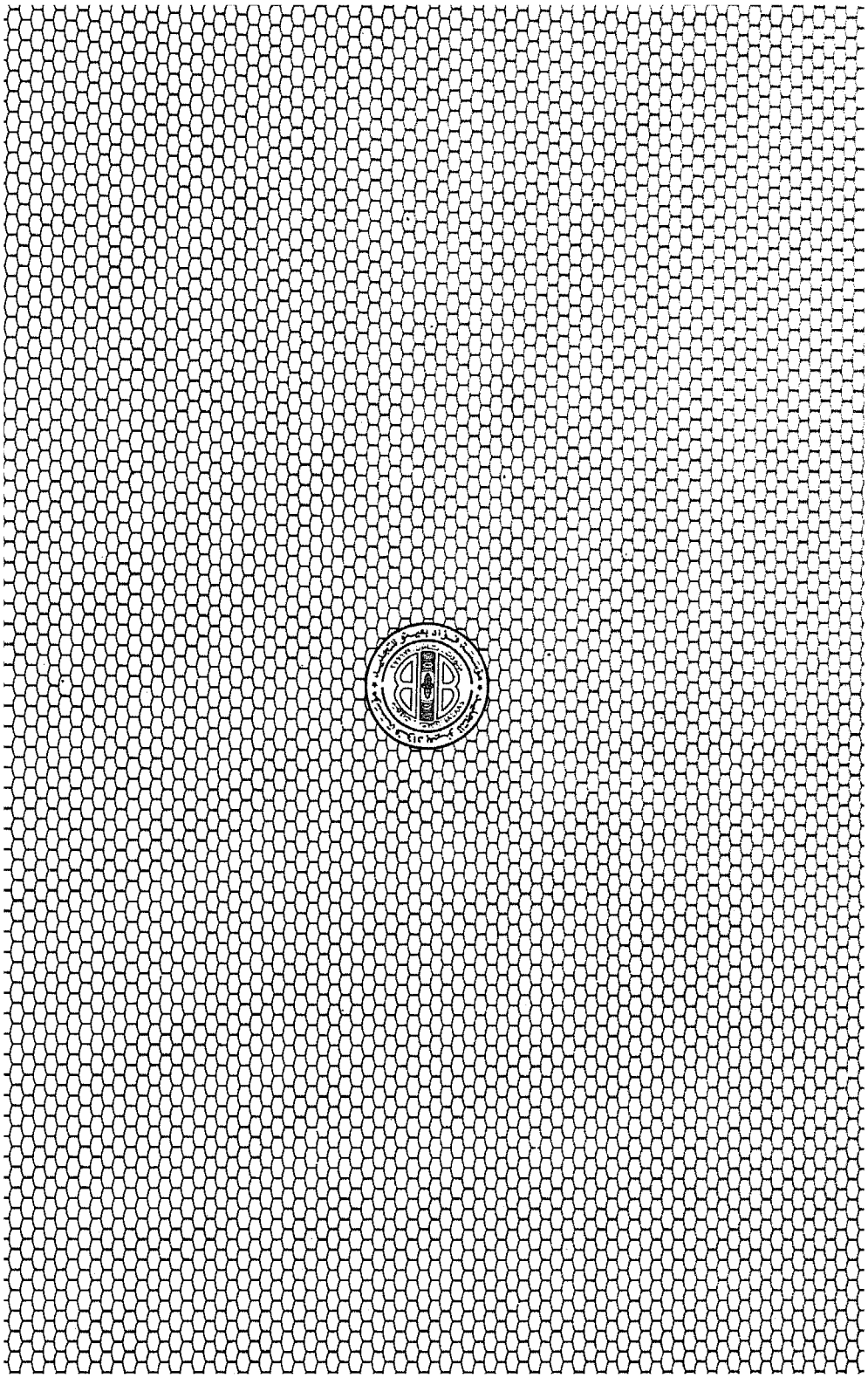

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

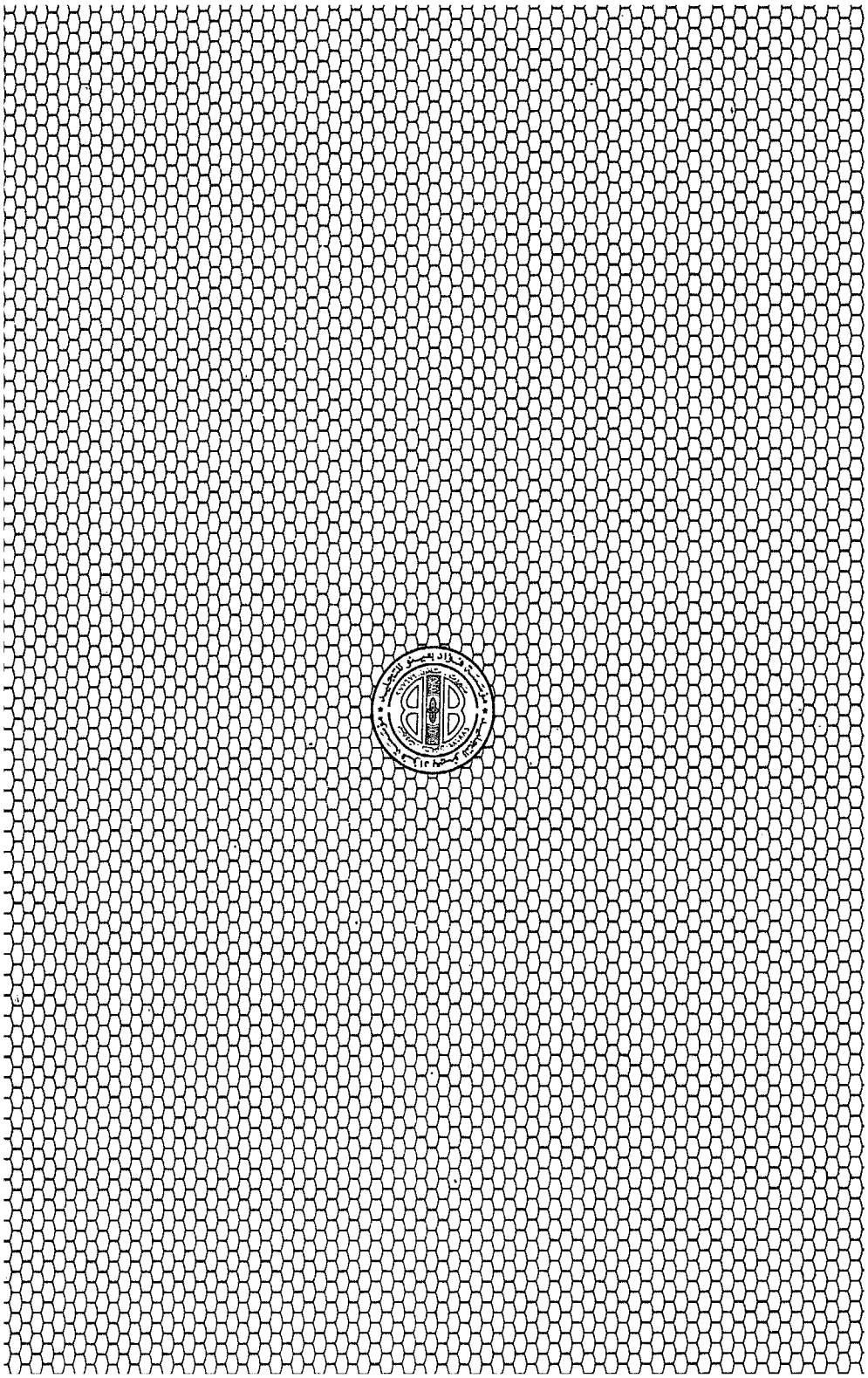

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بحار الأنوار

الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بحار الأنوار

الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار

تأليف

العلم العلامة الحجة فخر الأمة المولى

الشيخ محمد باقر المجلسي

" قدس الله سره "

الجزء الرابع والستون

دار إحياء التراث العربي

بيروت - لبنان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الطبعة الثالثة المصححة
١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

دار احياء التراث العربي
بيروت - لبنان - بناية كليوباترا - شارع دكاش - ص.ب ١١/٧٩٥٧
تلفون المستودع: ٢٧٤٦٩٦-٢٧٣٠٣٢ - ٢٧٨٧٦٦ - المنزل ٨٣٠٧١١ - ٨٣٠٧١٧
برقيا: التراث - تلكس LE/٢٣٦٤٤ تراث

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين وبعد فقد وفّقنا الله تبارك وتعالى لتصحيح هذا الجزء من كتاب بحار الانوار وهو الجزء الرابع والستون حسب تجزئتنا ، قد بذلنا الجهد والمجهود في تصحيحه وتنميقه ومقابلته بالنسخ وبمصادره ، وعلّقنا عليه تعليقا مختصراً تتميماً لما لم يذكره المصنّف من غريب اللغة وغيره ، وتبيانا لما اختلف في مصادره من نصوصه ، وكان المرجع في تصحيحنا مضافاً إلى النسخة المطبوعة المعروفة بطبعة أمين الضرب ، والنسخة المعروفة بطبعة الخونساري نسخة مخطوطة أرسلها الفاضل المحترم السيد جلال الدين الارموي دامت توفيقاته استكتبها أبوالقاسم الرضوي الموسوي الخونساري في سنة ١٢٣٥ ، نشكرالله تعالى على توفيقنا لذلك ونسأله المزيد من توفيقه وإفضاله ، إنّه ذو الفضل العظيم .

عبد الرحيم الرباني الشيرازي

عفى عنه وعن والديه

ربيع الاول ١٣٩٢ ق

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

﴿ أبواب ﴾

✡(الحيوان وأصنافها و أحوالها وأحكامها)✡

١

﴿باب﴾

✡(عموم أحوال الحيوان و أصنافها)✡

الآيات : الأنعام «٦» : و ما من دابّةٍ في الأرض ولا طائرٍ يطير بجناحيه إلاّ اُممٌ أمثالكم ما فرّطنا في الكتاب من شيء ثمّ إلى ربّهم يحشرون ٣٨ .

النحل «١٦» : ولله يسجد ما في السّماوات وما في الأرض من دابّةٍ ٤٩ .

و قال تعالى : ألم يروا إلى الطّيرمسخّراتٍ فيجوّ السّماء ما يمسكهنّ إلاّ الله إنّ في ذلك لآياتٍ لقومٍ يؤمنون ٧٩ .

الأنبياء «٢١» : و سخّرنا مع داود الجبال يسبّحن والطّير و كنّا فاعلين٧٩.

النّور «٢٤» : ألم تر أنّ الله يسبّح له من في السّماوات والأرض والطّير صافّات كلّ قد علم صلاته و تسبيحه والله عليمٌ بما يفعلون ٤١ .

و قال تعالى : والله خلق كلّ دابّةٍ من ماءٍ فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين و منهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء إنّ الله على كلّ شيء قدير ٤٥ .

النمل «٢٧» : و قال يا أيّها الناس علّمنا منطق الطّير و اُوتينا من كلّ شيء إنّ هذا لهو الفضل المبين ✡ و حشر لسليمان جنوده من الجنّ والانس والطّير فهم

يوزعون ✡ حتّى إذا أتوا على وادالنمل قالت نملة يا أيّها النّمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنّكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون ١٦-١٨ .

إلى قوله تعالى : وتفقّد الطّير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين✡ لأعذّبنّه عذاباً شديداً أو لأذبحنّه أو ليأتينّي بسلطانٍ مبينٍ ✡ فمكث غير بعيدٍ فقال أحطتُ بما لم تحط به و جئتك من سباء بنباء يقينٍ ٢٠-٢٢ .

إلى قوله سبحانه : قال : سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين ✡ اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثمّ تولّ عنهم فانظر ما ذا يرجعون ٢٧ و ٢٨ .

العنكبوت «٢٩» : وكأيّن من دابّةٍ لا تحمل رزقها الله يرزقها و إيّاكم وهو السميع العليم ٦٠ .

لقمان «٣١» : و بثّ فيها من كلّ دابّةٍ ١٠ .

ص «٣٨» : والطّير محشورةً كلٌّ له أوّابٌ ١٩ .

الزخرف «٤٣» : والّذي خلق الأزواج كلّها ١٢ .

الجاثية «٤٣» : و في خلقكم و ما يبثّ من دابّةٍ آياتٌ لقومٍ يوقنون ٤ .

الملك «٦٧» : أو لم يروا إلى الطّير فوقهم صافّاتٍ و يقبضن ما يمسكهنّ إلّا الرحمن إنّه بكلّ شيءٍ بصيرٍ ١٩ .

التكوير «٨١» : و إذا الوحوش حشرت ٥ .

الفيل «١٠٥» : ألم تر كيف فعل ربّك بأصحاب الفيل . إلى آخر السّورة .

تفسير: قال الطبرسيّ قدّس سرّه في قوله تعالى : « وما من دابّة في الأرض»: أي ما من حيوان يمشي على وجه الأرض « ولا طائر يطير بجناحيه » جمع بهذين اللفظين جميع الحيوانات لأنّها لا تخلو أن تكون تطير بجناحيه أو تدبّ ، و إنّما قال : « يطير بجناحيه » للتوكيد ورفع اللبس ، لأنّ القائل قد يقول : طر في حاجتي أي اسرع فيها ، أو لأنّ السّمك تطير في الماء ولا جناح لها ، وإنّما خرج السّمك عن الطائر لأنّه من دوابّ البحر ، و إنّما أراد تعالى مافي الأرض و ما في الجوّ[1].

(١) مجمع البيان ٤ : ٢٩٧ .

و أقول : قيل : إنّها تشمل الحيتان أيضا ، إمّا بدخولها في الأوّل لأنّها تدبّ في الماء أو في الثاني ، ولا يخفى بعدهما .

وقال الرازيّ في قوله : « إلّا أمم أمثالكم » : قال الفرّاء : يقال : كلّ صنف من البهائم أمّة ، و جاء في الحديث : « لولا أنّ الكلاب أمّة تسبّح لأمرت [١] بقتلها » فجعل الكلاب أمّة ، إذا ثبت هذا فنقول : الآية دلّت على أنّ هذه الدوابّ والطيور أمثالنا ، و ليس فيها ما يدلّ على أنّ هذه المماثلة في أيّ المعاني حصلت ولا يمكن أن يقال : المراد حصول المماثلة من كلّ الوجوه و إلّا لكان يجب كونها أمثالنا [٢] في الصورة والصفة والخلقة ، و ذلك باطل ، فظهر أنّه لا دلالة في الآية على أنّ تلك المماثلة حصلت في أيّ الأحوال والأمور ، فاختلف النّاس في تفسير الأمر الذي حكم الله فيه بالمماثلة بين البشر و بين الدوّاب والطّيور ، و ذكروا فيه أقوالا :

الأوّل : نقل الواحديّ عن ابن عبّاس : أنّه قال: [يريد يعرفونني ويوحّدونني و يسبّحونني و يحمدونني » و إلى هذا القول ذهبت طائفة عظيمة من المفسّرين و قالوا : إنّ هذه الحيوانات تعرف الله و تحمده وتسبّحه ، و احتجّوا عليه بقوله : « و إن من شيء إلّا يسبّح بحمده »[٣] و بقوله في صفة الحيوانات : «كلّ قد علم صلاته و تسبيحه » [٤] و لأنّه تعالى [٥] خاطب النمل والهدهد .

و عن أبي الدرداء قال : أبهمت عقول البهم عن كلّ شيء إلّا أربعة [٦] أشياء :

---

(١) في المصدر : لو لا ان الكلاب امة من الامم لامرت بقتلها .

(٢) « « : امثالالنا .

(٣) الاسراء : ٤٤ .

(٤) النور : ٤١.

(٥) في المصدر : و بما أنه تعالى .

(٦) « « : الا عن أربعة .

معرفة الاله ، و طلب الرزق ، و معرفة الذكر والانثى ، و تهيّأ كلّ واحد منهما لصاحبه .

وروي عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال : من قتل عصفورا عبثا جاء يوم القيامة يعجّ إلى الله تعالى يقول ؛ يا ربّ إنّ هذا قتلني عبثا لم ينتفع بي و لم يدعني فآكل من حشارة[1] الارض .

الثاني أنّ المراد كونها أمثالكم في كونها اُمما و جماعات ، و في كونها مخلوقة بحيث يشبه بعضها بعضا ويأنس بعضها ببعض و يتوالد بعضها من بعض ، إلّا أنّ للسائل أن يقول : حمل الآية على هذا الوجه لا يفيد فائدة معتبرة ، إذ معلوم لكلّ أحد كونها كذلك .

الثالث : أنّ المراد أنّها أمثالنا في أن دبّرها الله تعالى و خلقها و تكفّل برزقها ، و هذا يقرب من القول الثاني فيما ذكر .

الرابع : أنّ المراد أنّه تعالى كما أحصى في الكتاب كلّ ما يتعلّق بأحوال البشر من العمر والرزق والأجل والسّعادة والشقاوة ، فكذلك أحصى في الكتاب جميع هذه الأحوال في حقّ كلّ الحيوانات ، قالوا : والدليل عليه قوله تعالى : « مافرّطنا في الكتاب من شيء » .

والخامس: أنّه أراد تعالى أنّها أمثالها[2] في أنّها تحشر يوم القيامة وتوصل[3] إليها حقوقها كما روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال : يقتصّ للجمّاء من القرناء .

السّادس : ما رواه الخطّابيّ عن سفيان بن عيينة أنّه لمّا قرأ هذه الآية قال : ما في الأرض آدميّ إلّا و فيه شبه من بعض البهائم ، فمنهم من يقدم إقدام الأسد و منهم من يعدو عدو الذئب ، و منهم من ينبح نباح الكلب ، و منهم من يتطوّس

---

(١) في المصدر : (خشاش الارض) والمعنى واحد و هو حشرات الارض .

(٢) « « : امثالنا .

(٣) « « : يوصل .

كفعل الطاووس ، و منهم من يشبه الخنزير ، فانّه لو ألقي إليه الطعام الطيّب تركه و إذا أقام الرجل عن رجيعه ولغت [١] فيه ، و كذلك نجد من الآدميّين من لوسمع خمسين حكمة لم يحفظ واحدة منها ، فان أخطأت مرّة واحدة حفظها ، ولم يجلس مجلسا إلاّ رواه عنه .

ثمّ قال : فاعلم يا أخي أنّك إنّما تعاشر البهائم والسباع فبالغ في الاحتراز .

ثمّ قال : ذهب القائلون بالتناسخ إلى أنّ الأرواح البشريّة إن كانت سعيدة مطيعة لله موصوفة بالمعارف الحقّة و بالاخلاق الطاهرة فانّها بعد موتها تنقل إلى أبدان الملوك ، فربما قالوا : إنّها تنقل إلى مخالطة عالم الملائكة ، و إن كانت شقية جاهلة عاصية فانها تنقل إلى أبدان الحيوانات ، و كلّما كانت تلك الأرواح أكثر شقاوة و استحقاقا للعذاب نقلت إلى بدن حيوان أخسّ وأكثر تعبا و شقاء واحتجّوا علي صحّة قولهم بهذه الآية فقالوا : صريح هذه الآية يدلّ على أنّه لا دابّة ولاطير إلاّ و هي اُمم أمثالنا ، و لفظ المماثلة يقتضي حصول المساواة في جميع الصفات الذاتية و أمّا الصفات العرضية المفارقة فالمساواة فيها غير معتبرة في حصول المماثلة .

ثمّ إنّ القائلين بهذا القول زادوا عليه و قالوا : قد ثبت بهذا أنّ أرواح جميع الحيوانات عارفة بربّها و عارفة بما تحصل لها من السعادة والشقاوة ، و أنّ الله تعالى أرسل إلى كلّ جنس منها رسولا من جنسها .

و احتجّوا عليه بأنّه ثبت بهذه الآية أنّ الدوابّ والطيور اُمم ، ثمّ إنّه تعالى قال : « و إن من اُمّة إلاّ خلا فيها نذير » [٢] و ذلك تصريح بأنّ لكلّ طائفة من هذه الحيوانات رسولا أرسله الله إليه ، ثمّ أكّدوا ذلك بقصّة الهدهد والنمل و سائر القصص المذكورة في القرآن .

و اعلم أنّ القول بالتناسخ قد أبطلناه بالدلائل الجيّدة في علم الاُصول ، و أمّا

---

(١) في المصدر : ولغ فيه .

(٢) فاطر : ٢٤ .

هذه الآية فقد ذكرنا أنّه يكفي في ضبط حصول المماثلة[١] في بعض الامور المذكورة فلا حاجة إلى إثبات ما ذكره أهل التناسخ [٢] انتهى .

وقال الطبرسيّ رحمه الله : «إلّا اُمم» أي أصناف مصنّفة تعرف بأسمائها يشتمل كلّ صنف على العدد الكثير عن مجاهد « أمثالكم » قيل : يريد أشباهكم في إبداع الله إيّاها و خلقه لها و دلالته على أنّ لها صانعا ، و قيل : إنّما مثّلت الامم من غير الناس بالناس في الحاجة إلى مدبّر يدبّرهم في أغذيتهم و أكلهم و لباسهم و نومهم و يقظتهم و هدايتهم إلى مراشدهم إلى مالا يحصى كثرة من أحوالهم و مصالحهم وانّهم يموتون و يحشرون . و بيّن بهذا أنّه لا يجوز للعباد أن يتعدّوا في ظلم شيء منها فانّ الله خالقها والمنتصف لها .

ثمّ قال في قوله سبحانه : « إلى ربّهم يحشرون » معناه يحشرون إلى الله بعد موتهم يوم القيامة كما يحشر العباد ، فيعوّض الله تعالى ما يستحقّ العوض منها و ينتصف لبعضها من بعض .

و فيما رووه عن أبي هريرة أنّه قال : يحشر الله الخلق يوم القيامة البهائم والدّواب والطير ، وكلّ شيء ، فيبلغ من عدل الله تعالى يومئذ أن يأخذ للجمّاء من القرناء [٣] ، ثمّ يقول : « كوني تراباً » فلذلك يقول الكافر: « ياليتني كنت تراباً»[٤].

و عن أبي ذرّ قال : بينا أنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله إذا انتطحت [٥] عنزان [٦] فقال النبيّ صلى الله عليه وآله : « أتدرون فيم انتطحا ؟ فقالوا : لا ندري قال : لكنّ الله يدري

(١) في المصدر : فقد ذكرنا ما يكفي في صدق حصول المماثلة .

(٢) تفسير الرازي ١٢ : ٢١٣-٢١٥ .

(٣) الجماء جمع الاجم : الكبش لا قرن له . والقرناء جمع الا قرن : مالهقرنان .

(٤) النبأ : ٤٠ .

(٥) نطحه : اصابه بقرنه و انتطح الكبشان : نطح احدهما الاخر ،

(٦) في المصدر : اذ نطحت عنزان .

و سيقضي بينهما » و على [١] هذا فانّما جعلت أمثالنا في الحشر والقصاص [٢] .

و استدلّت جماعة من أهل التناسخ بهذه الآية على أنّ البهائم والطيور مكلّفة لقوله : « أُممٌ امثالكم » و هذا باطل لأنّا قد بيّنا أنّها من اىّ جهة تكون أمثالنا و لو وجب حمل ذلك على العموم لوجب أن تكون أمثالنا في كونها على مثل صورنا و هيئاتنا و خلقتنا و أخلاقنا ، فكيف يصحّ تكليف البهائم و هي غير عاقلة ؟ والتكليف لا يصحّ إلاّ مع كمال العقل انتهى [٣] .

و قال الرازيّ : للفضلاء فيه قولان :

الأوّل : أنّه تعالى يحشر البهائم والطيور لا يصال الاعواض إليها و هو قول المعتزلة ، و ذلك لأنّ إيصال الآلام إليها من غير سبق جناية لا يحسن إلاّ للعوض و لمّا كان إيصال العوض إليها واجباً فالله تعالى يحشرها ليوصل تلك الأعواض إليها.

والقول الثاني قول أصحابنا : إنّ الايجاب على الله تعالى محال ، بل الله يحشرها بمجرّد الارادة والمشيّة و مقتضى الالهيّة .

و احتجّوا على أنّ القول : بوجوب العوض على الله تعالى باطل بامور :

الأوّل : أنّ الوجوب عبارة عن كونه مستلزما للذمّ عند الترك ، و كونه تعالى مستلزما للذمّ محال ، لأنّه كامل لذاته ، و الكامل لذاته لا يعقل كونه مستحقّا للذم بسبب أمر منفصل ، لأنّ ما يكون لازماً بالذات لا يبطل عند عروض أمر من الخارج [٤].

الثاني: أنّه لو حسن إيصال الضرر إلى الغير لأجل العوض لوجب أن يحسن منّا إيصال المضارّ إلى الغير لأجل التزام العوض من غير رضاه، وذلك باطل، فثبت أنّ القول بالعوض باطل.

إذا عرفت هذا فلنذكر بعض التفاريع الذي ذكرها القاضي في هذا الباب :

---

(١) الظاهر الحديث ينتهى بقوله : بينهما ، و بعده من كلام الطبرسى .

(٢) فى المصدر : والاقتصاص .

(٣) مجمع البيان ٤ : ٢٩٧ و ٢٩٨ .

(٤) زاد فى المصدر حجة أخرى وهى انه تعالى مالك لكل المحدثات ، و المالك يحسن تصرفه فى ملك نفسه من غير حاجة الى العوض .

الأوّل : قال : كلّ حيوان استحقّ العوض عن [١] الله ممّا لحقه من الآلام و كان ذلك العوض لم يصل إليه في الدنيا . فانّه يجب على الله حشره [٢] في الآخرة ليوفر عليه العوض ، والّذي لا يكون كذلك فانّه لا يجب حشره عقلا إلّا أنّه تعالى أخبر أنّه يحشر الكل ، فمن حيث السّمع يقطع بذلك ، وإنّما قلنا : إنّ في الحيوانات من لا يستحقّ العوض البتّة لأنّه ربما بقيت مدّة حياتها مصونة عن الآلام ، ثمّ إنّه تعالى يميتها من غير إيلام أصلا ، فانّه لم يثبت بالدليل أنّ الموت لابدّ وأن يحصل معه شيء من الالام [٣] ، و على هذا التقدير فانّه لا يستحقّ العوض البتّة .

الثاني : كلّ حيوان أذن الله في ذبحه فالعوض على الله ، وهي على أقسام :

منها : ما أذن في ذبحها لأجل الأكل ، ومنها : ما أذن في ذبحها لأجل كونها مؤذية مثل السباع العادية والحشرات المؤذية ، و منها : ما أوذي بالأمراض [٤] . ومنها : ما أذن الله في حمل الأحمال الثقيلة عليها و استعمالها بالأفعال الشاقّة ، وأمّا إذا ظلمها الناس فذلك العوض على ذلك الظالم ، وإذا ظلم بعضها بعضاً فذلك العوض على ذلك الظالم .

فان قيل : إذا ذبح ما يؤكل لحمه لا على وجه التذكية فعلى من العوض ؟

أجاب : بأنّ ذلك ظلم والعوض على الذابح ، و لذلك نهى النبيّ صلّى الله عليه وآله عن ذبح الحيوان إلّا لأكله [٥] .

الثالث : المراد من العوض منافع عظيمة بلغت في الجلالة والرفعة إلى حيث لو كانت هذه البهيمة عاقلة وعلمت أنّه لا سبيل لها إلى تحصيل تلك المنفعة إلّا بواسطة تحمّل ذلك الذبح فانّها كانت ترضى به ، فهذا هو العوض الذي لأجله يحسن الايلام والاضرار .

---

(١) في المصدر : على الله .

(٢) في المصدر : حشره عقلا .

(٣) » » : من الايلام .

(٤) » » : ما آلمهما بالامراض .

(٥) » » الا لمأكله .

الرابع : مذهب القاضي وأكثر معتزلة البصرة أنّ العوض منقطع ، قال القاضي: وهو قول أكثر المفسّرين لأنّه قال : إنّه تعالى بعد توفير العوض عليها يجعلها تراباً وعنده يقول الكافر : «ياليتني كنت تراباً »[١] .

قال أبو القاسم : يجب كون العوض دائما[٢] .

واحتجّ القاضي على قوله بأنّه يحسن من الواحد منّا أن يلتزم عملا شاقّاً لمنفعة منقطعة[٣] ، فعلمنا أنّ إيصال الألم إلى الغير غير مشروط بدوام الأجر[٤] .

واحتجّ البلخي على قوله بأن قال : لايمكن قطع ذلك العوض إلّا باماتة تلك البهيمة ، وإماتتهاتوجب الالم وذلك الألم يوجب عوضاآخروهكذا إلى مالاآخر له .

و الجواب عنه ، أنّه لم يثبت بالدليل أنّ الاماتة لايمكن تحصيلها إلّا مع الايلام .

الخامس : أنّ البهيمة إذا استحقّت على بهيمة اُخرى عوضافان كانت البهيمة الظالمة قد استحقّت على الله عوضا فانّ الله تعالى ينقل ذلك العوض إلى المظلوموإن لم يكن الأمر كذلك فالله تعالى يكمل هذا العوض فهذا مختصر من أحكام الأعواض على قول المعتزلة انتهى كلامه في هذا المقام[٥] .

وقال في قوله تعالى : « ولله يسجد» : قد ذكرنا أنّ السّجود على نوعين: سجود هوعبادة كسجود المسلمين لله ، وسجود عبارة عن الانقياد والخضوع[٦]، ويرجع حاصل هذا السّجود إلى أنّها في أنفسها ممكنة الوجود والعدم قابلة لهما ، فانّه لايرجّح[٧]

---

(١) النبأ : ٤٠ .

(٢) فى المصدر : يجب أن يكون العوض دائما .

(٣) » » والاجرة منقطعة .

(٤) » » الاجرة .

(٥) تفسير الرازى ١٢ : ٢١٨-٢٢٠ .

(٦) فى المصدر : عن الانقياد لله تعالى والخضوع .

(٧) » » وانه لايترجح .

أحد الطرفين على الآخر إلّامرجّح ، فمن[١] الناس من قال : المرادهنا المعنى الثاني لأنّ اللائق بالدابّة ليس له إلاهذا السّجود ، ومنهممن قال : المراد هو المعنى الأول لأنّه اللائق بالملائكة،و منهم من قال : هو لفظمشترك و حمل المشترك على معنييه جائز وهوضعيف[٢] .

وقال في قوله تعالى : « ألم يروا إلى الطّير » هذا دليل آخر على كمال قدرة الله تعالى و حكمته ، فانّه لولا أنّه تعالى خلق الطّير خلقة معها يمكنه الطيران ، و خلق الجوّ خلقة معها يمكن الطيران فيها[٣] لما أمكن ذلك ، فانّه تعالى أعطى الطّير جناحاً يبسطه مرّة ويكسره اُخرى ،مثل مايعمل السابح في الماء ، و خلق الهواء خلقة لطيفة رقيقة يسهل خرقه[٤] و النفاذفيه ، و لولا ذلك لما كان الطيران ممكناً ، « مايمسكهنّ إلّا الله » المعنى أنّ جسد الطير جسم ثقيل ، و الجسم الثقيل يمتنع بقاؤه في الجوّ معلّقا من غير دعامة تحته ولا علاقة فوقه ، فوجب أن يكون الممسك له في ذلك الجوّ هو الله تعالى ، قال القاضي : إنّما أضاف الله تعالى هذا الامساك إلى نفسه لأنّه تعالى هوالذي أعطى الآلات التي لأجلها يتمكن الطير من تلك الافعال ، فلمّا كان تعالى هوالسبب لذلك لاجرم صحّت الاضافة انتهى[٥] .

قوله تعالى : «والطّير» أي والطير أيضاً تسبّح ،وقد مرّ أن تسبيحها إمّامحمول على الحقيقة بناء على شعورها ، أوجعلها الله في هذا الوقت ذات شعور معجزة لداود عليه السلام ، أوتسبيحها بلسان الحال ،كمامرّ في تسبيح الجمادات ، أوهومن السباحة قال الرازيّ : وأمّا الطّير فلا امتناع في أن يصدر عنها الكلام ، ولكن أجمعت الاُمّة على

(١) نقله المصنف من هنا الى آخر كلامه باختصار .

(٢) تفسير الرازى ٢٠ : ٤٢و٤٤ .

(٣) فى المصدر : الطيران فيه .

(٤) » » يسهل بسببها خرقه .

(٥) تفسير الرازى ٢ :٩٠و٩١ فيه : فلماكان تعالى هو المسبب لذلك لاجرم صحت هذه الاضافة الى الله تعالى .

أنّ المكلّفين إمّا الجنّ أو الانس أوالملائكة فيمتنع فيها أن تبلغ في العقل إلى درجة التكليف ، بل يكون حاله[١] كحال الطفل في أن يؤمر وينهى وإن لم يكن مكلّفافصار ذلك معجزة من حيث جعلها في الفهم بمنزلة المرافق [٢] .

وقال الطبرسيّ رحمه الله : تسخير الطّير له تسبيح يدلّ على أنّ مسخّرها قادر لايجوز عليه ما يجوز على العباد ، عن الجبّائي و عليّ بن عيسى ، وقيل : إنّ الطّير كانت تسبّح معه بالغداة والعشيّ معجزةً له عن وهب ، « وكنّا فاعلين » أي قادرين على فعل هذه الأشياء ، ففعلناها دلالة على نبوّته [٣] .

قوله سبحانه : « ألم تر » قال الرازيّ : أي ألم تعلم ، وظاهره الاستفهام والمراد به التقرير والبيان .

واعلم : أنّه إمّا أن يكون المراد من التسبيح دلالته بهذه الأشياء[٤] على كونه تعالى منزّها عن النقائص موصوفا بنعوت الجلال [٥] ، و إمّا أن يكون المرادمنه في حقّ البعض الدلالة على التنزيه ، و في حقّ الباقين النطق باللسان ، و الأوّل : أقرب وأمّا القسم الثالث : فهو أن يقال : استعمل اللفظ الواحد في الحقيقة و المجاز معاوهو غير جائز فلم يبق إلاّ الاوّل .

فان قيل : فالتسبيح بهذا المعنى حاصل لجميع المخلوقات فماوجه تخصيصهنا بالعقلاء ؟

قلنا : لأنّ خلقة العقلاء أشدّ دلالة على وجودالصانع سبحانه ، لأنّ العجائب فيها أكثر [٦] .

---

(١) في المصدر : بل تكون على حالة .

(٢) تفسير الرازى ٢٢ : ٢٠٠ .

(٣) مجمع البيان ٧ : ٥٨ .

(٤) في المصدر : دلالة هذه الاشياء .

(٥) زادفى المصدر : واما ان يكون المراد منه أنها تنطق بالتسبيح وتتكلم به .

(٦) فى المصدر: لان العجائب والغرائب فى خلقهم أكثروهى العقل والنطق والفهم .

ولمّا ذكر [١] أنّ أهل السّماوات و أهل الأرض يسبّحون ذكر أنّ الذين استقرّوا في الهواء وهو الطّير يسبّحون ، وذلك لأنّ إعطاء الجرم الثقيل القوّة التي تقوى بها على الوقوف في جوّ السّماء صافّة باسطة أجنحتها بمافيها من القبض والبسط من أعظم الدلائل على قدرة الصّانع المدبّر سبحانه ، وجعل طيرانها سجودا منها له سبحانه وذلك يؤكد ماذكرناه أنّ المراد من التسبيح دلالة هذه الأمور على التنزيه لاالنطق اللسانيّ ، « كلّ قد علم » أي علم الله ويدلّ عليه قوله : « والله عليم بمايفعلون » وهو اختيار جمهور المتكلّمين .

والثاني : أن يعود الضمير في علم ، والصلاة ، و التسبيح ، على لفظ « كلّ » أي انّهم يعلمون مايجب عليهم من الصّلاة والتسبيح .

والثالث : أن تكون الهاء راجعة إلى الله [٢] ، يعني قدعلم كلّ مسبّح وكلّ مصلّ صلاته [٣] التي كلّفه إيّاها ، وعلى هذين التقديرين فقوله : « والله عليم » استيناف .

و روي عن أبي ثابت قال : كنت جالساعندأبي جعفر [٤] الباقر عليه السلام فقال لي : أتدرى ماتقول هذه العصافيرعند طلوع الشمس وبعد طلوعها ؟ قال [٥] : فانّهنّ يقدّسن ربّهنّ ويسألنه قوت يومهنّ .

واستبعد المتكلّمون ذلك ، فقالوا : الطّير لوكانت عارفة بالله لكانت كالعقلاء الذين يفهمون كلامنا وإشارتنا ، لكنّها ليست كذلك فانّا نعلم بالضرورة أنها أشدّ نقصاناً

---

(١) فيه اختصار ، وتمامه على مافى المصدر : اماقوله تعالى : «والطير صافات» فلقائل أن يقول : ماوجه اتصال هذا بماقبله ؟ والجواب انه سبحانه لما ذكر .

(٢) فى المصدر : على ذكر الله .

(٣) فى المصدر : صلاة الله.

(٤) فى المصدر : « محمد بن جعفر الباقر » ولعله تصحيف من النساخ .

(٥) فى المصدر : قال : لا ، قال .

من الصبيّ الذين لايعرف هذه الأمور ، فبأن يمتنع ذلك فيها أولى ، وإذا ثبت أنّها لاتعرف الله استحال كونها مسبّحة له بالنطق فثبت أنّها لاتسبّح الله إلّا بلسان الحال.

ثمّ ذكر كثيراً من الحيل الدقيقة الصّادرة عن الحيوانات كما سيأتي ،واستدلّ بها على شعورها و عقلها ، ثمّ قال : و الاكياس من العقلاء يعجزون عن أمثال هذه الحيل ، فاذاجاز ذلك فلم لايجوز أن يقال : إنّها ملهمة عن الله سبحانه بمعرفته والثناء عليه وكانت[1] غير عارفة بسائر الأمور التي يعرفها الناس ؟ ولله درّ شهاب السمعاني حيث قال : جلّ جناب العزّ والجلال ، عن أن يوزن بميزان الاعتزال [2] .

وقال في قوله سبحانه : « والله خلق كلّ دابّة من ماء » في هذه الآية سؤالات:

الأوّل : قال الله : « خلق كلّ دابّة من ماء » مع أنّ كثيراً من الحيوانات غير مخلوقة من الماء كالملائكة [3] ، و هو أعظم المخلوقات عدداً ، و أنّهم [4] مخلوقون من النور ، و أمّا الجنّ فهم مخلوقون من النار ، و خلق الله آدم من التراب [5] و خلق الله عيسى من الريح لقوله : « فنفخنا فيه من روحنا » [6] .

و أيضاً نرى أنّ كثيراً من الحيوانات يتولّد لا عن النطفة .

والجواب من وجوه :

أحدها و هو الأحسن ما قاله القفّال : و هو أنّ « من ماء » صلة « كلّ دابّة» وليس هو من صلة « خلق » والمعنى أنّ كلّ دابّة متولّدة من الماء فهي مخلوقة لله .

و ثانيها : أنّ أصل جميع المخلوقات الماء على ما روي « أوّل ما خلق الله تعالى جوهرة فنظر إليها بعين الهيبة فصارت ماء ثمّ من ذلك الماء خلق النار والهواء والنور»

(١) في المصدر : وان كانت .

(٢) تفسير الرازى ٢٤ : ١٠-١٢ .

(٣) في المصدر : اما الملائكة .

(٤) « « : وهم مخلوقون .

(٥) زاد في المصدر : لقوله : « خلقه من تراب » أقول : الاية في آل عمران:٥٩.

(٦) التحريم : ١٢.

و لمّا كان المقصود من هذه الآية بيان أصل الخلقة و كان الأصل الأوّل هو الماء لا جرم ذكره على هذا الوجه .

و ثالثها : أنّ المراد من الدابّة ، الّذي يدبّ [١] على وجه الأرض و مسكنهم هناك لتخرج الملائكة والجنّ [٢] ، و لمّا كان الغالب جدّاً من هذه الحيوانات كونهم مخلوقين من الماء إمّا لأنّها متولّدة من النطفة ، و إمّا لأنّها لا تعيش إلّا بالماء لا جرم أطلق الكلّ تنزيلا للغالب منزلة الكلّ .

الثاني : لم سمّي الزحف على البطن مشياً ؟

والجواب هذا على سبيل الاستعارة كما يقال : فلان لا يمشي له أمر ، و على طريق المشاكلة .

الثالث : أنّه لم تنحصر [٣] القسمة ، لأنّا نجد ما يمشي على أكثر من أربع مثل العناكب والعقارب و مثل الحيوان الذي له أربع و أربعون رجلاً الذي يسمّى دخّال الأذن .

والجواب : القسم الذي ذكرتم كالنادر فكان ملحقاً بالعدم ، ولأنّ الفلاسفة يقولون: ما له قوائم كثيرة فالاعتماد له إذا مشى على أربع جهاته لا غير فكأنّه يمشي على أربع ولأنّ قوله : « يخلق الله ما يشاء » تنبيه على أنّ الحيوانات كما اختلف بحسب كيفيّة المشي فكذا هي مختلفة بحسب اُمور اُخر .

ولنذكر هيهنا بعض تلك التقسيمات :

التقسيم الأوّل : الحيوانات قد تشترك في أعضاء وقد تتباين بأعضاء ، أمّا الشركة: فمثل اشتراك الانسان والفرس في أنّ لهما لحماً و عصباً و عظماً ، و أمّا التباين : فامّا أن يكون في نفس العضو ، أو في صفته .

---

(١) في المصدر : التي تدب .

(٢) « « : فيخرج عنه الملائكة والجن .

(٣) « « : لم يستوف القسمة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أمّا الأوّل ، فعلى وجهين : أحدهما : أن لا يكون العضو حاصلا للآخر و إن كانت أجزاؤه حاصلة للثاني ، كالفرس والانسان ، فانّ الفرس له ذنب ، والانسان ليس له ذنب ولكن أجزاء الذنب ليس إلّا العظم والعصب واللحم والجلد والشعر ، و كلّ ذلك حاصل للانسان .

والثاني : أن لا يكون ذلك العضو حاصلا للثاني لا بذاته ولا بأجزائه ، مثل أنّ للسلحفاة صدفا يحيط به وليس للإنسان ، و للسّمك فلوس [1] ، وللقنفذ شوك ، وليس شيء منها للإنسان .

و أمّا التباين في صفة العضو ، فامّا أن يكون من باب الكميّة ، أو الكيفيّة أو الوضع ، أو الفعل ، أو الانفعال ، أمّا الّذي في الكميّة ، فامّا أن يتعلّق بالمقدار مثل أنّ عين البوم كبيرة و عين العقاب صغيرة ، أو بالعدد مثل أنّ أرجل بعض العناكب ستّة و أرجل ضرب آخر ثمانية أو عشرة ، والّذي في الكيفيّة فكاختلافها في الألوان والأشكال والصّلابة واللّين ، والذي في الوضع : فمثل اختلاف وضع ثدي الفيل فانّه قريب من الصدور ، و ثدي الفرس فانّه عند السرّة ، و أمّا الّذي في الفعل: فمثل كون اُذن الفيل للذبّ [2] مع كونه آلة للسّمع ، و ليس كذلك الإنسان [3] و كون أنفه آلة للقبض دون أنف غيره ، و أمّا الذي في الانفعال : فمثل كون عين الخفّاش سريعة التحيّر في الضوء ، و عين الخطّاف خلاف ذلك .

التقسيم الثاني للحيوان : إمّا أن يكون مائيّاً بأن يكون مسكنه الأصلي هو الماء ، أو أرضيّاً ، أو يكون مائيّاً ثمّ يصير أرضيّاً ، أمّا الحيوانات المائيّة : فتعتبر أحوالها من وجوه الأوّل: إمّا أن يكون مكانه و غذاؤه و نفسه مائيّاً فله بدل التنفّس

---

(١) في المصدر ، وليس للانسان ذلك و كذا للسمك فلوس .

(٢) « « : صالحا للذب .

(٣) « « : في الانسان .

جذب الماء إلى بطنه ثمّ ردّه [١] ولا يعيش إذا فارقه ، والسمك كلّه كذلك [٢] أومكانه و غذاؤه مائيّ لا يتنفّس و لا يستنشق مثل أصناف من الصدف لا تظهر للهواء ولا تستدخل الماء إلى باطنها .

الثاني : الحيوانات المائيّة بعضها ماؤها الأنهار الجارية ، وبعضها ماؤها البطائح مثل الضفادع ، و بعضها ماؤها مياه البحر [٣] .

الثالث : منها لجيّة ، و منها شطيّة ، و منها طينيّة ، و منها صخريّة .

الوجه الرابع : الحيوان المنتقل في الماء منه ما يعتمد في غوصه على رأسه وفي السباحة على أجنحته كالسّمك ، و منه ما يعتمد في السباحة على أرجله كالضفادع و منه ما يمشي في قعر الماء كالسّرطان ، و منه ما يزحف مثل ضرب من السّمك لا جناح له كالدود .

و أمّا الحيوانات البرّيّة : فتعتبر أحوالها أيضا من وجهين . الأوّل : أنّ منها ما يتنفّس من طريق واحد كالفم والخيشوم ، و منه ما لا يتنفّس كذلك بل على نحو آخر [٤] مثل الزنبور والنحل .

الثاني : أنّ الحيوانات الأرضيّة منها : ماله مأوى معلوم ، و منها : ما مأواه كيف اتّفق إلاّ أن تلدفيقيم للحضانة واللواتي لهامأوى : فبعضها مأواه قلّة رابية [٥] ، وبعضها مأواه وجه الأرض .

---

(١) فى المصدر : فله بدل التنفس فى الهواء التنشق المائى فهو يقبل الماء الى باطنه ثم يرده .

(٢) سقط هنا قسم آخر فهو على ما فى المصدر : و منه ما مكانه و غذاؤه مائى ولكن يتنفس من الهواء مثل السلحفاة المائية .

(٣) فى المصدر : بعضها مأواها مياه الانهار الجارية و بعضها مياه البطائح و بعضها مأواها مياه البحر .

(٤) فى المصدر : بل على نحو آخر من مسامه .

(٥) « « : فبعضها مأواه شق و بعضها حفر و بعضها مأواه قلة رابية .

الثالث : الحيوان البريّ كلّ طائر منه ذو جناحين فانّه يمشي برجليه ومن جملة ذلك مشيه صعب عليه كالخطّاف الكبير الأسود والخفّاش ، و أمّا الذي جناحه جلد أو غشاء فقد يكون عديم الرجل كضرب من الخيّات بالحبشة تطير .

الرابع : الطّير تختلف فبعضها تتعايش معاً كالكراكي ، و بعضها تعيش منفردا كالعقاب و جميع الجوارح الّتي تتنازع على الطعم لاحتياجها إلى الاجتهاد لتصيد [١] و منها : ما تتعايش زوجاً كالقطا ، و منها : ما تجتمع تارة و تنفرد اُخرى ، ثمّ انّ المنفرد قد تكون مدنيّة و قد تكون بريّة صرفة و قد تكون بستانيّة .

والإنسان من بين الحيوان : هو الّذي لا يمكنه أن يعيش وحده ، فانّ أسباب حياته و معيشته تلتئم بالمشاركة المدنية ، والنحل و بعض الفراش يشارك الانسان في ذلك ، لكنّ الحدا و الكراكي [٢] تطيع رئيساً واحداً . و النمل : لها اجتماع ولا رئيس لها .

الخامس : الطير منه آكل لحم ومنه لاقط حبّ ومنه آكل عشب ، وقد يكون للبعض طُعم معيّن كالنحل فانّ غذاءه الزهر ، والعنكبوت فانّ غذاءه الذباب ، وقد يكون بعضه متّفق الطُعم .

و أمّا القسم الثالث : و هو الحيوان الّذي يكون تارة مائيّاً و اُخرى بريّاً فيقال : إنّه حيوان يكون في البحر و يعيش فيه ثمّ إنّه يبرز إلى البرّ و يبقى فيه القسم الثالث : منه ما هو إنسيّ بالطبع ، فمنه ما يسرع استيناسه [٣] و يبقى

---

(١) في المصدر : الى الاحتيال لتصيد و منافستها فيه .

(٢) « « : والنحل والنمل و بعض الغرانيق يشارك الانسان في ذلك لكن النحل والكراكي .

(٣) الظاهر أن نسخة المصنف كانت ناقصة ، والصحيح كما في المصدر : الحيوان منه ما هو انسي بالطبع كالانسان و منه ماهوانسي بالمولد كالهرة والفرس، ومنه ما هوانسي بالقسر كالفهد ، و منه مالا يأنس كالنمر ، والمستأنس بالقسر منه ما يسرع استئناسه .

مستأنسا كالفيل ، و منه ما يبطىء كالأسد ، و يشبه أن يكون من كلّ نوع صنف أنسيّ وصنف وحشيّ حتّى من الناس .

التقسيم الرابع : من الحيوان ماهو مصوّت ومنه ما لاصوت له ، وكلّ مصوّت فانه يصير عند الاغتلام وحركة شهوة الجماع أشدّ تصويتاً حتّى الإنسان[١] ، ومنه ماله شبق يسفد كلّ وقت كالديك ، و منه عفيف له وقت معيّن .

التقسيم الخامس : بعض الحيوانات هادىء الطبع قليل الغضب مثل البقر و بعضه شديد الجهل حادّ الغضب كالخنزير البرّيّ ، وبعضها حليم حمول كالبعير ، وبعضها سريع الحركات كالحيّة[٢] ، و بعضها قويّ جريء شهم كبير النفس كريم الطبع كالأسد ، و منها قويّ محتال[٣] وحشيّ كالذئب ، و بعضها محتال مكّار ذي الحركات[٤] كالثعلب ، و بعضها غضوب شديد الغضب سفيه إلاّ أنّه ملق متودّد كالكلب و بعضها شديد اللين مستأنس كالفيل والقرد ، وبعضها حسود مباه[٥] بجماله كالطاووس و بعضها شديد الحفظ[٦] كالجمل والحمار لا ينسى كلّ منهما الطريق الذي رآه .

التقسيم السّادس : من الحيوانات ما تناسله بأن تلد حيواناً[٧] ، و بعضها ما تناسله بأن تلد أنثاه دوداً[٨] انتهى .

و قال النيسابوريّ : منه ولود ، و منه بيوض ، و كلّ اذون ولود ، و كلّ

---

(١) الصحيح كما فى المصدر : الا الانسان .

(٢) فى المصدر : و بعضها ردىء الحركات مغتال كالحية .

(٣) فى المصدر : مغتال .

(٤) » » : ردىء الحركات .

(٥) » » : متباه .

(٦) » » : شديد التحفظ .

(٧) » » : ان تلدانثاه حيوانا.

(٨) تفسير الرازى ٢٤ : ١٦ ـ ١٩ زاد فيه بعد ذلك : كالنحل والعنكبوت فانها تلددودا ، ثم ان اعضاءه تستكمل بعده ، وبعضها تناسله بأن تبيض انثاه بيضا .

صموخ بيوض سوى الخشّاف .

و في قوله : « إنّ الله على كلّ شيء قدير » إشارة إلى أنّ اختصاص كلّ حيوان بهذه الخواصّ و بأمثالها لايكون إلاّ عن قادر مختار قهّار [1] انتهى .

و قال البيضاويّ في قوله تعالى : « و علّمنا منطق الطّير » : النطق والمنطق في المتعارف كلّ لفظ يعبّر به عمّا في الضمير مفرداً كان أو مركّباً ، و قد يطلق لكلّ ما يصوت به على التشبيه والتبع ، كقولهم : نطقت الحمامة ، و منه الناطق والصّامت للحيوان والجماد ، فانّ الأصوات الحيوانيّة من حيث أنّها تابعة للتخيّلات منزّلة منزلة العبارات ، سيّما و فيها ما تتفاوت باختلاف الأغراض بحيث يفهمها ما من جنسه [2] ، و لعلّ سليمان مهما سمع صوت حيوان علم بقوّته القدسيّة التخيّل الّذي صوّته والغرض الذي توخّاه [3] به ، ومن ذلك ماحكي أنّه مرّ ببلبل يتصوّت و يترقّص ، فقال : يقول : « إذا أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفا» و صاحت فاختة فقال : إنّها تقول : « ليت الخلق لم يخلقوا » فلعلّه كان صوت البلبل عن شبع وفراغ بال ، و صياح الفاختة عن مقاساة شدّة و تألّم قلب ، « فهم يوزعون » يحبسون بحبس أوّلهم على آخرهم ليتلاحقوا « حتّى إذا أتوا على واد النمل » : واد بالشام كثير النمل ، والتعدية « بعلى » إمّا لأنّ إتيانهم كان من علىّ ، أو لأنّ المراد قطعه من قولهم : أتى الشيء :إذا أنفده و بلغ آخره ،كأنّهم أرادوا أن ينزلوا اُخريات الوادي « قالت نملة» كأنّها لمّا رأتهم متوجّهين إلى الوادي فرّت عنهم مخافة حطمهم فتبعها غيره [4] فصاحت صيحة نبّهت [5] بها ما بحضرتها من النمال فتبعتها ، فشبّه ذلك بمخاطبة العقلاء و مناصحتهم ، و لذلك أجروا مجراهم ، مع أنّه لا يمتنع أن خلق

---

(۱) تفسير النيسابورى ۳ : ۹۱ فيه : الا عن فاعل مختار قدير قهار .

(۲) فى المصدر : ما هو من جنسه .

(۳) توخى الامر: تعمده و تطلبه دون سواه .

(۴) فى المصدر : غيرها .

(۵) « « : تنبهت .

الله فيها العقل والنطق [١] .

و قال النيسابوريّ : قال المفسّرون : إنّه تعالى جعل الطّير في أيامه ممّا له عقل [٢] ، و ليس كذلك حال الطّير في أيّامنا و إن كان فيها ما قد ألهمه الله تعالى الدقائق الّتي خصّت بالحاجة إليها ، يحكى أنّه مرّ على بلبل في شجرة فقال لأصحابه : إنّه يقول : «أكلت نصف تمرة وعلى الدنيا العفاء »أي التراب ، وصاحت فاختة فأخبر الناس أنّها تقول : « ليت ذا الخلق لم يخلقوا » و صاح طاووس فقال : يقول: «كما تُدين تُدان » و أخبر أنّ الهدهد يقول: « استغفروا الله يا مذنبون» والخطّاف يقول : « قدّموا خيراً تجدوه » والرخمة [٣] تقول :« سبحان ربّي الأعلى ملء سمائه و أرضه » والقمريّ يقول : « سبحان ربّي الأعلى » والقطاة تقول : « من سكت سلم» والببغاء [٤] تقول : « ويل لمن الدنيا همّه » والديك يقول : « اُذكروا الله ياغافلون » والنسر يقول : « يابن آدم عش ما شئت و آخرك الموت » والعقاب يقول : « في البُعد من الناس اُنس » [٥] .

و قال الطبرسيّ قدّس سرّه : أهل العربيّة يقولون : لا يطلق النطق على غير بني آدم ، و إنّما يقال : الصوت لأنّ النطق عبارة عن الكلام ولا كلام للطّير إلّاأنّه لمّا فهم سليمان معنى صوت الطّير سمّاه منطقاً مجازاً ، و قيل : إنّه أراد حقيقة

---

(١) انوار التنزيل ٢ : ١٩٤ و ١٩٥ .

(٢) هذا بعيد فى الغاية ، و كأن قائل ذلك لما لم يتيسر له فهم الاية تمسك بذلك .

(٣) الرخمة بالتحريك : طائر أبقع يشبه النسر فى الخلقة ، و كنيتها ام جعران وام رسالة و ام عجيبة و ام كبير ، و يقال لها : الانوق . قال الدميرى : من طبع هذا الطائر انه لا يرضى من الجبال الا بالموحش منها ولا من الاماكن الا باسحقها وابعدها من اماكن اعدائه ولا من الهضاب الا بصخورها ، والانثى منه لاتمكن من نفسها غير ذكرها و تبيض بيضة واحدة و ربما أتأمت .

(٤) الببغاء : طائر اخضر يسمى بالدرة والطوطى .

(٥) تفسير النيسابورى ٣ : ١٣٥ .

المنطق لأنّ من الطّير ما له كلام يهجّي كالطوطي ، قال المبرّد : العرب تسمّي كلّ مبيّن عن نفسه ناطقا و متكلّماً ، وقال عليّ بن عيسى : إنّ الطير كانت تكلّم سليمان معجزة له كما أخبر عن الهدهد ، و منطق الطير صوت تتفاهم به معانيها على صيغة واحدة ، بخلاف منطق الذي يتفاهمون به المعاني على صيغ مختلفة ، ولذلك لم نفهم عنها مع طول مصاحبتها ولم تفهم هي عنّا ، لأنّ أفهامنا مقصورة على تلك الامور المخصوصة ، ولمّا جعل سليمان يفهم عنها كان قد علم منطقها [١] .

و قال رحمه الله : و اختلف في سبب تفقّده [٢] للهُدهُد من بين الطّير فقيل : إنّه احتاج إليه في سفره ليدلّه على الماء لأنّه يقال : إنّه يرى الماء في بطن الأرض كما نراه في القارورة عن ابن عبّاس ، وروى العيّاشيّ بالاسناد : قال : قال ابوحنيفة لأبي عبد الله عليه السلام : كيف تفقّد سليمان الهُدهُد من بين الطير ؟ قال : لأنّ الهُدهُد يرى الماء في بطن الأرض كما يرى أحدكم الدُهن في القارورة ، فنظر أبوحنيفة إلى أصحابه وضحك ، قال أبو عبد الله عليه السلام : ما يضحكك ؟ قال : ظفرت بك جعلت فداك قال : و كيف ذاك ؟ قال : الّذي يرى الماء في بطن الأرض لا يرى الفخّ في التراب حتّى تأخذ بعنقه ؟ ! قال أبو عبدالله عليه السلام : يا نعمان أما علمت أنّه إذا نزل القدر أغشى البصر [٣] .

ثمّ قال رحمه الله في قوله : « لأعذّبنّه » كما صحّ نطق الطير و تكليفه في زمانه معجزة له جازت معاتبته على ماوقع منه من تقصير فإنّه كان مأموراً بطاعته فاستحقّ العقاب على غيبته [٤] .

و قال في قوله تعالى : « و زيّن لهم الشيطان » الآية ، قال الجبّائيّ : لم يكن

---

(١) مجمع البيان ٧ : ٢١٤ .

(٢) في المصدر : تفقده الهدهد .

(٣) مجمع البيان ٧ : ٢١٧ و ٢١٨ .

(٤) » » ٧ : ٢١٨ .

الهدهد عارفاً بالله تعالى ، و إنّما أخبر بذلك كما يخبر مراهقوا صبياننا لأنّه لا تكليف إلّا على الملائكة والإنس والجنّ ، فيرانا الصبيّ على عبادة الله فيتصوّر أنّ ما خالفها باطل ، فكذلك الهُدهُد تصوّر له أنّ ما خالف فعل سليمان باطل ، وهذا الّذي ذكره خلاف ظاهر القرآن لأنّه لايجوز أن يفرّق بين الحقّ الّذي هو السّجود لله و بين الباطل الّذي هو السّجود للشمس ، و أنّ أحدهما حسن ، والآخر قبيح، إلّا العارف بالله سبحانه وبما يجوز عليه وبما لا يجوز ، هذا مع نسبة تزيين أعمالهم وصدّهم عن طريق الحقّ إلى الشيطان ، و هذه مقالة من يعرف العدل و أنّ القبيح غير جائز على الله تعالى [١] .

و قال قدّس سره في قوله سبحانه في سورة العنكبوت : « وكأيّن من دابّة لا تحمل رزقها » : أي و كم من دابّة لا يكون رزقها مدّخراً معداً عن الحسن ، وقيل : معناه لا يطيق حمل رزقها لضعفها وتأكل بأفواهها ، عن مجاهد ، و قيل : إنّ الحيوان أجمع من البهائم و الطيور و غيرها ممّا يدبّ على وجه الأرض لا يدّخر القوت لغدها إلّا بني آدم والنملة والفارة ، بل تأكل منها قدر كفايتها فقط ، عن ابن عبّاس ، « الله يرزقها و إيّاكم » أي يرزق تلك الدّابة الضعيفة التي لا تقدر على حمل رزقها ويرزقكم أيضاً فلا تتركوا الهجرة بهذا السّبب ، عن ابن عمر قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى دخل بعض حيطان الأنصار فجعل يلتقط من التمر و يأكل ، فقال : يا ابن عمر مالك لا تأكل ؟ فقلت : لا أشتهيه يا رسول الله ، فقال : و لكنّي أشتهيه و هذه صبيحة رابعة منذ لم أذق طعاما ولو شئت لدعوت ربّي فأعطاني مثل ملك كسرى و قيصر ، فكيف بك يا ابن عمر إذا بقيت مع قوم يخبؤن رزق سنتهم لضعف اليقين فوالله ما برحنا حتّى نزلت الآية « وهو السّميع » أي لأقوالكم عند مفارقة أوطانكم «العليم » بأحوالكم لا يخفى عليه شيء من سرّكم و إعلانكم [٢] .

---

(١) مجمع البيان ٧ : ٢١٨ .

(٢) » » ٨ : ٢٩١ .

و قال قدّس الله روحه : « والطير » أي و سخّرنا الطّير « محشورة » أي مجموعة إليه تسبّح الله تعالى معه « كلّ » يعني كلّ الطّير والجبال « له أوّاب » رجّاع إلى ما يريد ، مطيع له بالتسبيح معه ، قال الجبائيّ : لايمتنع أن يكون الله تعالى خلق في الطّيور من المعارف ما يفهم به أمر داود و نهيه فيطيعه فيما يريدمنها و إن لم تكن كاملة العقل مكلّفة [١] .

و قال الرازيّ : فان قيل : كيف يصدر تسبيح الله عن الطير مع أنّه لا عقل له ؟ قلنا : لا يبعد أن يقال : إنّ الله تعالى كان يخلق لها عقولاً حتّى تعرف الله فتسبّحه حينئذ ، و كلّ ذلك كان معجزة لداود عليه السلام انتهى [٢] .

« خلق الأزواج كلّها » قيل : يعني أزواج الحيوان من ذكر و اُنثى ، وقيل : أي الأشكال ، و قيل : أي الأصناف ، و قيل : كلّ ممكن فهو زوج تركيبيّ . والواحد الحقّ والفرد المطلق هو الله تعالى ، « و ما يبثّ من دابّة » أي و في خلق ما يفرق على وجه الأرض من الحيوان على اختلاف أجناسها و منافعها والمقاصد المطلوبة منها دلالات واضحات على وجوده سبحانه و علمه و قدرته و حكمته و لطفه « لقوم يوقنون » قيل : أي يطلبون علم اليقين بالتدبّر والتفكّر .

قوله سبحانه : « صافّات » قيل : أي باسطات أجنحتهنّ في الجوّ عند طيرانها فانّهنّ إذا بسطنها صففن قوادمها « ويقبضن » أي ويضممنها إذا ضربن بها جنوبهنّ وقتاً بعد وقت للاستظهار به على التحرّك ، و لذلك عدل به إلى صيغة الفعل للتفرقة بين الأصيل في الطيران والطاري عليه « ما يمسكهنّ » في الجوّ على خلاف طبعهنّ « إلّا الرّحمن » الشامل رحمته كلّ شيء بأن خلقهنّ على أشكال و خصائص هيئآتهنّ للحركة في الهوآء « إنّه بكلّ شيء بصير » يعلم كيف يخلق الغرائب و يدبّر العجائب .

و أقول : في سورة الفيل و قصّته دلالة على شعور الحيوانات و كونها مطيعة

---

(١) مجمع البيان ٨ : ٤٩٦ فيه : [تفهم] وفيه : فتطيعه .

(٢) تفسير الرازى ٢٦ : ١٨٦ فيه : « لا عقل لهما » و فيه : عقلا .

لأمره سبحانه ، فانّ الظاهر أنّ الطيور كانت حيوانات ولم تكن من الملائكة و إن احتملت ذلك ، وكذا الفيلة حيث امتنعت من دخول الحرم و فهمت كلام عبدالمطّلب و سجدت له رضي الله عنه كما مرّ مفصّلاً في ذكر تلك القصّة ، نعم : يمكن أن يكون الله تعالى جعلها في ذلك الوقت ذوات شعور و معرفة كرامةً للبيت و عبد المطّلب و إرهاصاً لنبوّة نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم .

١ـ تفسير عليّ بن إبراهيم : عن أحمد بن إدريس عن أحمد بن محمّد بن عيسى عن الحسين بن سعيد ، عن الوشّاء عن صديق بن عبدالله عن إسحاق بن عمّار عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ما من طير يصاد في برّ ولا بحر ولا يصاد شيء من الوحوش إلاّ بتضييعه التسبيح [١] .

العيّاشي : عن إسحاق مثله [٢] .

٢ـ التفسير : [والله خلق كلّ دابّة من ماء] أي من مني [٣] [فمنهم من يمشي على بطنه و منهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء إنّ الله على كلّ شيء قدير] قال : على رجلين الناس ، و على بطنه الحيّات ، و على أربع البهايم ، و قال أبوعبدالله عليه السلام : و منهم من يمشي على أكثر من ذلك [٤] .

بيان : قال الدميريّ : قال الجاحظ : الحيوان على أربعة أقسام : شيء يمشي و شيء يطير ، و شيء يعوم [٥] ، و شيء ينساخ في الأرض إلاّ أنّ كلّ طاير يمشي [٦] وليس كلّ شيء يمشي يطير [٧] فالنوع الذي يمشي هو على ثلاثة أقسام : ناس

---

(١) تفسير القمي : ٤٥٩ .

(٢) تفسير العياشي

(٣) في التفسير المطبوع : اى من مياه .

(٤) تفسير القمي : ٤٥٩ .

(٥) عام في الماء : سبح .

(٦) في المصدر : كل شيء يطير يمشي .

(٧) في نسخة : وليس كل شيء يمشي فهو طائر .

و بهائم و سباع ، والطير كلّه سبع و بهيمة و همج ، والخشّاش : ما لطف جرمه و صغر جسمه [١] وكان عديم السّلاح ، والهمج : ليس من الطير و لكنّه يطير ، وهو فيما يطير كالحشرات فيما يمشي ، والسّبع من الطير: ما أكل اللحم خالصاً ، والبهيمة: ما أكل الحبّ خالصا ، والمشترك كالعصفور فانّه ليس بذي مخلب ولا منسر وهو يلقط الحبّ ، و هو مع ذلك يصيد النمل إذا طار ، ويصيد الجراد ، و يأكل اللحم ولا يزقّ فراخه كما يزقّ الحمام فهو مشترك الطبيعة ، و أشباه العصافير من المشترك كثيرة وليس كلّ ما طار بجناحين من الطّير ، فقد يطير الجعلان والذباب والزنابير والجراد والنمل والبعوض والفراش والأرضة والنحل و غير ذلك ولا يسمّى طيوراً ، و كذلك الملائكة تطير ولها أجنحة وليست من الطّير ، وكذلك جعفر بن أبي طالب ذو جناحين يطير بهما في الجنّة وليس من الطّير [٢] .

٣ـ قرب الاسناد : عن سعد بن طريف عن الحسين بن علوان عن جعفر عن أبيه عليهما السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنّه ما يصاد من الطير إلاّ بتضييعهم التسبيح [٣] .

٤ـ العلل : عن محمّد بن موسى بن المتوكّل عن محمّد بن يحيى العطّار عن الحسين ابن الحسن بن أبان عن محمّد بن أورمة عن عبد الله بن محمّد عن حمّاد بن عثمان عن أبي عبد الله عليه السلام قال : كانت الوحوش والطير والسّباع و كلّ شيء خلق الله عزّ وجلّ مختلطا بعضه ببعض ، فلمّا قتل ابن آدم أخاه نفرت و فزعت فذهب كلّ شيء إلى شكله [٤] .

---

(١) في نسخة : وصغر شخصه .

(٢) حياة الحيوان : ٢٠٦ (مادة الحيوان) .

(٣) قرب الاسناد : ٥٥ فيه : داووا مرضاكم بالصدقة ، وادفعوا ابواب البلاء بالدعاء حصنوا اموالكم بالزكاة فانه ما يصاد ما تصيد من الطير .

(٤) علل الشرائع ١ : ٥ .

٥ ـ و منه : عن أبيه عن محمد بن يحيى العطّار عن محمد بن أحمد الأشعريّ عن أحمد ابن أبي عبد الله البرقيّ عن رجل عن ابن أسباط عن عمّه يعقوب رفعه إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال : إذا سمعتم نباح الكلب و نهيق [١] الحمار فتعوّذوا بالله من الشيطان الرجيم ، فانّهم يرون [٢] ما لا ترون ، فافعلوا ما تؤمرون الخبر [٣] .

٦ ـ مجالس ابن الشيخ : عن جماعة ، عن أبي المفضّل الشيبانيّ عن أحمد بن عبد الله بن عمّار الثقفيّ الكاتب ، عن عليّ بن محمد بن سليمان النوفليّ ، عن محمد بن الحارث [٤] بن بشير الدهنيّ ، عن القاسم بن الفضل بن عمرة الفيسيّ ، عن عبّاد المنقريّ [٥] عن أبي عبد الله جعفر بن محمد قال : حدّثني أبي عن أبيه عن جدّه عن عليّ ابن أبي طالب صلوات الله عليهم أجمعين قال : مرّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بظبية مربوطة بطُنُب فسطاط ، فلمّا رأت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أطلق الله عزّ وجلّ لها من لسانها فكلّمته فقالت : يارسول الله إنّي أُمّ خشفين [٦] عطشانين و هذا ضرعي قد امتلأ لبناً فخلّني حتّى أنطلق [٧] فأرضعهما ثمّ أعود فتربطني [٨] كما كنت ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : كيف و أنت ربيطة قوم و صيدهم ؟ قالت : بلى يا رسول الله أنا أجيء فتربطني كما كنت أنت بيدك [٩] فأخذ عليها موثقا من الله لتعودنّ ، و خلّى سبيلها

---

(١) في المصدر : و نهيق الحمير .

(٢) الصحيح كما في بعض نسخ المصدر : فانهن يرون .

(٣) علل الشرايع ٢ : ٢٧٠ وللحديث صدر وذيل تركهما المصنف .

(٤) في نسخة من المصدر : الحرب .

(٥) في المصدر : [عميرة العبسى : عن حماد المقرىء] و في بعض النسخ : عباد المقرىء .

(٦) الخشف بتثليث الخاء : ولد الظبى أول ما يولد .

(٧) في المصدر : لانطلق .

(٨) في المصدر : فيربطني .

(٩) » » : سأجيء فتربطني أنت بيدك كما كنت .

فلم تلبث إلاّ يسيرا حتّى رجعت قد فرغت ما في ضرعها ، فربطها نبيّ الله كما كانت ثمّ سأل لمن هذا الصيّد ؟ قالوا [١] يا رسول الله هذه لبني فلان ، فأتاهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم و كان الّذي اقتنصها [٢] منهم منافقا فرجع عن نفاقه و حسن إسلامه فكلمه النبيّ ليشتريها منه [٣] قال : بل اُخلّي سبيلها فداك أبي واُمّي يا نبيّ الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لو أنّ البهائم يعلمون من الموت ما تعلمون أنتم ما أكلتم منها سمينا [٤] .

بيان : « من الموت » أي من أصل وقوعه أو من شدائد الموت والعقوبات الواقعة بعده والأهوال المتوقّعة عنده و بعده ، و لعلّه أظهر .

٧ـ المحاسن : عن محمّد بن عليّ عن ابن فضّال عن عبد الله بن ميمون القدّاح عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال يعقوب عليه السلام لابنه : يابنيّ لاتزن فلو أنّ الطّير زنى لتناثر ريشه [٥] .

٨ـ الخرائج : روي أنّ الحسين عليه السلام سئل في حال صغره عن أصوات الحيوانات لأنّ من شرط الامام أن يكون عالماً بجميع اللغات حتّى أصوات الحيوانات ، فقال: على ما روى محمّد بن إبراهيم بن الحارث التميميّ عن الحسين عليه السلام أنّه قال : إذا صاح النسر فانّه يقول : « يا ابن آدم عش ما شئت فآخره الموت » [٦] و إذا صاح البازي يقول : « يا عالم الخفيّات و يا كاشف البليّات » و إذا صاح الطّاووس يقول: « مولاي ظلمت نفسي واغتررت بزينتي فاغفرلي » و إذا صاح الدرّاج يقول: « الرّحمن على العرش استوى » و إذا صاح الديك يقول : « من عرف الله لم ينس ذكره » و إذا قرقرت الدجاجة تقول : « يا إله الحقّ أنت الحقّ و قولك الحقّ يا الله يا حقّ »

---

(١) في المصدر : فقيل له : هذه .

(٢) في الكتاب و مصدره اقتضها و الظاهر انه مصحف « اقتنصها » اى اصطادها .

(٣) في المصدر : فكلمه النبى (ص) في بيعها ليشتريها منه .

(٤) امالى ابن الشيخ ٢ : ٦٨ ، و ٢٨٩ (ط١) .

(٥) المحاسن : ١٠٦ .

(٦) في النسخة المخطوطة : فان آخره الموت .

و إذا صاح الباشق يقول : « آمنت بالله واليوم الآخر » و إذا صاحت الحداء[١] تقول: « توكّل على الله ترزق » وإذا صاح العقاب يقول : « من أطاع الله لم يشق » وإذا صاح الشاهين يقول : « سبحان الله حقّاً حقّاً » و إذا صاحت البومة يقول : « البعد من الناس أنس » و إذا صاح الغراب يقول : « يا رازق ابعث الرزق الحلال » و إذا صاح الكركيّ يقول : « اللهمّ احفظني من عدوّي » و إذا صاح اللقلق يقول : « من تخلّى عن الناس نجا من أذاهم » و إذا صاح البطّة تقول : « غفرانك يا الله » و إذا صاح الهُدهُد يقول : « ما أشقى من عصى الله » و إذا صاح القمريّ يقول : « يا عالم السرّ والنجوى يا الله » و إذا صاح الدّبسيّ [٢] يقول : « أنت الله لا إله سواك يا الله» و إذا صاح العقعق يقول : « سبحان من لا يخفى عليه خافية » و إذا صاح الببغآء يقول : « من ذكر ربّه غفر ذنبه » و إذا صاح العصفور : يقول : « استغفر الله ممّا يسخط الله » وإذا صاح البلبل يقول : « لا إله إلاّ الله حقّاً حقّاً » وإذا صاح القبجة[٣] تقول : « قرب الحقّ قرب » و إذا صاحت السمانات [٤] يقول : يا ابن آدم ما أغفلك عن الموت » وإذا صاح السوذنيق [٥] يقول : « لا إله إلاّ الله محمّد و آله خيرة الله » وإذا صاحت الفاختة : « يا واحد يا أحد يا فرد يا صمد » و إذا صاح الشقراق يقول : « مولاي أعتقني من النّار ».

وإذا صاحت القنبرة تقول : «مولاي تب على كلّ مذنب من المذنبين » وإذا صاح الورشان يقول : « إن لم تغفر ذنبي شقيت » وإذا صاح الشفنين [٦] يقول : « لاقوّة إلاّ

---

(١) فى النسخة المخطوطة : الحداءة .

(٢) قال الدميرى : الدبسى بفتح الدال و كسر السين و يقال : بضم الدال : طائر منسوب الى دبس الرطب ، و هوقسم من الحمام البرى ولونه الدكنة وقيل : هو ذكر اليمام .

(٣) القبجة : الحجل و هى اسم جنس يقع على الذكر والانثى .

(٤) فى النسخة المخطوطة : السمانى تقول .

(٥) فى حياة الحيوان : السوذنيق : الصقر .

(٦) قال الدميرى : الشفنين بكسر الشين : هومتولد بين نوعين مأكولين وعده الجاحظ ←

بالله العليّ العظيم » و إذا صاحت النعامة تقول : « لا معبود سوى الله » و إذا صاحت الخطافة فانّها تقرأ سورة الحمد و تقول : « يا قابل توبة التوّابين يا الله لك الحمد » و إذا صاحت الزرّافة تقول : « لا إله إلاّ الله وحده » و إذا صاح الحَمَل يقول : « كفى بالموت واعظا » و إذا صاح الجدي يقول : « عاجلني الموت ثقل ذنبي وازداد » و إذا صاح الأسد يقول : « أمر الله مهمّ مهمّ » و إذا صاح الثور يقول : « مهلاً مهلا يا ابن آدم أنت بين يدي من يرى و لا يُرى و هو الله » و إذا صاح الفيل يقول: «لا يغني عن الموت قوّة ولا حيلة » و إذا صاح الفهد يقول : « يا عزيز يا جبّار يا متكبّر يا الله » و إذا صاح الجمل يقول : « سبحان مذلّ الجبّارين سبحانه » و إذا صهل الفرس يقول : « سبحان ربّنا سبحانه » و إذا صاح الذئب يقول : « ما حفظ الله لن يضيع أبداً » و إذا صاح ابن آوي يقول : « الويل الويل للمذنب المصرّ » و إذا صاح الكلب يقول : « كفى بالمعاصي ذلّاً » و إذا صاح الارنب يقول : « لا تهلكني يا الله لك الحمد » و إذا صاح الثعلب يقول : « الدنيا دار غرور » و إذا صاح الغزال يقول : « نجّني من الأذى » و إذا صاح الكركدن يقول : « اغثني و إلاّ هلكت يا مولاي » و إذا صاح الابل يقول : « حسبي الله و نعم الوكيل حسبي الله » و إذا صاح النمر يقول : « سبحان من تعزّز بالقدرة سبحانه » و إذا سبّحت الحيّة تقول : « ما أشقى من عصاك يا رحمن » و إذا سبّحت العقرب تقول : « الشرّ شيء وحش » .

ثمّ قال عليه السلام : ما خلق الله من شيء إلاّ وله تسبيح يحمد به ربّه ثمّ تلا هذه الآية « و إن من شيء [1] إلاّ يسبّح بحمده و لكن لا تفقهون تسبيحهم » [2].

بيان : قال الدّميريّ : النسر : طائر معروف و هو عريف الطير و يقول في

←في انواع الحمام و بعضهم يقول : هو الذى تسميه العامة اليمام و صوته فى الترنم كصوت الرباب و فيه تحزين .

(۱) الاسراء : ۴۴ .

(۲) لم نجد الحديث فى الخرائج المطبوع، والذى يستفاد من مواضع من البحار أن النسخة المطبوعة من الخرائج مختصر من نسخة المصنف .

صياحه : « ابن آدم عش ما شئت فانّ الموت ملاقيك » كذا قال الحسن بن عليّ رضي الله عنهما ، قال : و في هذا مناسبة لما خصّ النّسر به من طول العمر ، يقال : إنّه من أطول الطير عمراً و إنّه يعمّر ألف سنة و في كتاب نفحات الأزهار عن عليّ ابن أبي طالب عليه السلام قال: سمعت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : هبط عليّ جبرئيل فقال : يا محمّد إنّ لكلّ شيء سيّداً فسيّد البشر آدم ، و سيّد ولد آدم أنت ، وسيّد الروم صهيب ، و سيّد فارس سلمان ، و سيّد الحبش بلال ، و سيّد الشجر السّدر و سيّد الطير النسر ، و سيّد الشهور رمضان ، و سيّد الأيّام يوم الجمعة ، و سيّد الكلام العربيّة ، وسيّد العربيّة القرآن ، و سيّد القرآن سورة البقرة [١] .

و قال : البازي أفصح لغاته مخفّفة الياء ، والثانية باز ، والثالثة بازيّ بتشديد الياء ، والتثنية بازان [٢] ، والجمع بزاة ، و في عجائب المخلوقات : لا يكون إلاّ أنثى وذكرها من أنواع أخر [٣] من الحداء والشواهين ولهذا اختلف أشكالها [٤].

و قال : طاووس في طبعه العفّة و حبّ الزهو [٥] بنفسه والخيلاء والاعجاب بريشه و عقده لذنبه كالطاق ، لا سيّما إذا كانت الأنثى ناظرة إليه ، إلى آخر ما سيأتي [٦] .

و قال في الدرّاج : و هو القائل : « بالشكر قدوم النعم » و صوته مقطّع على هذه الكلمات [٧] .

---

(١) حياة الحيوان : ٢٥١ و ٢٥٢ .

(٢) في المصدر: والتثنية بازيان .

(٣) في المصدر: من نوع آخر كالحداء .

(٤) حياة الحيوان : ٧٧ .

(٥) الزهو : الفخر . التيه والكبر .

(٦) حياة الحيوان ٢ : ٥٩ .

(٧) » » ١ : ٢٤٣ .

و في القاموس : القرقرة هدير البعير و صوت الحمام انتهى [١] .

والباشق : معرّب باشه [٢] وهو معروف ، و الحدأة كعنبة : طائر معروف [٣] .

و قال الدميريّ : إنّ العقاب إذا صاحت تقول : « في البعد من الناس راحة » [٤] .

و قال : الكركي : طائر كبير معروف ، والجمع الكراكي ، و هو من الحيوان الذي لا يصحّ إلاّ برئيس ، و في طبعه التناصر ، ولا تطير الجماعة منه متفرّقة بل صفّا واحداً يقدمها واحد منها كالرائس [٥] و هي تتبعه يكون ذلك حينا ثمّ يخلفه آخر منها مقدّماً حتّى يصير الذي كان مقدّماً مؤخّراً [٦] و قال : الدبسيّ بفتح الدال و ضمّها : طائر صغير منسوب إلى دبس الرطب ، وهو قسم من الحمام البريّ [٧] و قال : العقعق كثعلب تسمّى كندش ، و هو طائر على قدر الحمامة و على شكل الغراب ، و جناحاه أكبر من جناحي الحمامة ، و هو ذولونين : أبيض وأسود ، طويل الذنب لا يأوي تحت سقف ولا يستظلّ به ، وفي طبعه الزنا والخيانة و يوصف بالسرقة والخبث [٨] و قال : الببّغاء بثلاث باءات موحّدات أولاهنّ و ثالثتهنّ مفتوحات [٩] والثانية ساكنة ، و بالغين المعجمة ، هي الطائر الأخضر المسمّى بالدرّة ، و هي في قدر الحمامة يتّخذها الناس للانتفاع بصوتها ، ولها قوّة على حكاية الأصوات وقبول

---

(١) القاموس : مادة القر .

(٢) « : مادة بشق .

(٣) « : مادة الحدأ .

(٤) حياة الحيوان ٢ : ٨٧ فيه : عن الناس .

(٥) فى المصدر : كالرئيس لها .

(٦) حياة الحيوان ٢ : ١٩٤ .

(٧) « « ١ : ٢٣٨ .

(٨) « « ٢ : ١٠٢ .

(٩) فى المصدر : مفتوحتان .

التلفين يتّخذها الملوك والأكابر لتنمّ ما تسمع من الأخبار، و تتناول مأكولها برجلها [١] كما يتناول الإنسان الشيء بيده [٢] و في القاموس: الببغاء و قد تشدّد الباء الثانية: طائر أخضر [٣].

قوله: قرب الحقّ على بناء المجرّد أو التفعيل، والحقّ: الربّ سبحانه أو القيامة أو ضدّ الباطل.

و قال الدميريّ: القبجة اسم جنس تقع على الذكر والأنثى [٤].

و قال: السماني بضمّ السّين و فتح النون [٥]: اسم طائر يلبد بالأرض ولايكاد يطير إلاّ أن يطار، وإذا سمع الرعد مات، و يسكت في الشتاء وإذا أقبل الربيع يصيح [٦].

و في القاموس: السوذنيق كزنجبيل و يضمّ أوّله والسيذنوق بضمّ أوّله وفتحه وكسر النون وفتحه، والسّذانق بفتح النون وضمّه، والسوذنيق: الصقر والشاهين [٧].

و قال الدميريّ: الفاختة واحدة الفواخت، من ذوات الأطواق، و هي بفتح الفاء و كسر الخاء المعجمة و بالتاء المثنّاة في آخرها، قاله في الكفاية، و زعموا أنّ الحيّات تهرب من صوتها، و فيها فصاحة و حسن صوت و في طبعها الانس بالناس و تعيش في الدور، والعرب تصفها بالكذب، فان صوتها عندهم «هذا أوان الرطب» تقول ذلك والنخل لم تطلع.

و أقول: المشهور أنّها بالتاء المثنّاة الفوقانيّة كما في القاموس و غيره، و قال الدميريّ: الشقراق بفتح الشين و كسرها و ربّما قالوا: الشرقراق: طائر هو صغير

---

(١) في المصدر: لينم بما يسمع من الاخبار و يتناول مأكوله برجله.

(٢) حياة الحيوان ١: ٨٠.

(٣) القاموس: الببغاء.

(٤) حياة الحيوان ٢: ١٦٩.

(٥) في المصدر: على وزن الحبارى.

(٦) حياة الحيوان ٢: ١٨.

(٧) القاموس: السوذنيق.

يسمّى الأخيل ، والعرب تتشاءم به ، وهو أخضر مليح بقدر الحمامة ، خضرته حسنة مشبعة ، في أجنحته سواد ، وله مشتّى و مصيف ، و يكون مخططاً بحمرة و خضرة وسواد[١] وفي القاموس : القبّر كسكّر و صرد : طائر ، الواحدة بهاء ويقال : القنبراء والجمع قنابر ، ولا تقل : قنبرة كقنفذة أو لغيّة [٢] .

و قال الدميريّ : الورشان : ساق حر و هو ذكر القماريّ ، و قيل : إنّه طائر متولّد بين الفاختة والحمامة يوصف بالحنوّ على أولاده حتّى إنّه ربّما قتل نفسه إذا رآها في يد القانص ، قال عطاء : إنّه يقول : لدوا للموت و ابنوا للخراب ، وهذه لام العاقبة مجازاً [٣] .

و قال : الشفنين بالكسر : متولّد بين نوعين مأكولين ، وعدّه الجاحظ في أنواع الحمام ، و قيل : هو الذي تسمّيه العامّة اليمام ، و صوته في الترنّم كصوت الرباب و فيه تحزين و تحسن أصواتها إذا اختلطت ، و من طبعه إذا فقد أنثاه لم يزل اغرب إلى أن يموت ، وكذلك الأنثى [٤] .

و قال : ذكر الثعلبيّ أنّ آدم عليه السلام لمّا خرج من الجنّة اشتكى الوحشة [٥] فآنسه الله بالخطاف و ألزمها البيوت فهي لا تفارق بني آدم أنساً لهم ، قال : و معها أربع آيات من كتاب الله عزّ وجلّ : « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدّعاً من خشية الله » إلى آخر السورة[٦] ، وتمدّ صوتها بقوله : «العزيز الحكيم»[٧] .

---

(١) حياة الحيوان ٢ : ٣٨ .

(٢) القاموس : القبر .

(٣) حياة الحيوان ٢ : ٢٨٤ .

(٤) حياة الحيوان ٢ : ٣٦ .

(٥) فى المصدر : اشتكى الى الله تعالى الوحشة .

(٦) الحشر : ٢٠ ـ ٢٤ .

(٧) حياة الحيوان ١ : ٢١٣ .

و قال : الزرّافة بفتح الزاي و ضمّها : حسنة الخلق ، طويلة اليدين قصيرة الرجلين ، مجموع يديها ورجليها نحو عشرة أذرع ، رأسها كرأس الابل ، وقرنها كقرن البقر ، و جلدها كجلد النمر ، وقوائمها و أظلافها كالبقر ، و ذنبها كذنب الظبي، ليس لها رُكب في رجليها ، إنّما ركبتاها في يديها ، و إذا مشت قدّمت الرجل اليسرى و اليد اليمنى بخلاف ذوات الأربع فانّها تقدّم اليد اليسرى ، و من طبعها التودّد والتأنّس [١] و لمّا علم الله أنّ قوتها في الشجر [٢] جعل يديها أطول من رجليها لتستعين بذلك على المرعى منها [٣] ، و قيل : هي متولّدة بين ثلاثة حيوانات : الناقة الوحشيّة ، والبقرة الوحشيّة ، والضبعان [٤] .

أقول : سيأتي تمام القول في ذلك إنشاء الله .

و قال الدميريّ : الحمل : الخروف إذا بلغ ستّة أشهر : و قيل : هو ولد الضأن الجذع فما دونه [٥] .

٩ ـ المناقب [٦] : تفسير الثعلبيّ : قال الصادق عليه السلام : قال الحسين بن عليّ صلوات الله عليهما : إذا صاح النسر قال : ابن آدم ! عش ما شئت آخره الموت ، وإذا صاح الغراب قال : إنّ في البعد من الناس أُنساً ، وإذا صاح القنبرة قال : اللّهمّ العن مبغضي آل محمّد ، و إذا صاح الخطاف قرأ : « الحمد لله ربّ العالمين » ويمدّ « الضّالين » كما يمدّها القارىء [٧] .

---

(١) في المصدر : فانها تقدم اليد اليمنى والرجل اليسرى ، و من طبها التودد والتأنس و تجتر و تبعر .

(٢) في المصدر : من الشجر .

(٣) « « : على الرعى منها بسهولة .

(٤) حياة الحيوان ٢ : ٤ .

(٥) « « ١ : ١٩٢ .

(٦) في المطبوع : العياشي والمناقب ، و لعله و هم .

(٧) مناقب آل ابي طالب ٣ : ٢٢٣ .

١٠ ـ الكافي : عن أبي عبد الله العاصميّ ، عن عليّ بن الحسن الميثميّ ، عن عليّ بن أسباط ، عن أبيه أسباط بن سالم ، عن سالم مولى أبان ، قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : ما من طير يصاد إلّا بتركه التسبيح ، و ما من مال يصاب إلّا بترك الزكاة [١] .

١١ ـ و منه : عن محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد ، عن الحسين بن سعيد ، عن إبراهيم بن أبي البلاد ، عن بعض أصحابه ، عن أبي جعفر عليه السلام ، أو عن أبي عبد الله عليه السّلام قال : ما طلعت الشمس بيوم أفضل من يوم الجمعة ، و إنّ كلام الطير فيه إذا لقي [٢] بعضه بعضا : سلام سلام يوم صالح [٣] .

١٢ ـ الاختصاص : عن ابن عبّاس قال : شهدنا مجلس أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب صلوات الله و سلامه عليه فاذا نحن بعدّة من العجم فسلّموا عليه فقالوا : جئناك لنسألك عن ستّ خصال ، فان أنت أخبرتنا آمنّا و صدّقنا ، و إلّا كذّبنا وجحدنا ، فقال عليّ عليه السلام : سلوا متفقهين ولا تسألوا متعنّتين ، قالوا : أخبرنا ما يقول الفرس : في صهيله ، والحمار في نهيقه ، والدرّاج في صياحه ، والقنبرة في صفيرها ، والديك في نعيقه والضفدع في نقيقه ؟ فقال عليّ عليه السلام : إذا التقى الجمعان و مشى الرجال إلى الرجال بالسيوف يرفع الفرس رأسه فيقول : « سبحان الملك القدّوس » و يقول الحمار في نهيقه : « اللهمّ العن العشّارين » و يقول الديك في نعيقه بالأسحار : « اذكروا الله يا غافلين » و يقول الضفدع في نقيقه : « سبحان المعبود في لجج البحار » و يقول الدرّاج في صياحه : « الرحمن على العرش استوى » و تقول القنبرة في صفيرها : « اللّهم العن مبغضي آل محمّد » قال : فقالوا : آمنّا و صدّقنا و ما على وجه الأرض من هو أعلم منك ، فقال عليه السلام : ألا اُفيدكم ؟ قالوا : بلى يا أمير المؤمنين ، فقال : إنّ للفرس في كلّ يوم ثلاث دعوات مستجابات ، يقول في أوّل نهاره :

---

(١) فروع الكافي ٣ : ٥٠٥ طبعة الاخوندى .

(٢) في المصدر : اذا التقى .

(٣) فروع الكافي ٣ : ٤١٥ و ٤١٦ .

« اللّهمّ وسّع على سيّدي الرزق » و يقول في وسط النهار : « اللّهم اجعلني أحبّ إلى سيّدي من أهله و ماله » و يقول في آخر نهاره : اللّهم ارزق سيّدي على ظهري الشهادة [١] .

بيان : نعق الغراب بالعين المهملة والمعجمة ينعق نعيقا : صاح ، و نقّ الضفدع ينقّ نقيقا : صاح .

١٣ ـ الاختصاص : عن أحمد بن محمّد بن عيسى و أحمد بن الحسن بن فضّال عن الحسن بن فضّال [٢] عن عبد الله بن بكير عن زرارة عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إنّ ناضحا [٣] كان لرجل من الانصار فلمّا استنّ [٤] قال بعض أهله : لو نحرتموه ، فجاء البعير إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فجعل يرغو ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله إلى صاحبه ، فلمّا جاء قال له النبيّ : إنّ هذا يزعم أنّه كان لكم شابّاً حتّى إذا هرم و إنّه قد نفعكم و إنّكم أردتم نحره [٥] فقال : صدق ، فقال : لا تنحروه و دعوه [٦] .

١٤ ـ و منه : عن أحمد بن محمّد بن عيسى عن العبّاس بن معروف عن عبدالرحمن ابن حمّاد عن محمّد بن الحسن بن أبي خالد [٧] قال : خرجت مع عليّ بن الحسين عليه السلام

---

(١) الاختصاص : ١٣٦ .

(٢) في المصدر : « احمد بن الحسن بن على بن فضال عن عبدالله بن بكير » ولعل فيه سقط ، والحسن بن فضال اى الحسن بن على بن فضال .

(٣) الناضح : البعير الذى يستقى عليه .

(٤) في المصدر : « استسن » و هو الصحيح اى كبرت سنه .

(٥) في المصدر : ثم انكم اردتم نحره .

(٦) الاختصاص : ٢٩٤ فيه : و دعوه فدعوه .

(٧) الظاهر انه هو محمد بن الحسن شنبولة القمى الاشعرى المعدود من اصحاب الرضا عليه السلام ، والرواية مرسلة ، ورواه الصفار فى البصائر : ١٠١ عن محمد بن الحسين عن العباس بن معروف عن ابى القاسم الكوفى عن محمد بن الحسن بن محمد بن عمران زرعة عن سماعة عن ابى بصير عن رجل ، و رواه ايضا الطبرى فى دلائل الامامة ٨٨ : عن

إلى مكّة فلمّا دخلنا الأبواء كان على راحلته و كنت أمشي فوافى غنما و إذا نعجة قد تخلّفت عن الغنم و هي تثغو ثغآء شديداً و تلتفت ، و إذا رخلة خلفها تثغو وتشتدّ في طلبها ، فلمّا قامت الرخلة ثغت النعجة فتبعتها الرخلة ، فقال علي بن الحسين عليه السلام يا عبد العزيز أتدري ما قالت النعجة ؟ قلت : لا والله ، ما أدري، قال : فانّها قالت : الحقي بالغنم فانّ أختها عام الأوّل تخلّفت في هذا الموضع فأكلها الذئب [1] .

بيان : الثغاء : صياح الغنم ، والرخل بكسر الراء : الانثى من سخال الضأن .

١٥ ـ الاختصاص : عن أحمد بن محمّد بن عيسى و أحمد بن الحسن بن فضّال ، عن الحسن بن فضّال [2] ، عن عبد الله بن بكير ، عن بعض أصحابنا ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنّ الذئاب جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله تطلب أرزاقها ، فقال لأصحابه : إن شئتم صالحتها على شيء تخرجوه إليها ولا ترزأ [3] من أموالكم شيئاً ، وإن تركتموها تعدو وعليكم حفظ أموالكم ، قالوا : بل نتركها كما هي تصيب منّا ما أصابت ونمنعها ما استطعنا [4] .

١٦ ـ و منه : عن عبد الله بن محمّد عن محمّد بن إبراهيم عن بشر و إبراهيم ابني محمّد عن أبيهما عن حمران عن علي بن الحسين عليه السلام قال : كان قاعداً في جماعة من أصحابه إذ جاءته ظبية فبصبصت عنده و ضربت بيديها ، فقال أبو محمّد عليه السلام : أتدرون ما تقول

العباس بن معروف و فيه : « الحسن بن عمران » والظاهر انه و ما في البصائر مصحفان والصحيح : « الحسن بن محمد بن عمران » و هو الحسن بن محمد بن عمران بن عبد الله الاشعرى بقرينة روايته عن زرعة . و في اسناد دلائل الامامة ايضا سقط و ارسال راجعه . والظاهر من متن الاختصاص والبصائر أن الذى يروى عن الامام عليه السلام رجل اسمه عبد العزيز فتأمل .

(١) الاختصاص : ٢٩٤ .

(٢) في المصدر : الحسن بن على بن فضال .

(٣) رزأ الرجل ماله : اصاب منه شيئا مهما كان اى نقصه .

(٤) الاختصاص : ٥٩٥ و رواه في البصائر : ١٠١ راجعه .

هذه الظبية ؟ قالوا : لا ، قال : تزعم هذه الظبية أنّ فلان ابن فلان - رجلا من قريش اصطاد خشفا لها في هذا اليوم ، و إنّما جاءت أن أسأله أن يضع الخشف بين يديها فترضعه .

ثمّ قال أبو محمّد عليه السلام لأصحابه : قوموا بنا ، فقاموا بأجمعهم فأتوه ، فخرج إليهم فقال لأبي محمّد : فداك أبي و اُمّي ما جاء بك ؟ فقال : أسألك بحقّي عليك إلاّ أخرجت إليّ الخشف الذي اصطدتها اليوم ، فأخرجها فوضعها بين يدي اُمّها فأرضعتها فقال عليّ بن الحسين عليه السلام : أسألك يا فلان لمّا وهبت لنا الخشف ، قال : قد فعلت فأرسل الخشف مع الظبية فمضت الظبية فبصبصت و حرّكت ذنبها ، فقال عليّ بن الحسين عليه السلام : تدرون ماقالت الظبية ؟ قالوا : لا قال : قالت : ردّ الله عليكم كلّ غائب لكم و غفر لعليّ بن الحسين كما ردّ عليّ ولدي [1] .

بيان : بصبص الكلب : حرّك ذنبه ، والخشف مثلّثة : ولد الظبي أوّل ما يولد أو أوّل مشيه ، أو التي نفرت من أولادها و تشرّدت .

١٧ - نوادر الراوندي : باسناده ، عن جعفر بن محمّد عن آبائه عليهم السلام أنّ أباذرّ الغفاريّ رضي الله عنه تمعّك فرسه ذات يوم فحمحم في تمعّكه ، فقال أبوذرّ : هي حسبك الآن فقد استجيب لك ، فاسترجع القوم و قالوا : خولط أبوذرّ ، فقال للقوم: مالكم ، قالوا : تكلّم بهيمة من البهائم ؟ فقال أبوذرّ رضي الله عنه : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : إذا تمعّك الفرس دعا بدعوتين فيستجاب له يقول: «اللّهم اجعلني أحبّ ماله إليه » والدعوة الثانية : «اللّهم ارزقه على ظهري الشهادة » ودعوتاه مستجابتان [2] .

١٨ - و بهذا الاسناد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إذا كان يوم الجمعة نادت

---

(١) الاختصاص : ٢٩٧ والحديث يوجد في البصائر ١٠٣ و في دلائل الامامة ٨٩ و فيه اختصار و في ذيله : رد الله عليكم كل حق غصبتم عليه و كل غائب و كل سبب ترجونه و غفر الخ .

(٢) نوادر الراوندي : ١٥ فيه : اللهم ارزقه الشهادة على ظهري .

الطير الطير ، والوحش الوحش ، والسباع السباع : سلام عليكم هذا يوم صالح [۱]

۱۹ ـ نهج البلاغة من خطبة أمير المؤمنين عليه السلام في صفة عجيب خلق أصناف من الحيوان [۲] : ولو فكّروا في عظيم القدرة و جسيم النعمة ، لرجعوا إلى الطريق و خافوا عذاب الحريق ، و لكنّ القلوب عليلة ، والبصائر مدخولة ، ألا ينظرون إلى صغير ما خلق ، كيف أحكم خلقه و أتقن تركيبه ، وفلق له السّمع والبصر ، وسوّى له العظم والبشر ؟ انظروا إلى النملة في صغر جثّتها ولطافة هيئتها لا تكاد تنال بلحظ البصر ، ولا بمستدرك الفكر ، كيف دبّت على أرضها وضنّت [۳] على رزقها ، تنقل الحبّة إلى جحرها ، و تعدّها في مستقرّها ، تجمع في حرّها لبردها ، و في ورودها لصدرها ، مكفولة برزقها ، مرزوقة برفقها ، لا يغفلها المنّان ، ولا يحرمها الدّيان ، ولو في الصفا اليابس ، والحجر الجامس [٤] ولو فكّرت في مجاري أكلها و في علوها وسفلها و ما في الجوف من شراسيف بطنها و ما في الرأس من عينها و أذنها ، لقضيت من خلقها عجبا ، و لقيت من وصفها تعباً ، فتعالى الّذي أقامها على قوائمها ، و بناها على دعائمها ، لم يشركه في فطرتها فاطر ، ولم يعنه في خلقها قادر ، ولو ضربت في مذاهب فكرك لتبلغ غاياته مادلّتك الدلالة إلّا على أنّ فاطر النملة هو فاطر النخلة لدقيق تفصيل كلّ شيء ، وغامض اختلاف كلّ حيّ ، وما الجليل واللطيف والثقيل والخفيف والقويّ والضعيف في خلقه إلّا سواء ، كذلك السّماء والهواء والرياح والماء ، فانظر إلى الشمس والقمر والنّبات والشجر والماء والحجر ، و اختلاف هذا الليل والنهار و تفجّر هذه البحار ، و كثرة هذه الجبال ، و طول هذه القلال ، و تفرّق هذه اللغات والألسن المختلفات [۵] ، فالويل لمن جحد المقدّر ، و أنكر المدبّر ، زعموا أنّهم

(۱) نوادر الراوندى : ۲۴ .

(۲) فى المصدر : فى صفة خلق أصناف الحيوان .

(۳) فى المصدر و نسخة من الكتاب : وصبت .

(۴) الجامس : الجامد .

(۵) زاد فى هامش طبعة الكمبانى « فالويل لمن أنكر المختلفات » ولكن سائر النسخ والمصدر خالية عنها.

كالنبات ما لهم زارع ، ولا لاختلاف صورهم مانع ، ولم يلجأوا إلى حجّة فيما ادّعوا ولا تحقيق لما اوعوا ، و هل يكون بناء من غير بان ، أو جناية من غير جان و إن شئت قلت في الجرادة إذ خلق لها عينين حمراوين ، وأسرج لها حدقتين قمراوين وجعل لها السّمع الخفيّ ، وفتح لها الفم السويّ ، وجعل لها الحسّ القويّ . ونابين بهما تقرض ، و منجلين بهما تقبض ، يرهبها الزراع في زرعهم ولا يستطيعون ذبّها ولو أجلبوا بجمعهم حتّى ترد الحرث في نزواتها ، و تقضي منه شهواتها ، و خلقها كلّه لا يكون أصبعا مستدقّة .

فتبارك الله الذي يسجد له من في السّماوات والأرض طوعاً و كرهاً و يعفّر له [1] خدّاً و وجهاً ، و يلقي بالطاعة إليه سلماً وضعفاً ، ويعطي له القياد رهبة وخوفاً فالطير مسخّرة لأمره ، أحصى عدد الريش منها والنفس ، وأرسى قوائمها على الندى واليبس ، قدّر أقواتها ، و أحصى أجناسها ، فهذا غراب و هذا عقاب و هذا حمام وهذا نعام ، دعا كلّ طير باسمه ، و تكفّل برزقه [2]، وأنشأ السّحاب الثقال فأهطل ديمها و عدد قسمها ، فبلّ الأرض بعد جفوفها ، و أخرج نبتها بعد جدوبها [3] .

تبيين : التفكير : إعمال النظر في الشيء ، يقال : فكر فيه كضرب ، و فكّر بالتشديد و أفكر و تفكّر بمعنى ، والجسيم : العظيم ، والحريق اسم من الاحتراق والبصائر جمع البصيرة و هي والبصر بالتحريك : العلم والخبرة ، و في بعض النسخ : الأبصار موضع البصائر ، والدخل بالتحريك : ما داخلك من فساد في عقل أو جسم والعيب والريبة ، يقال : هذا الأمر فيه دخل ودغل بمعنى ، وقد دخل كفرح ، ودخل على البناء للمفعول ، والاحكام : الاتقان ، و ركّبه تركيبا أي وضع بعضه على بعض فتركّب ، و فلق كضرب أي شقّ فانفلق ، و منه « فالق الحبّ والنوى » [4] و استوى

(١) فى المصدر : و يمنو له .

(٢) « « و فى نسخة من الكتاب : و كفل له برزقه .

(٣) نهج البلاغة ١ : ٣٧٣-٣٧٦ .

(٤) الانعام : ٩٥ .

الشيء : اعتدل ، و سوّيته : عدلته ، والنملة واحدة النمل ، والجثّة بالضمّ للانسان : شخصه قاعداً أو نائما ، فان كان منتصبا فهو طلّ بالتحريك ، والشخص عام ، كذاقيل .

و في القاموس : جثّة الانسان : شخصه ، و لطف الشيء ككرم لطافة بالفتح و قيل : هو اسم أي صغر و دقّ ، والهيئة : حال الشيء وكيفيّته ، و نلته بالكسر أنيله أي أصبته ، واللحظ في الاصل : النظر بمؤخّر العين و هو أشدّ التفاتا من الشزر و في بعض النسخ : بلحظ النظر ، واستدرك الشيء وأدركه بمعنى ، ذكره الجوهريّ و استدركت ما فات و تداركته بمعنى ، و استدركت الشيء بالشيء أي حاولت إدراكه به ، والفكر كعنب جمع فكرة بالكسر و هو إعمال النظر ، و قيل : اسم من الافتكار كالعبرة من الاعتبار ، و في بعض النسخ : الفكر بسكون العين ، و مستدرك الفكر على بناء المفعول يحتمل أن يكون مصدراً أي إدراك الفكر أو يطلبها الادراك ، ولعلّه أنسب بقوله عليه السلام : « بلحظ البصر » وأن يكون اسم مفعول أي بالفكر الذي يدركه الانسان و يصل إليه أو يطلب إدراكه أي منتهى طلبه لايصل إلى إدراك ذلك ، وأن يكون اسم مكان ، والباء بمعنى في ، و دبّ كفرّ أي مشى رويداً ، و صبّت على بناء المفعول من الصبّ و هو في الأصل الاراقة ، و قيل : هو على العكس أي صبّت رزقها عليها والظاهر أنّه لا حاجة إليه ، أي كيف أُلهمت حتّى انحطّت على رزقها ، و استعير له الصبّ لهجومها عليه ، و في بعض النسخ : « وضنّت » بالضّاد المعجمة والنون على بناء المعلوم أي بخلت برزقها ، وذكر دبيبها لأنّه متوقف على القوائم والمفاصل والقوى الجزئيّة ، وتركّبها فيها مع غاية صغرها على وجه تنتظم به حركاتها السريعة المتتابعة مظهر للقدرة و لطيف الصنعة ، و ذكر الصبّ أو الضنّة للدلالة على علمها بحاجتها إلى الرزق و حسن نظرها في الاعداد والحفظ ، والجحرة بالضمّ : الحفرة التي تحتفرها الهوامّ والسّباع لأنفسها ، وأعدّه أي هيّأه ، ومستقرّها : موضع استقرارها ، والورود في الاصل : الاشراف على الماء للشرب ، والصدر بالتحريك : رجوع الشاربة من الورود كانّ المعنى : تجمع في أيّام التمكّن من الحركة لأيّام العجز عنها ، فانّها تظهر في الصيف و تخفى في الشتاء لعجزها عن البرد ، و كفل كنصر و قيل : كعلم و شرف أي

ضمن ، قيل : تقول : كفلته و به و عنه : إذا تحمّلت به ، بوفقها أي بقدر كفايتها [١] وأغفلت الشيء إغفالاً أي تركته إهمالاً من غير نسيان ، والمنّان: المنعم المعطي من المنّ بمعنى العطاء لا من المنّة ، وقد يشتقّ منه وهو مذموم ، و حرمه كمنعه : ضدّ أعطاه والديّان : الحاكم والقاضي ، وقيل : القهّار ، وقيل : السائس و هو القائم على الشيء بما يصلحه كما تفعل الولاة والأُمراء بالرعيّة ، و وجه المناسبة على الأخير واضح و لعلّه على الأوّل هو أن إعطاء كلّ شيء ما يستحقّه ولو على وجه التفضّل من فروع الحكم بالحقّ ، وعلى الثاني الاشعار بأنّ قهره سبحانه لا يمنعه عن العطاء كما يكون في غيره أحياناً ، والصفا مقصوراً : الحجارة ، و قيل : الحجر الصّلد الضخم لا ينبت شيئاً والواحدة صفاة ، و جمس و جمد بمعنى ، وقيل : أكثر ما يستعمل في الماء جمد ، و في السمن و غيره جمس ، و صخرة جامسة أي ثابتة في موضعها ، والأُكل بالضمّ كما في بعض النسخ و بضمّتين كما في بعضها : المأكول ، والأُكلة بالضمّ : اللقمة ، و علوها و سفلها بالضمّ فيهما في بعض النسخ ، و بالكسر في بعضها ، والضميران كالسوابق .

قال بعض شرّاح النهج : علوها : رأسها وما يليه إلى الجزء المتوسّط ، ويحتمل رجوعهما إلى المجاري ، والشراسيف : مقاط الأضلاع و هي أطرافها التي تشرف على البطن ، وقيل : الشرسوف كعصفور : غضروف معلّق بكلّ ضلع مثل غضروف الكتف ، ولا حاجة إلى الحمل على المجاز كما يظهر من كلام بعض الشارحين ، والأُذن بضمّتين في النسخ ، والقضاء يكون بمعنى الأداء ، قال الله تعالى : « فاذا قضيتم مناسككم [٢] » و قال : « فاذا قضيتم الصّلاة » [٣] و قضاء العجب : التعجّب أو التعجّب الكامل ، وقال بعض الشارحين : يحتمل أن يكون بمعنى الموت من قولهم : قضى فلان أي مات ، أي لقضيت نحبك من شدّة تعجّبك ، و يكون « عجباً » نصباً على المفعول له ، و لا يخفى بعده ، والدعامة والدعام بالكسر فيهما : عماد البيت ، والخشب المنصوب للتعريش

(١) او بما يوافقها من الرزق .

(٢) البقرة : ٢٠٠ .

(٣) النساء : ١٠٣ .

و فيه تشبيه لها بالبيت المبنيّ على الدعائم ، و في بعض النسخ : « لم يعنه » والضرب في الأرض : السير فيها أو الاسراع فيه ، والدلالة بالفتح كما في بعض النسخ و بالكسر كما في بعضها : الاسم من قولك : دلّه إلى الشيء وعليه ، أي أرشده وسدّده ، والغامض: خلاف الواضح ، والغرض من الكلام دفع توهّم يسر الخلق و سهولة الابداع في بعض الأشياء للصغر و خفاء دقائق الصنع ، والجليل : العظيم ، يقال : جلّ كفرّ جلالة بالفتح أي عظم ، والغرض استواء نسبة القدرة الكاملة إلى الأنواع ، كذلك السّماء قيل : المشبّه به الأمور المتضادّة السابقة ، والمشبّه هو السماء والهواء والرياح والماء و وجه الشبه هو حاجتها في خلقها و تركيبها و أحوالها المختلفة والمتّفقة إلى صانع حكيم ، و يحتمل أن يكون التشبيه في استواء نسبة القدرة .

فانظر إلى الشمس والقمر الخ ، أي تدبّر فيما أودع في هذه الاشياء من غرائب الصنعة ولطائف الحكمة ، وقيل: استدلال بامكان الاعراض على ثبوت الصانع بأن يقال : كلّ جسم يقبل لجسميّته المشتركة بينه وبين سائر الاجسام ما يقبله غيره من الاجسام فاذا اختلف الاجسام في الاعراض فلابدّ من مخصّص و هو الصانع الحكيم انتهى .

و اختلاف الليل والنهار : تعاقبهما ، و فجّر الماء أي فتح له طريقا فتفجّر وانفجر أي جرى وسال، والمراد بالبحار الأنهار العظيمة أو البحار المعروفة ،وتفجّرها: جريانها لو وجدت طريقاً ، والقلال كجبال جمع قلّة بالضمّ وهي أعلى الجبل ، وقيل: الجبل ، وتفرّق اللغات : اختلافها وتباينها كما قال عزّ وجلّ : « واختلاف ألسنتكم و ألوانكم » [1] والويل : الحزن والهلاك والمشقّة من العذاب ، و علم واد في جهنّم والجملة تحتمل الاخبار والدعاء ، قال سيبويه : الويل مشترك بين الدعاء والخبر .

والمراد بالنبات ما ينبت في الصّحاري والجبال من غير زرع ، وليس المراد أنّ النبات ليس له مقدّر ولامدبّر ، بل المعنى أنّ النبات المذكور كما أنّه ليس له مدبّر من البشر يزعمون أنّ الانسان يحصل من غير مدبّر أصلا ، و قيل : المراد أنّهم قاسوا

---

(١) الروم : ٢٢ .

أنفسهم على النبات الذي جعلوا من الأُصول المسلّمة أنّه لا مقدّر له بل ينبت بنفسه من غير مدبّر ، و ذكر الاختلاف في الصّور لأنّه من الدلائل الواضحة على الصّانع لم يلجأوا أي لم يستندوا ، والغرض استنادهم في دعواهم إلى قياس باطل وظنّ ضعيف كما قال عزّ وجلّ : « و ما لهم بذلك من علم إن هم إلّا يظنّون » [1] و أوعى الشيء و وعاه على المجرّد كما في بعض النسخ أي حفظه و جمعه ، أي لم يرتّبوا العلوم الضروريّة ، ولم يحصّلوا المقدّمات على وجهها حتّى تفضي إلى نتيجة صحيحة ، وجنى فلان جناية بالكسر أي جرّ جريرة على نفسه وقومه ، ويقال : جنيت الثمرة أجنيها و اجتنيتها أي اقتطفتها ، واسم الفاعل منها « جان » إلّا أنّ المصدر من الثاني «جنى» لا جناية ، والغرض دعوى الضرورة في الاحتياج إلى الصانع والفاعل كالبناء والجناية لا الاستناد إلى القياس .

قلت في الجرادة ، أي تكلّمت في بديع صنعتها و عجيب فطرتها ، و أسرج لها حدقتين ، أي جعلهما مضيئتين كالسّراج ، قمراوين أي منيرتين كالليلة القمر آء المضيئة بالقمر ، وجعل لها السّمع الخفيّ أي عن أعين الناظرين ، و قيل : المراد بالخفيّ اللطيف السّامع لخفيّ الاصوات ، فوصف بالخفّة مجازاً من قبيل إطلاق اسم المقبول على القابل و هو أنسب بقوله عليه السلام : وجعل لها الحسّ القويّ ، وقيل : أراد بحسّها قوّتها الوهميّة ، و بقوّته حذقتها [2] فيما ألهمت إيّاه من وجوه معاشها و تصرّفها يقال : لفلان حسّ حاذق : إذا كان ذكيّا فطنا درّاكاً ، والناب في الاصل : السنّ خلف الرباعيّة ، و قرض كضرب أي قطع ، والمنجل كمنبر : حديدة يقضب بها الزرع و قيل : المنجلان رجلاها شبّههما بالمناجل لعوجهما و خشونتهما ، و رهبه كعلم أي خاف ، و ذبّ عن حريمه كمدّ أي دفع وحمى ، وأجلبوا أي تجمّعوا و تألّبوا ، وأجلب على فرسه أي استحثّه للعدو بوكز أو صياح أو نحو ذلك ، بجمعهم أي بأجمعهم ، وكلمة

---

(١) الجاثيه : ٢٤ .

(٢) فى الشرح لابن ميثم : و بقوة حذقها .

« لو » للوصل ، والحرث : الزرع ، و نزا كدعا أي وثب « و خلقها » الجملة حاليّة و استدقّ صار دقيقا ، « الذي يسجد » أي حقيقة فانّه يسجد له الملائكة والمؤمنون من الثقلين «طوعاً» حالتي الشدّة والرخاء ، والكفرة له كرها حال الشدّة والضرورة أوأعمّ منها ومن السجدة المجازيّة وهي الخضوع والدخول تحت ذلّ الافتقار والحاجة كما مرّ مرارا ، والعفر بالتحريك و قد يسكن : وجه الارض و يطلق على التراب و عفره في التراب كضرب و عفّره تعفيراً أي مرغه فيه ، و كان التعفير في البعض كأهل السماوات كناية عن غاية الخضوع ، والالقاء بالطاعة مجاز عن الانقياد ، وفي بعض النسخ بالطاعة إليه ، والسلم بالكسر كما في بعض النسخ الصلح و بالتحريك كما في بعضها : الاستسلام والانقياد ، والقياد بالكسر : ما يقاد به وإعطاء القياد : الانقياد ، والرّهبة : الخوف ، و أرسى أي أثبت ، والندى[1] : البلل والمطر ، واليبس بالتحريك : ضدّ الرطوبة ، و طريق يبس أي لا نداوة فيه ولابلل والحمام بالفتح : كلّ ذي طوق من الفواخت والقماريّ والوراشين و غيرها ، والحمامة تقع على الذكر والأنثى كالحيّة والنعامة ، و اسم الجنس من النعامة نعام بالفتح والغرض بيان عموم علمه سبحانه و قدرته ، دعا كلّ طائر باسمه ، قيل : الدعاء استعارة في أمر كلّ نوع بالدخول في الوجود ، و قد عرفت أنّ ذلك الأمر يعود إلى حكم القدرة الالهيّة عليه بالدخول في الوجود كقوله تعالى : « فقال لها وللأرض ائتيا »[2] الآية ، ولمّا استعار الدعا رشّح بذكر الاسم لأنّ الشيء إنّما يدعى باسمه ، ويحتمل أن يريد الاسم اللغويّ و هو العلامة ، فانّ لكلّ نوع من الطير خاصّة وسمة ليست للآخر ، و يكون المعنى أنّه تعالى أجرى عليها حكم القدرة بما لها من السّمات والخواصّ في العلم الالهيّ واللوح المحفوظ ، وقال بعضهم : أراد أسماء الاجناس وذلك أنّ الله تعالى كتب في اللوح المحفوظ كلّ لغة تواضع عليها العباد في المستقبل وذكر

---

(١) الندى هنا : مقابل اليبس فيعم الماء كانه يريد ان الله جعل من الطير ما تثبت ارجله فى الماء و منه ما لا يمشى الاعلى الارض اليابسة .

(٢) فصلت: ١١ .

الأسماء التي يتواضعون عليها ، و ذكر لكلّ اسم مسمّاه فعند إرادة خلقها نادى كلّ نوع باسمه فأجاب داعيه و أسرع في إجابته ، و كفل برزقه أي ضمن ، والسحاب جمع سحابة و هي الغيم ، والهطل بالفتح : تتابع المطر أو الدمع و سيلانه ، و قيل : تتابع المطر المتفرّق العظيم القطر ، والديمة بالكسر : مطر يدوم في سكون بلا رعد و برق والجمع ديم كعنب ، و تعديد القسم : إحصاء ما قدّر منها لكلّ بلد و أرض على وفق الحكمة ، والبلّة بالكسر: ضدّ الجفاف، يقال: بلّه فابتلّ ، والجفوف بالضمّ : الجفاف بالفتح ، والجدوب بالضمّ : انقطاع المطر و يبس الارض .

٢٠ ـ الشهاب : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لو تعلم البهائم من الموت ما يعلم ابن آدم ما أكلتم سمينا [١] .

الضوء : في الحديث استزادة من بني آدم و إعلام أنّ البهائم لو كان لها عقل لكانت أضبط منهم ، و ذلك لأنّها ليست بمكلّفة ، ولوعلمت بالموت لم تأكل ولم تشرب فكانت تهزل و ابن آدم يأكل و يشرب و يعلم أنّه غدا ميّت ، و فيه تعيير بالقصور عن البهائم في هذه الخلّة خاصّة فعليك أيها العاقل بالانتباه من سنة الغفلة فانّ هذا الخطاب لك ، و فائدة الحديث إعلام أنّ البهائم الخرس لو علمت الموت لما سمنت بالرتوع في المراتع و لأمسكت عن الرعي [٢] .

٢١ ـ كتاب جعفر بن محمّد بن شريح : عن عبدالله بن طلحة ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ما يصاد من الطير إلّا ما ضيّع التسبيح [٣] .

٢٢ ـ أصل قديم منقول من خطّ التلّعكبري رحمه الله قال : أخبرني محمّد بن الحسن بن الوليد ، عن محمّد بن الحسن الصفّار ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، عن موسى ابن القاسم ، عن الحسن بن محبوب ، عن عليّ بن رئاب ، عن مولى للقميّين ، قد أخبرني عمّن أخبره ، عن أبي عبد الله عن آبائه عليهم السلام قال : قال رجل من اليهود لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يا محمّد أخبرني ما يقول الحمار في نهيقه ؟ و ما يقول الفرس في

(١) لم نجد الحديث في النسخة المطبوعة التي عندي من الشهاب .
(٢) لم نجد نسخة كتاب الضوء .　　(٣) الاصول الستة عشر : ٧٧ .

صهيله ؟ و ما يقول الدرّاج في صوته ؟ و ما تقول القنبرة في صوتها ؟ و ما يقول الضفدع في نقيقه ؟ و ما يقول الهدهد في صوته ؟ قال : فأطرق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثمّ قال : أعد عليّ يا يهوديّ قال : فأعاد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أما الحمار فيلعن العشّار، وأمّا الفرس فيقول : «الملك لله الواحد القهّار » وأمّا الدرّاج فيقول: « الرحمن على العرش استوى » و أمّا الديك فيقول : « سبّوح قدّوس ربّ الملائكة والروح» وأمّا الضفدع فيقول : « اذكروا الله يا غافلين » و أمّا الهدهد فيقول : « رحمك الله يا داود » يعني سليمان بن داود ، وأمّا القنبرة فيقول: لعن الله من يبغض أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[1].

۲۳ ـ العلل : لمحمّد بن عليّ بن إبراهيم ، إنّما سمّيت الوحش لأنّها استوحشت من آدم يوم هبوطه[2].

۲۴ ـ المناقب : لابن شهر آشوب : روى أبوبكر الشيرازيّ بالاسناد عن مقاتل عن محمّد بن الحنفيّة ، عن أمير المؤمنين عليه السلام في قوله تعالى : « إنّا عرضنا الأمانة » عرض الله أمانتي[3] على السّماوات السّمع بالثواب والعقاب ، فقلن : ربّنا لا نحملها[4] بالثواب والعقاب ، ولكنّها نحملها بلا ثواب ولا عقاب، وإنّ الله عرض أمانتي وولايتي على الطّيور ، فأوّل من آمن بها البزاة البيض والقنابر ، و أوّل من جحدها البوم والعنقاء ، فأمّا البوم فلا تقدر أن تظهر بالنهار لبغض الطير لها ، و أمّا العنقاء فغابت في البحار لا ترى ، وإنّ الله عرض إمامتي على الأرضين ، فكلّ بقعة آمنت بولايتي جعلها طيّبة زكيّة وجعل نباتها وثمرها حلواً عذبا ، وجعل ماءها زلالاً ، و كلّ بقعة جحدت إمامتي و أنكرت ولايتي ، جعلها سبخة وجعل نباتها مرّاً علقما وجعل ثمرها العوسج والحنظل ، وجعل ماءها ملحا أجاجاً ، ثمّ قال : « و حملها الانسان » يعني أمّتك يا محمّد ولاية أمير المؤمنين و إمامته بما فيها من الثواب والعقاب ، « إنّه كان

---

(۱) لم نجد ذلك الاصل .

(۲) لم نجد العلل لمحمد بن ابراهيم .

(۳) هكذا في الكتاب و مصدره ولعل الصحيح : « امامتي » .

(۴) في المصدر : لا تحملنا .

ظلوماً » لنفسه « جهولاً » [١] لأمر ربّه ، من لم يؤدّها بحقّها فهو ظلوم غشوم [٢].

بيان : في القاموس : العلقم : الحنظل وكلّ شيء مرّ ، و النبقة المرّة ، فإن قلت : لمّا أبوا أوّلاً حملها كيف قبل بعض الطيور والأرضين ؟ قلت : ليس في أوّل الخبر ذكر الأرضين ولا في آخره العرض على السّماوات ، فلاتنافي ، لكن يرد عليه أنّه تفسير للآية ، وفيها ذكر إباء السّماوات والأرضين والجبال جميعا، فذكر السّماوات أوّلاً على المثال ، والاكتفاء في البعض لظهور البواقي ، فامّا أن يحمل العرض أوّلاً على العرض على مجموع السّماوات والأرضين والجبال إجمالاً ، والثاني على العرض على كلّ حيوان و كلّ بقعة تفصيلا ، أو يقال : ليس في أوّل الخبر إلاّ امتناعها عن الحمل بالثواب والعقاب ، فلاينافي قبول بعضها و ردّ بعضها عند العرض بلاثواب ولاعقاب ، فقوله: ولكنّا نحملها قول بعضهم ، أوقول الجملة باعتبار البعض ، أو يحمل الأوّل على الظاهريّ والثاني على القلبيّ والله يعلم .

٢٥ ـ الدرّ المنثور : عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال : إنّ إبراهيم حين ألقي في النار لم تكن في الأرض دابّة إلاّ تطفيء عنه النار غير الوزغ فانّه كان ينفخ على إبراهيم فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقتله .

و عن أمّ شريك عنه أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أمر بقتل الأوزاغ ، و قال :كانت تنفخ على إبراهيم عليه السلام .

و عن قتادة عن بعضهم عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال : كانت الضفدع تطفيء النار عن إبراهيم ، و كانت الوزغ تنفخ عليه ، فنهى عن قتل هذا ، و أمر بقتل الوزغ .

و عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لا تسبّوا الضفدع ، فانّ صوته تسبيح و تقديس و تكبير ، إنّ البهائم استأذنت ربّها في أن تطفيء النار عن إبراهيم فأذن للضفادع فتراكبت عليه فأبدلها الله بحرّ النار الماء [٣] .

---

(١) الاحزاب : ٧٢ .

(٢) مناقب آل ابى طالب ٢ : ١٤١ و ١٤٢ .

(٣) الدر المنثور ٤ : ٣٢١ و ٣٢٢ فيه : بحر النار برد الماء .

و عن ابن مسعود ، عن كعب الحبر قال : جاءت هامة [۱] إلى سليمان فقال : السّلام عليك يا نبيّ الله فقال : و عليك السّلام يا هام ، أخبرني كيف لا تأكلين الزرع فقالت : يا نبيّ الله لأنّ آدم عصى ربّه بسببه فلذلك لا آكله ، قال : فكيف لا تشربين الماء ؟ قالت : يانبيّ الله لأنّ الله أغرق بالماء قوم نوح ، من أجل ذلك تركت شربه قال : فكيف تركت العمران و سكنت الخراب ؟ قالت : لأنّ الخراب ميراث الله وأنا أسكن في ميراث الله ، و قد [۲] ذكر الله ذلك في كتابه فقال : « وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها » إلى قوله : « و كنّا نحن الوارثين » [۳] .

و عن أبي الصّديق الناجيّ قال : خرج سليمان بن داود يستسقي بالناس فمر على [٤] نملة مستلقية على قفاها رافعة قوائمها إلى السّماء و هي تقول : « اللّهم إنّا خلق من خلقك ليس لنا غنى عن رزقك فامّا أن تسقينا وإمّا أن تهلكنا ، فقال سليمان للناس : ارجعوا فقد سقاكم بدعوة غيركم [۵] .

و عن أبي الدرداء قال: كان داود عليه السلام يقضي بين البهائم يوما و بين الناس يوما فجاءت بقرة فوضعت قرنها على حلقة الباب ثمّ نغمت [٦] كما تنغم الوالدة على ولدها وقالت :كنت شابة كانوا ينتجوني و يستعملوني ، ثمّ إنّي كبرت فأرادوا أن يذبحوني فقال داود : أحسنوا إليها لا تذبحوها ، ثمّ قرأ [۷] « علّمنا منطق الطير و أوتينا من كلّ شيء » [۸] .

---

(۱) الهامة : طير الليل و هو الصدى : والصدى : الذكر من البوم .

(۲) لعله من كلام الراوى .

(۳) الدر المنثور ۵ : ۱۰۳ والاية فى القصص : ۵۸ .

(۴) فى المصدر : فمر بنملة .

(۵) الدر المنثور۵ : ۱۰۳.

(۶) فى المصدر : تنغمت .

(۷) أى أبا الدرداء .

(۸) الدر المنثور ۵ : ۱۰۳ والاية فى النمل : ۱۶ .

و عن نوف والحكم قالا : كان النمل في زمن سليمان أمثال الذباب [١] .

و عن ابن عبّاس أنّه سئل كيف تفقّد سليمان الهدهد من بين الطير ، قال : إنّ سليمان نزل منزلاً فلم يدر ما بعد الماء ، و كان الهدهد يدلّ سليمان على الماء فأراد أن يسأله عنه ففقّده ، قيل : كيف ذاك والهدهد ينصب له الفخّ يلقى عليه التراب و يضع له الصبيّ الحبالة فيغيبها فيصيدها ، فقال : إذا جاء القضاء ذهب البصر [٢] .

٢٦ ـ كتاب عبد الملك بن حكيم [٣] ، عن بشير النبّال ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سهر داود عليه السلام ليلة يتلو الزبور فأعجبته [٤] عبادته فنادته ضفدع : يا داود تعجب من سهرك ليلة ، و إنّي لتحت هذه الصخرة منذ أربعين سنة ما جفّ لساني عن ذكر الله عزّ وجلّ [٥] .

٢٧ ـ الخصال : عن محمّد بن الحسن بن الوليد ، عن محمّد بن الحسن الصفّار ، عن العبّاس بن معروف ، عن الحسن بن محبوب ، عن عليّ بن رئاب ، عن أبي حمزة الثمالي عن عليّ بن الحسين عليه السلام أنّه كان يقول : مابهمت البهائم عنه فلم تبهم عن أربعة: معرفتها بالربّ تبارك و تعالى ، و معرفتها بالموت ، و معرفتها بالأنثى من الذكر ، و معرفتها بالمرعى الخصب [٦] .

(١و٢) الدر المنثور ٥ : ١٠٤ .

(٣) اسناد الحديث على ما فى المصدر هكذا : الشيخ ابو محمد هارون بن موسى بن احمد التلعكبرى قال : اخبرنا ابوالعباس احمد بن محمد بن سعيد الهمدانى قال : اخبرنا على بن حسن بن على بن فضال قال : حدثنا جعفر بن محمد بن حكيم قال : حدثنى عمى عبدالملك بن حكيم.

(٤) فيه غرابة لان الانبياء عليهم السلام عندنا معصومون .

(٥) الاصول الستة عشر : ١٠١ .

(٦) الخصال ١ : ٢٦٠ طبعة الغفارى .

الكافي : عن العدّة عن سهل بن زياد عن ابن محبوب مثله [١] .

الفقيه : باسناده الصّحيح عن ابن رئاب مثله ، ثمّ قال رحمه الله : و أمّا الخبر الذي روي عن الصادق عليه السلام أنّه قال : « لو عرفت البهائم من الموت ما تعرفون ما أكلتم منها سميناقطّ » فليس بخلاف هذا الخبر لأنّها تعرف الموت ، لكنّها لاتعرف منه ما تعرفون [٢] .

٢٨ـ مجالس الشيخ : عن جماعة عن أبي المفضّل الشيبانيّ عن محمّد بن صالح بن فيض عن أحمد بن محمّد بن عيسى عن ابن محبوب عن ابن رئاب عن أبي حمزة قال : كان عليّ بن الحسين عليه السلام يقول : مهما اُبهمت عنه البهائم فلم تبهم عن أربع : معرفتها بالربّ عزّ وجلّ ، ومعرفتها بالمرعى الخصب ، ومعرفتها بالانثى عن الذكر ، و معرفتها بالموت و الفرار منه .

قال أبو المفضّل : حدّثنا محمّد بن صالح ، عن أحمد بن محمّد بجميع كتاب المشيخة عن ابن محبوب [٣] .

٢٩ ـ الكافي : عن أبي عليّ الأشعريّ عن محمّد بن عبد الجبّار عن الحجّال وابن فضّال عن ثعلبة عن يعقوب بن سالم عن رجل عن أبي عبد الله عليه السلام قال : مهما اُبهم على البهائم من شيء فلايبهم عليها أربع خصال ، معرفة أنّ لها خالقاً ، و معرفة طلب الرزق ، و معرفة الذكر من الاُنثى ، و مخافة الموت [٤] .

٣٠ ـ العلل : عن أبيه عن محمّد بن يحيى العطّار عن الحسن بن أبان [٥] عن محمّد ابن اُورمة عن الحسن بن عليّ عن عليّ بن عقبة عن بعض أصحابنا عن أبي عبد الله عليه السّلام قال : لقد شكرت الشياطين الاُرضة حين أكلت عصاة سليمان عليه السلام حتّى

---

(١) الكافى ٦ : ٥٣٩ طبعة الاخوندى .

(٢) من لا يحضره الفقيه ٢ : ١٨٨ طبعة الاخوندى .

(٣) المجالس والاخبار : ٢٦ (ط ١) و ٢٠٧ (ط ٢) .

(٤) الكافى ٦ : ٥٣٩ .

(٥) فى المصدر : عن الحسين بن الحسن بن أبان .

سقط ، و قالوا : عليك الخراب و علينا الماء والطين ، فلا تكاد تراها في موضع إلّارأيت ماء وطيناً [١] .

٣١ ـ المناقب لابن شهراشوب : في حديث أبي حمزة الثمالي أنّه دخل عبدالله ابن عمر على زين العابدين عليه السلام و قال : يا ابن الحسين أنت تقول : إنّ يونس بن متى إنّما لقي من الحوت ما لقي لأنّه عرضت عليه ولاية جدّي فتوقّف عندها ؟ فقال : بلى ثكلتك اُمّك ، قال : فأرني آية ذلك إن كنت من الصادقين ، فأمر بشدّ عينيه بعصابة وعينيّ بعصابة ، ثمّ أمر بعد ساعة بفتح أعيننا ، فاذا نحن على شاطىء البحر تضرب أمواجه ، فقال ابن عمر : يا سيّدي دمي في رقبتك ، الله الله في نفسي ، فقال : هيه وأريه إن كنت من الصادقين ، ثمّ قال : يا أيّتها الحوت ، قال : فاطلع الحوت رأسه من البحر مثل الجبل العظيم و هو يقول : لبّيك لبّيك يا وليّ الله ، فقال : من أنت ؟ قال : أنا حوت يونس يا سيّدي ، قال : أنبئنا بالخبر ، قال : يا سيّدي إنّ الله تعالى لم يبعث نبيّاً من آدم إلى أن صار جدّك محمّد صلى الله عليه وآله وسلم إلاّ و قد عرض عليه ولايتكم أهل البيت ، فمن قبلها من الأنبياء سلم و تخلّص ، و من توقّف عنها و تمنع [٢] في حملها لقي ما لقي آدم من المعصية ، و ما لقي نوح من الغرق ، و ما لقي إبراهيم من النار ، و ما لقي يوسف من الجبّ ، و ما لقي أيّوب من البلاء ، و ما لقي داود من الخطيئة ، إلى أن بعث الله يونس فأوحى الله إليه : أن يا يونس تولّ أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام والأئمّة الراشدين من صلبه ـ في كلام له ـ قال : فكيف أتولّى من لم أره ولم أعرفه ؟ و ذهب مغتاظاً ، فأوحى الله إليّ : أن التقمي يونس ولا توهني له عظما ، فمكث في بطني أربعين صباحا يطوف معي البحار في ظلمات ثلاث ينادي [٣] « لا إله إلاّ أنت سبحانك إنّي كنت من الظالمين » فقبلت

---

(١) علل الشرائع ١ : ٧٠ طبعة قم .

(٢) في المصدر . وتمتع في حملها .

(٣) « « : انه لا اله .

ولاية أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب والأئمّة الراشدين من ولده ، فلمّا أن آمن بولايتكم أمرني ربّي فقذفته على ساحل البحر ، فقال زين العابدين عليه السلام : ارجع أيّتها الحوت إلى وكرك و استوى الماء [١] .

أقول : قد مرّ شرح الخبر و تأويله في معجزات عليّ بن الحسين عليه السلام و باب أحوال يونس عليه السلام .

٣٢ ـ توحيد المفضّل : قال الصّادق عليه السلام يا مفضّل فكّر في هذه الأصناف الثلاثة من الحيوان و في خلقها على ما هي عليه بما فيه صلاح كلّ واحد منها ، فالانس لمّا قدّروا أن يكونوا ذوي ذهن و فطنة و علاج لمثل هذه الصناعات من البناء والنجارة والصناعة والخياطة [٢] وغير ذلك خلقت لهم أكفّ كبار ذوات أصابع غلاظ ، ليتمكّنوا من القبض على الأشياء ، وأوكدها هذه الصناعات ، و آكلات اللحم لمّا قدّر أن يكون معايشها[٣] من الصّيد خلقت لهم أكف لطاف مدمّجة [٤] ذوات براثن [٥] و مخاليب تصلح لأخذ الصّيد ولا تصلح للصناعات ، وآكلات النبات لمّا قدّر أن يكونوا لا ذات صنعة ولاذات صيد ، خلقت لبعضها أظلاف تقيها [٦] خشونة الارض

---

(١) مناقب آل ابى طالب ٣ : ٢٨١ .

(٢) فى النسخة المخطوطة : والصناعة (والخياطة خ) و فى كتاب التوحيد من البحار ٣ : ٩٢ : « والصياغة » و فى بعض النسخ : والخياطة .

(٣) فى النسخة المخطوطة : معايشهم .

(٤) قال المصنف فى كتاب التوحيد : مدمجة اى انضم بعضها الى بعض قال الجوهرى دمج الشىء دموجا : اذا دخل فى الشىء و استحكم فيه ، وادمجت الشىء : اذالففته فى ثوب وفى بعض النسخ : مدبجة بالباء والحاء المهملة ولعل المراد معوجة من قولهم : دبح تدبيحا اى بسط ظهره و طأطأ رأسه ، و هو تصحيف أقول : و يمكن أن يكون مصحف « مذبحة » كما فى بعض النسخ .

(٥) البراثن من السباع والطير : بمنزلة الاصابع من الانسان . والمخلب . ظفر البرثن .

(٦) فى نسخة : تقيمها .

إذا حاول طلب الرعي ، و لبعضها حوافر ململمة ذوات قعر كأخمص القدم تنطبق على الأرض ليتهيأ للركوب والحمولة .

تأمّل التدبير في خلق آكلات اللحم من الحيوان حين خلقت [1] ذوات أسنان حداد ، و براثن شداد ، و أشداق وأفواه واسعة ، فانّه لمّا قدّر أن يكون طعمها اللحم خلقت خلقة تشاكل ذلك و أعينت بسلاح و أدوات تصلح للصّيد ، و كذلك تجد سباع الطّير ذوات مناقير و مخاليب مهيّأة لفعلها ، ولو كانت الوحوش ذوات مخالب كانت قد أعطيت ما لا يحتاج إليه لأنّها لا تصيد ولا تأكل اللحم ، و لو كانت السّباع ذوات أظلاف كانت قد منعت ما تحتاج إليه أعني السّلاح الذي به تصيد و تتعيّش ، أفلا ترى كيف أعطي كلّ واحد من الصنفين ما يشا كل صنفه و طبقته بل ما فيه بقاؤه و صلاحه ؟

انظر الآن إلى ذوات الأربع كيف تراها تتبع أمّهاتها [2] مستقلّة بأنفسها لا تحتاج إلى الحمل والتربية كما تحتاج أولاد الانس ، فمن أجل أنّه ليس عند أمّهاتها ما عند امّهات البشر من الرفق والعلم بالتربية و القوّة عليها بالأكفّ والأصابع المهيّأة لذلك ، أعطيت النهوض و الاستقلال بانفسها ، و كذلك ترى كثيراً من الطير كمثل الدجاج والدّراج والقبج [3] تدرج وتلقط حين ينقاب عنها البيض ، فأمّا ما كان منها ضعيفا لا نهوض فيه كمثل فراخ الحمام واليمام والحمر فقد جعل في الأمّهات فضل عطف عليها فصارت تمجّ الطعام في أفواهها بعد ما توعيه حواصلها ، فلا تزال تغذوها حتّى تستقلّ بأنفسها ولذلك لم ترزق الحمام فراخاً كثيرة مثل ما ترزق الدجاج لتقوى الأمّ على تربية فراخها ، فلا تفسد ولا تموت ، فكلّ أعطي بقسط من تدبير الحكيم اللّطيف الخبير .

---

(١) في النسخة المخطوطة : حيث جعلت .

(٢) في المخطوطة و في التوحيد : اماتها .

(٣) القبج بالقاف و الباء المفتوحين : طائر يشبه الحجل .

انظر إلى قوائم الحيوان كيف تأتي أزواجا لتهيأ[۱] للمشي، ولوكانت أفراداً لم تصلح لذلك، لأنّ الماشي ينقل بعض قوائمه و يعتمد على بعض: فذو القائمتين ينقل واحدة و يعتمد على واحدة، و ذوالأربع ينقل اثنين و يعتمد على اثنين ، و ذلك من خلاف لأنّ ذا الأربع لوكان ينقل قائمتين من أحد جانبيه و يعتمد على قائمتين من الجانب الآخر لما يثبت على الأرض كما لايثبت السرير و ما اشبهه، فصار ينقل اليمنى من مقاديمه مع اليسرى من مآخيره، و ينقل الاخريين أيضاً من خلاف فيثبت على الأرض ولايسقط اذامشى .

أما ترى الحمار كيف يذلّ للطحن والحمولة وهو يرى الفرس مودعا منعّما، و البعير لايطيقه عدّة رجال لو استعصى كيف كان ينقاد للصّبي؟ والثور الشديدكيف كان يذعن لصاحبه حتى يضع النير على عنقه و يحرث به ؟ والفرس الكريم يركب السيوف و الأسنّة بالمواتاة[۲] لفارسه، و القطيع من الغنم يرعاه رجل واحد ، ولو تفرّقت الغنم فأخذكلّ واحد منها في ناحية لم يلحقها ، و كذلك جميع الأصناف المسخّرة للانسان،[۳] فبم كانت كذلك إلّا بأنّها عدمت العقل و الرويّة، فانّها لوكانت تعقل و تروّى[۴] في الأمور كانت خليقة أن تلتوي على الانسان في كثير من مآربه[۵] حتى يمتنع الجمل على قائده و الثور على صاحبه و تتفرّق الغنم عن راعيها و أشباه هذا من الأمور.

و كذلك هذه السّباع لوكانت ذات عقل و رويّة فتوازرت على الناس كانت خليقة أن تحاجّهم[۶]، فمن كان يقوم للأسد و الذئاب و النمورة و الدببة لو

---

(۱) فى كتاب التوحيد من البحار: لتتهيأ.
(۲) المواتاة: الموافقة.
(۳) فى الموضع المتقدم: مسخرة للانسان.
(۴) تروى: تفكر.
(۵) المآرب: الحوائج.
(۶) هكذا فى النسخ، وفى توحيد البحار: تجتاحهم، ولعله الصحيح اى تستأصلهم و تهلكهم .

تعاونت و تظاهرت على الناس؟ أفلاترى كيف حجر ذلك عليها و صارت مكان ما كان يخاف من إقدامها و نكايتها[١] تهاب مساكن الناس و تحجم عنها ثمّ لاتظهر ولاتنتشر لطلب قوتها إلاّ بالليل، فهي مع صولتها كالخائف للانس بلامقموعة[٢] ممنوعة منهم، ولولا ذلك لساورتهم في مساكنهم و ضيّقت عليهم[٣]، ثمّ جعل في الكلب من بين هذه السّباع عطف على مالكه ومحاماة عنه وحفاظاله، فهو ينتقل على الحيطان والسطوح في ظلمة الليل لحراسة منزل صاحبه وذبّ الدغارعنه[٤]، ويبلغ من محبّته لصاحبه أن يبذل نفسه للموت دونه و دون ماشيته و ماله، و يألفه غاية الالف حتى يصبر معه على الجوع و الجفوة، فلِم طبع الكلب على هذه الالف إلاّ ليكون حارسا للانسان ، له عين بأنياب ومخاليب و نباح هائل ليذعر منه السّارق و يتجنّب المواضع التي يحميها و يحضرها[٥] .

يا مفضّل تأمّل وجه الدّابة كيف هو؟ فانّك ترى العينين شاخصتين أمامها لتبصر مابين يديها لئلاّ تصدم حائطاً أو تتردّى في حفرة، وترى الفم مشقوقاً شقّاً في أسفل الخطم ولوشقّ كمكان الفم من الانسان في مقدّم الذقن لما استطاع أن يتناول به شيئاً من الأرض، ألاترى أنّ الانسان لايتناول الطعام بفيه ولكن بيده تكرمة له على سائر الآكلات فلمّا لم يكن للدّابّة يد تتناول بها العلف جعل خطمها مشقوقاً من أسفله لتقبض به على العلف ثمّ تقضمه، واُعينت بالجحفلة تتناول بها ما قرب ومابعد.

اعتبر بذنبها والمنفعة لها فيه فانّه بمنزلة الطبق على الدبر و الحياء جميعاً يواريهما و يسترهما، و من منافعها فيه أنّ ما بين الدبر و مراقي البطن منها وضر يجتمع عليه الذئاب و البعوض، فجعل لها الذنب كالمذبّة تذبّ بها عن ذلك الموضع ،

---

(١) نكى ينكى نكاية العدو و فى العدو: قهره بالقتل والجرح.

(٢) فى نسخة: غير مقمعة.

(٣) فى نسخة: وضيعت عليهم.

(٤) اى و دفع الهجوم عنه. و فى نسخة: و ذب الذعار عنه.

(٥) فى نسخة: (ويحفرها) و لعله مصحف: «ويخفرها» كما فى التوحيد من البحار.

و منها أن الدابّة تستريح إلى تحريكه و تصريفه يمنة و يسرة، فانّه لمّا كان قيامها على الأربع بأسرها و شغلت المقدمتان بحمل البدن عن التصرف و التقلّب كان لهافي تحريك الذنب راحة، وفيه منافع اُخرى يقصر عنها الوهم، يعرف موقعها في وقت الحاجة إليها، فمن ذلك أنّ الدابّة ترتطم في الوحل[1] فلا يكون شيء أعون على نهوضها من الأخذ بذنبها، و في شعر الذنب منافع للناس كثيرة يستعملونها في مآربهم، ثمّ جعل ظهرها مسطّحاً مبطوحا[2] على قوائم أربع ليتمكّن من ركوبها، وجعل حياءها بارزاً من ورائها ليتمكّن الفحل من ضربها، ولوكان أسفل البطن كمكان الفرج من المرأة لم يتمكّن الفحل منها، ألا ترى أنّه لاتستطيع أن يأتيها كفاحا كما[3] يأتي الرجل المرأة؟

تأمّل مشفر الفيل و ما فيه من لطيف التدبير فانّه يقوم مقام اليد في تناول العلف والماء وازدرادهما[4] إلى جوفه، و لولا ذلك ما استطاع أن يتناول شيئاً من الأرض، لأنّه ليست له رقبة يمدّها كسائر الانعام، فلمّا عدم العنق اُعين مكان ذلك بالخرطوم الطويل ليسدله[5] فيتناول بهحاجته، فمن ذا الذي عوّضه مكان العضو الذى عدمه ما يقوم مقامه إلاّ الرؤوف بخلقه؟ وكيف يكون هذا بالاهمال كما قالت الظلمة؟

فان قال قائل: فما باله لم يخلق ذاعنق كسائر الانعام؟

قيل له: إن رأس الفيل و اُذنيه أمرعظيم و ثقل ثقيل، ولوكان ذلك على عنق عظيمة لهدّها و أوهنها، فجعل رأسه مُلصقاً بجسمه لكيلا ينال منه ما وصفنا، وخلق له مكان العنق هذا المشفر ليتناول به غذاءه، فصار مع عدمه العنق مستوفيا ما فيه باوغ حاجته .

---

(۱) اى تسقط فيه.

(۲) اى ملقى على وجهه

(۳) اى مستقبلا

(۴) الازدراد: البلع.

(۵) اى ليرسله و يرخيه.

انظر الآن كيف حياء الأنثى من الفيلة في أسفل بطنها فاذا هاجت للضراب ارتفع و برز حتّى يتمكّن الفحل من ضربها ، فاعتبر كيف جعل حياء الأنثى من الفيلة على خلاف ما عليه في غيرها من الأنعام ، ثمّ جعلت فيه هذه الخلّة ليتهيأ للأمر الذي فيه قوام النسل ودوامه .

فكّر في خلق الزرافة[1] واختلاف أعضائها وشبهها بأعضاء أصناف من الحيوان ، فرأسها رأس فرس ، و عنقها عنق جمل ، و أظلافها أظلاف بقرة ، و جلدها جلد نمر ، و زعم ناس من الجهّال بالله عزّ وجلّ أنّ نتاجها من فحول شتّى ، قالوا : و سبب ذلك أنّ أصنافاً من حيوان البرّ إذا وردت الماء تنزو على بعض السائمة و ينتج مثل هذا الشخص الذي هو كالملتقط من أصناف شتّى ، و هذا جهل من قائله و قلّة معرفته بالباري جلّ قدسه ، و ليس كلّ صنف من الحيوان يلقح كلّ صنف ، فلا الفرس يلقح الجمل ، ولا الجمل يلقح البقر ، وإنّما يكون التلقيح من بعض الحيوان فيما يشاكله و يقرب من خلقه كما يلقح الفرس الحمارة فيخرج بينهما البغل ، و يلقح الذئب الضبع فيخرج بينهما السّمع ، على أنّه ليس يكون في الذي يخرج من بينهما عضو من كلّ واحد منهما كما في الزرّافة عضو من الفرس ، و عضو من الجمل ، و أظلاف من البقرة ، بل يكون كالمتوسط بينهما الممتزج منهما كالذي تراه في البغل ، فانّك ترى رأسه و اُذنيه و كفله و ذنبه و حوافره وسطا بين هذه الأعضاء من الفرس والحمار و شحيجه [2] كالممتزج من صهيل ونهيق الحمار ، فهذا دليل على أنّه ليست الزرّافة من لقاح أصناف شتّى من الحيوان كما زعم الجاهلون ، بل هي خلق عجيب من خلق الله للدلالة على قدرته التي لا يعجزها شيء ، وليعلم أنّه خالق أصناف الحيوان كلّها يجمع بين ما يشاء من أعضائها في أيّها شاء و يفرّق ماشاء منها في أيّها شاء و يزيد في الخلقة ماشاء وينقص منها ماشاء دلالة على قدرته على الاشياء وأنّه لا يعجزه شيء

---

(١) الزرافه : دابة يقال لها بالفارسية : اشتر گاو پلنگ .

(٢) شحج البغل او الغراب : صوت او غلظ صوته .

أراده جلّ و تعالى ، فأمّا طول عنقها و المنفعة لها في ذلك فانّ منشأها و مرعاها في غياطل [۱] ذوات أشجار شاهقة ذاهبة طولا في الهواء فهي تحتاج إلى طول العنق لتناول بفيها أطراف تلك الأشجار فتتقوّت من ثمارها .

تأمّل خلق القرد و شبهه بالانسان في كثير من أعضائه أعني الرأس و الوجه و المنكبين و الصدر و كذلك أحشاؤه شبيهة أيضاً بأحشاء الانسان ، و خصّ مع ذلك بالذهن و الفطنة التي بها يفهم عن سائسه ما يؤمي إليه [۲] ويحكي كثيراً ممّا يرى الانسان بفعله ، حتّى أنّه يقرب من خلق الانسان و شمائله في التدبير في خلقته على ما هي عليه ، أن يكون [۳] عبرة للانسان في نفسه ، فيعلم أنّه من طينة البهائم و سنخها [٤] إذكان يقرب من خلقها هذا القرب ، ولولا أنّه فضيلة [۵] فضّله [٦] بها في الذهن والعقل والنطق كان كبعض البهائم ، على أنّ في جسم القرد فضولا اُخرى يفرق بينه و بين الانسان كالخطم و الذنب المسدّل و الشعر المجلّل للجسم كلّه ، وهذا لم يكن مانعا للقرد أن يلحق بالانسان لو اُعطي مثل ذهن الانسان وعقله و نطقه ، و الفصل الفاصل بينه و بين الانسان بالصّحة [۷] هو النقص في العقل والذهن و النطق .

انظر يا مفضّل : إلى لطف الله جلّ اسمه بالبهائم كيف كسيت أجسامهم هذه الكسوة من الشعر و الوبر و الصوف ليقيها من البرد ، و كثرة الآفات ، و اُلبست

---

(۱) الغياطل جمع الغيطل و هو الشجر الكثير الملتف .

(۲) اى يشير اليه .

(۳) اى خلق كذلك لان يكون عبرة للانسان .

(۴) السنخ : الاصل.

(۵) فى المخطوطة و فى التوحيد من البحار : و انه لولا فضيلة .

(۶) فى التوحيد من البحار : فضله الله بها .

(۷) اى الفصل الصحيح الذى يصلح لان يكون فاصلا . وقال المصنف : فى اكثر النسخ: « و هو » و على هذا فلا يبعد أن تكون الصحة تصحيف القحة اى قلة الحياء .

الاظلاف [١] و الحوافر والاخفاف ليقيها من الحفاء إذ كانت لا أيدي لها ولا أكف ولا أصابع مهيّأة للغزل والنسج فكفّوا بأن جعل كسوتهم في خلقتهم باقية عليهم مابقوا : لا يحتاجون إلى تجديدها والاستبدال بها ، فأمّا الانسان فانّه ذوحيلة و كفّ مهيّأة للعمل فهو ينسج و يغزل و يتخذ لنفسه الكسوة ، و يستبدل بها حالا بعد حال ، وله في ذلك صلاح من جهات : من ذلك أنّه يشتغل بصنعة اللباس عن العبث و ما يخرجه إليه الكفاية ، و منها : أنّه يستريح إلى خلع كسوته [٢] و لبسها إذاشاء ، و منها : أنّه يتخذ لنفسه من الكسوة صروبا ، لها جمال و روعة [٣] فيتلذّذ بلبسها و تبديلها ، و كذلك يتّخذ بالرفق من الصنعة ضروباً من الخفاف و النعال يقي بها قدميه و في ذلك معايش لمن يعلمه من الناس ، و مكاسب يكون فيها معاشهم ، و منها أقواتهم و أقوات عيالهم ، فصار الشعر و الوبر والصوف يقوم للبهائم مقام الكسوة ، والاظلاف و الحوافر و الاخفاف مقام الحذاء .

فكّر يا مفضّل : في خلقة عجيبة في البهائم ، فانّهم يوارون أنفسهم إذا ماتوا كما يواري الناس موتاهم ، وإلاّ فأين جيف هذه الوحوش و السباع و غيرها لايرى منها شيء ، وليست قليلة فتخفى لقلّتها ، بل لو قال قائل : إنّها أكثر من الناس لصدق.

فاعتبر ذلك بما تراه في الصحاري والجبال من أسراب الظباء و المها و الحمير و الوعول والأيائيل و غير ذلك من الوحوش ، وأصناف السباع من الاسد و الضباع و الذئاب و النمور و غيرها ، و ضروب الهوام و الحشرات و دوابّ الأرض و كذلك أسراب الطير من الغربان و القطا و الاوزّ و الكراكي [٤] و الحمام و سباع الطير

(١) في كتاب التوحيد من البحار : والبست قوائمها الاظلاف .

(٢) في التوحيد : الى خلع كسوته اذا شاء .

(٣) الروعة : المسحة من الجمال .

(٤) الغربان جمع الغراب ، والقطا جمع القطاة طائر في حجم الحمام . و الاوز جمع الاوزة : طائر مائي يقال له : الوزة ايضا : و الكراكي جمع الكركي : طائر كبير أغبر اللون طويل العنق و الرجلين ، ابتر الذنب ، قليل اللحم ، يأوي الى الماء احيانا .

جميعا ، وكلّها لايرى منها إذا ماتت [۱] إلاّ الواحد بعدالواحد يصيده قانص ويفترسه سبع ، فاذا أحسّوا بالموت كمنوا [۲] في مواضع خفيّة فيموتون فيها ، ولولا ذلك لامتلأت الصحاري منها حتّى تفسد رائحة الهواء و يحدث الأمراض و الوباء ، فانظر إلى هذا الذي يخلص إليه الناس و عملوه بالتمثيل الأوّل الذي مثّل لهم كيف جعل طبعا و في البهائم وغيرها ادّكاراً ليسلم الناس من معرّة ما [۳] يحدث عليهم من الأمراض و الفساد .

فكّر يا مفضّل : في الفطن التي جعلت في البهائم لمصلحتها بالطبع و الخلقة لطفا من الله عزّ وجلّ لهم ، لئلاّ يخلو من نعمه جلّ و عزّ أحد من خلقه لا بعقل و رويّة ، فانّ الأيّل يأكل الحيّات فيعطش عطشاً شديداً فيمتنع من شرب الماء خوفا من أن يدبّ السّم في جسمه فيقتله ، و يقف على الغدير و هو مجهود عطشا فيعجّ عجيجا عالياولا يشرب منه ، ولو شرب لمات من ساعته ، فانظر إلى ما جعل من طباع هذه البهيمة من تحمّل الظماء الغالب خوفاً من المضرّة في الشرب ، و ذلك ممّا لا يكاد الانسان العاقل المميّز يضبطه من نفسه ، و الثعلب إذا أعوزه الطعم تماوت و نفخ بطنه حتّى يحسبه الطير ميّتا ، فاذا وقعت عليه لتنهشه وثب عليها فأخذها ، فمن أعان الثعلب العديم النطق و الرويّة بهذه الحيلة إلاّ من توكّل بتوجيه الرزق له من هذا و شبهه ، فانّه لمّا كان الثعلب يضعف عن كثير ممّا يقوى عليه السباع من مساورة الصيد ، أعين بالدّهاء [۴] و الفطنة و الاحتيال لمعاشه ، والدلفين يلتمس صيد الطّير فيكون حيلته في ذالك أن يأخذ السمك فيقتله و يشرحه [۵] حتّى يطفو على

(۱) في كتاب التوحيد : و كلها لايرى منها شيء اذا ماتت .

(۲) اى توادوا و اختفوا .

(۳) المعرة : الاذى .

(۴) الدهاء : جودة الرأى و الحذق . المكرو الاحتيال .

(۵) شرح اللحم : قطعه قطعا طوالا .

الماء ثمّ يكمن تحته و يثور الماء الذي عليه حتّى لا يتبيّن شخصه فاذا وقع الطير على السمك الطافي وثب إليها فاصطادها ، فانظر إلى هذه الحيلة كيف جعلت طبعا في هذه البهيمة لبعض المصلحة .

قال المفضّل : فقلت : خبّرني يا مولاي عن التنّين و السحاب ، فقال عليه السلام : إنّ السحاب كالموكّل به يختطفه حيثما ثقفه كما يختطف حجر المقناطيس الحديد فهولايطلع رأسه في الارض خوفا من السحاب ، ولا يخرج إلاّ في القيظ مرّة ، إذا سحت السماء فلم يكن فيها نكتة من غيمة قلت : فلم وكل السحاب بالتنّين يرصده و يختطفه إذا وجده ، قال : ليدفع عن الناس مضرّته .

قال المفضّل: فقلت : قدوصفت لي يا مولاي من أمر البهائم ما فيه معتبر لمن اعتبر، فصف لي الذرّة[1] و النمل والطير، فقال عليه السلام : يا مفضّل تأمّل وجه الذرّة الحقيرة الصغيرة هل تجد فيها نقصانا فيه صلاحها، فمن أين هذا التقدير و الصّواب في خلق الذرّة إلاّ من التدبير القائم في صغير الخلق وكبيره .

انظر إلى النمل و احتشادها في جمع القوت و إعداده ، فانّك ترى الجماعة منها إذا نقلت الحبّ إلى زبيتها بمنزلة جماعة من الناس ينقلون الطعام أو غيره ، بل للنّمل في ذلك من الجدّ والتشمير ما ليس للناس مثله، أما تراهم يتعاونون على النقل كما يتعاون الناس على العمل؟ ثمّ يعمدون إلى الحبّ فيقطعونه قطعا لكيلا ينبت فيفسد عليهم[2]، فان أصابه ندى أخرجوه فنشروه حتّى يجف ، ثمّ لايتّخذ النمل الزبية[3] إلاّ في نشز من الأرض كي لايفيض السيل فيغرقها[4]، فكلّ هذا منه بلا عقل

---

(١) الذرة: النملة الصغيرة الحمراء.

(٢) و يقطع الكسفرة و يقسمها ارباعا لما الهم من ان نصفها ايضا ينبت.

(٣) الزبية بالضم: الحفرة.

(٤) قال الدميرى: يحفر قريته بقوائمه وهى ست، فاذا حفرها جعل فيها تعاريج لئلا يجرى اليها ماء المطر، و ربما اتخذ قرية فوق قرية بسبب ذلك، وانما يفعل ذلك خوفا على ما يدخره من البلل ، ومن عجائبه اتخاذ القرية تحت الارض و فيها منازل ودهاليز و غرف و طبقات معلقة يملاها حبوبا و ذخائر للشتاء.

ولا رويّة، بل خلقة خلق عليها لمصلحة لطفا من الله عزّ وجلّ

انظر إلى هذا الذي يقال له الليث: و تسمّيه العامة أسد الذباب و ما اُعطي من الحيلة، والرفق في معاشه، فانّك تراه حين يحسّ بالذباب قد وقع قريبا منه تركه ملياً حتّى كأنّه موات لاحراك به، فاذا رأى الذباب قداطمأنّ و غفل عنه دبّ دبيبا دقيقا[1] حتى يكون منه بحيث يناله وثبه ثمّ يثب عليه فيأخذه، فاذا أخذه اشتمل عليه بجسمه كلّه مخافة أن ينجو منه فلا يزال قابضا عليه حتى يحسّ بأنّه قد ضعف واسترخى ثمّ يقبل عليه فيفترسه و يحيى بذلك منه، فأمّا العنكبوت فانّه ينسج ذلك النسج فيتّخذه شركا و مصيدة للذباب، ثمّ يكمن في جوفه فاذا نشب[2] فيه الذباب أحال[3] عليه يلدغه ساعة بعد ساعة فيعيش بذلك منه، فكذلك يحكي صيد الكلاب و النهود، و هكذا يحكى صيد الأشراك و الحبائل.

فانظر إلى هذه الدويبة الضعيفة كيف جعل طبعها مالا يبلغه الانسان إلّا بالحيلة واستعمال آلات فيها فلا تزدر[4] بالشيء إذا كانت العبرة فيه واضحة كالذرّة و النملة و ما أشبه ذلك فانّ المعنى النفيس قد يمثّل بالشيء الحقير فلا يضع منه[5] ذلك، كما لايضع من الدينار و هو من ذهب أن يوزن بمثقال من حديد.

تأمّل يا مفضّل: جسم الطائر و خلقته فانّه حين قدّر أن يكون طائراً في

---

(۱) في المخطوطة: دب دبيبا رقيقا.

(۲) نشب فيه: وقع فيما لامخلص منه.

(۳) احال عليه: اقبل، وفى كتاب التوحيد «اجال عليه» اى اداره، و يحتمل ان يكون مصحفا.

(۴) هكذا في النسخ والظاهر انه مصحف «فلاتزدرأ» حيث قال المصنف في تفسير الحديث في كتاب التوحيد الازدراء: الاحتقار.

(۵) اى لاينقص من قدر المعنى النفيس تمثيله بالشيء الحقير، قال الفيروزآبادى: وضع عنه: حط من قدره.

الجوّ خفّف جسمه و ادمج خلقه فاقتصر به من القوائم الأربع على اثنتين ، و من الأصابع الخمس على أربع، و من منفذين للزبل والبول على واحد يجمعهما، ثمّ خلق ذاجؤجؤ محددّ ليسهل عليه أن يخرق الهواء كيف ما أخذ فيه كما جعل السفينة بهذه الهيئة لتشقّ الماء و تنفذ فيه، وجعل في جناحيه و ذنبه ريشات طوال متان لينهض بها للطيران، وكسي كلّه الريش ليداخله الهواء فيقلّه، ولمّا قدّر أن يكون طعمه الحبّ واللحم يبلعه بلعا بلامضغ نقص من خلقه الأسنان وخلق له منقار صلب جاس تيناول به طعمه فلا ينسجح من لقط الحبّ ولا يتقصّف من نهش اللحم ، و لمّا عدم الأسنان وصار يزدرد الحبّ[1] صحيحا و اللحم غريضا أعين بفضل حرارة في الجوف تطحن له الطعم طحنا يستغنى به عن المضغ .

واعتبر ذلك بأنّ عجم العنب و غيره يخرج من أجواف الانس صحيحا ويطحن في أجواف الطير، لايرى له أثر، ثمّ جعل ممّا يبيض بيضا ولايلد ولادة لكيلا يثقل عن الطيران، فانّه لوكانت الفراخ في جوفه تمكث حتّى تستحكم لأثقلته و عاقته عن النهوض و الطيران، فجعل كلّ شيء من خلقه مشاكلا للأمر الّذي قدّر أن يكون عليه، ثمّ صار الطائر السائح في هذا الجوّ يقعد على بيضه فيحضنها سبوعا و بعضها أسبوعين و بعضها ثلاثة أسابيع حتّى يخرج الفرخ من البيضة ثمّ يقبل عليه فيزقّه الريح لتتّسع حوصلته للغذاء، ثمّ يربّيه و يغذّيه بما يعيش به، فمن كلّفه أن يلقط الطعم و يستخرجه بعد أن يستقرّ في حوصلته و يغذو به فراخه؟ و لأيّ معنى يحتمل هذه المشقّة و ليس بذي رويّة ولا تفكّر ولا يأمل في فراخه ما يأمل الانسان في ولده من العزّ و الرفد[2] و بقاء الذكر؟ فهذا من فعل يشهد[3] بأنّه معطوف على فراخه لعلّة لايعرفها ولا يفكّر فيها و هي دوام النسل و بقاؤه لطفاً من الله تعالى ذكره.

---

(١) أى يبتلعه.

(٢) فى كتاب التوحيد من البحار: «فهذا هو فعل يشهد» و فى نسخة: فهذا من فعله يشهد .

(٣) الرفد : النصيب. المعاونة.

اُنظر إلى الدجاجة كيف تهيّج لحضن البيض و التفريخ و ليس لها بيض مجتمع ولا وكر [۱] موطّىء ، بل تنبعث و تنتفخ و تقوقي و تمتنع من الطعم حتّى يجمع لها البيض فتحضنه فتفرخ فلم كان ذلك منها إلّا لاقامة النسل ؟ و من أخذها باقامة النسل ولا رويّة ولا تفكّر لولا أنّها مجبولة على ذلك ؟

اعتبر بخلق البيضة و ما فيها من المحّ [۲] الأصفر الخاثر و الماء الأبيض الرقيق ، فبعضه لينشر منه الفرخ ، وبعضه ليغذي [۳] به إلى أن تنقاب عنه البيضة و ما في ذلك من التدبير ، فانّه لوكان نشو الفرخ في تلك القشرة المستحضنة[٤] التي لا مساغ لشيء اليها لجعل معه في جوفها من الغذاء مايكتفي به إلى وقت خروجه منها كمن يحبس في حصن حصين [۵] لا يوصل إلى من فيه فيجعل معه من القوت ما يكتفي به إلى وقت خروجه منه .

فكّر في حوصلة الطائر و ما قدّر له فانّ مسلك الطعم إلى القانصة [۶] ضيّق لا ينفذ فيه الطعام إلّا قليلاً قليلاً ، فلوكان الطائر لايلقط حبّة ثانية حتى تصل الأُولى القانصة لطال عليه ، و متى كان يستوفي طعمه فانّما يختلسه اختلاسا لشدّة الحذر فجعلت الحوصلة كالمخلاة المعلّقة أمامه ليوعي [۷] فيها ماأدرك من الطعم بسرعة ، ثمّ تنفذه إلى القانصة على مهل ، و في الحوصلة أيضاً خلّة اُخرى ، فانّ من الطائر ما يحتاج إلى أن يزقّ فراخه فيكون ردّه للطعم من قرب أسهل عليه .

---

(۱) الوكر بفتح الواو و سكون الكاف : عش الطائر .

(۲) في نسخه : «المخ» بالخاء المعجمة . و قال الاصمعي : اخثرت الزبد : تركته خاثرا ، و ذلك اذا لم تذبه .

(۳) في نسخه : ليغتذى ،

(۴) في نسخة : المستحسفة :

(۵) في النسحة المخطوطة و في كتاب التوحيد من البحار : في حبس حصين .

(۶) القانصة للطير : كالمعدة للانسان .

(۷) اوعى الزاد : جعله في الوعاء .

قال المفضّل : فقلت : إنّ قوماً من المعطّلة يزعمون أنّ اختلاف الألوان و الأشكال في الطير إنّما يكون من قبل امتزاج الأخلاط و اختلاف مقاديرها بالمرج [١] و الاهمال .

فقال : يامفضّل هذاالوشي [٢]الذي تراه في الطواويس والدرّاج و التدارج[٣] على استواء و مقابلة كنحو ما يخطّ بالأقلام كيف يأتي به الامتزاج [٤] المهمل على شكل واحد لا يختلف ؟ ولو كان بالاهمال لعدم الاستواء ولكان مختلفا .

تأمّل ريش الطير كيف هو ؟ فانّك تراه منسوجا كنسج الثوب من سلوك [٥] دقاق قد ألّف بعضه إلى بعض كتأليف الخيط إلى الخيط ، و الشعرة إلى الشعرة ، ثمّ ترى ذلك النسج إذا مددته ينفتح قليلا ولا ينشقّ لتداخله الريح ، فيقلّ الطائر إذا طار ، وترى في وسط الريشة عموداً غليظاً متيناً قد نسج عليه الذي هو مثل الشعر ليمسكه بصلابته ، و هو القصبة التي في وسط الريشة ، و هو مع ذلك أجوف ليخفّ على الطائر ولا يعوّقه عن الطيران .

هل رأيت يا مفضّل هذا الطائر الطويل السّاقين ؟ و عرفت ماله من المنفعة في طول ساقيه ؟ فانّه أكثر ذلك في ضحضاح من الماء فتراه بساقين طويلين كأنه ربيئة فوق مرقب ، و هو يتأمّل ما يدبّ في الماء فاذا رأى شيئاً ممّا يتقوّت به خطا خطوات

---

(١) قال المصنف : المرج بالتحريك : الفساد و الاضطراب و الاختلاط ، و فى بعض النسخ بالزاى المعجمة ، والاول أظهر .

(٢) الوشى : نقش الثوب و يكون من كل لون .

(٣) التدرج والتذرج : طائر حسن الصورة ارقش طويل الذنب ، و الجمع تدارج ، و اوردناكلام الدميرى فى كتاب التوحيد راجع ج ٣ : ١٠٥ .

(٤) اراد عليه‌السلام بالامتزاج الطبيعة التى يقولها القائلون باستناد الموجودات اليها فى زماننا هذا .

(٥) السلوك جمع السلك و هوجمع السلكة بالكسر : الخيط يخاط بها .

رقيقا [۱] حتّى يتناوله ، ولوكان قصير الساقين وكان يخطو نحوالصيد ليأخذه يصيب بطنه الماء فيثور و يذعر [۲] منه فيتفرّق عنه فخلق له ذلك العمودان ليدرك بهما حاجته ولا يفسد عليه مطلبه .

تأمّل ضروب التدبير في خلق الطائر فانّك تجدكلّ طائر طويل الساقين طويل العنق ، و ذلك ليتمكّن من تناول طعمه من الأرض ، ولو كان طويل الساقين قصير العنق لما استطاع أن يتناول شيئاً من الأرض ، و ربما اُعين مع طول العنق بطول المناقير ليزداد الأمر عليه سهولةً له وإمكاناً ، أفلاترى أنّك لا تفتّش شيئاً من الخلقة إلّاوجدته على غاية الصّواب والحكمة .

انظر إلى العصافير كيف تطلب اُكلها بالنهار فهي لاتفقده ولاهي تجده مجموعا معدّاً ، بل تناله بالحركة و الطلب ، و كذلك الخلق كلّه ، فسبحان من قدّر الرزق كيف قوته [۳] فلم يجعل ممّا لا يقدر عليه إذ جعل للخلق حاجة إليه ولم يجعله مبذولاً ينالـه [۴] بالهوينا إذاكان لاصلاح فيذلك ، فانّه لو كان يوجد مجموعا معدّاً كانت البهائم تتقلّب عليه ولاتتقلّع عنه حتّى تبشم فتهلك ، و كان الناس أيضاً يصيرون بالفراغ إلى غاية الأشر و البطر حتّى يكثر الفساد ويظهر الفواحش .

أعلمت ماطعم هذه الأصناف من الطير التي لاتخرج إلّا بالليل كمثل البوم والهام [۵] و الخفّاش ؟ قلت : لا يا مولاي .

---

(۱) فى نسخة : خطوات رقيقات .

(۲) اى و يخاف منه .

(۳) فى نسخه : « كيف قدره » و فى النسخة المخطوطه : كيف قدر .

(۴) فى نسخة : «ينال بالهوينا» أقول : الهوينا : التؤدة والرفق و هى تصغير الهونى، و الهونى تأنيث الاهون .

(۵) الهام جمع الهامة نوع من البوم الصغير تألف القبور و الاماكن الخربة وتنظر من كل مكان ، اينمادرت ادارت رأسها ، و تسمى ايضا الصدى .

قال : إنّ معاشها من ضروب تنتشر في هذا الجوّ من البعوض و الفراش وأشباه الجراد و اليعاسيب ، و ذلك أن هذه الضروب مبثوثة في الجوّ لا يخلو منها موضع ، و اعتبر ذلك بأنّك إذا وضعت سراجاً بالليل في سطح أو عرصة دار اجتمع عليه من هذا شيء كثير ، فمن أين يأتي ذلك كلّه إلاّ من القرب .

فان قال قائل : انّه يأتي من الصحاري و البراري ، قيل له : كيف يوافي تلك الساعة من موضع بعيد ؟ و كيف يبصر من ذلك البُعد سراجا في دار محفوفة بالدور فيقصد إليه ؟ مع أنّ هذه عيانا تتهافت على السراج [1] من قرب ، فيدلّ ذلك على أنّها منتشرة في كلّ موضع من الجوّ ، فهذه الاصناف من الطير تلتمسها إذا خرجت فتتقوّت بها .

فانظر كيف وجّه الرزق لهذه الطّيور التي لا تخرج إلاّ بالليل من هذه الضروب المنتشرة في الجوّ ، و اعرف ذلك المعنى في خلق هذه الضروب المنتشرة التي عسى أن يظنّ ظانّ أنّها فضل لا معنى له .

خلق الخفّاش خلقة عجيبة بين خلقة الطير و ذوات الأربع ، بل هو إلى ذوات الاربع أقرب : وذلك أنّه ذو ذُنين ناشزتين وأسنان و وبر ، و هو يلد ولاداً و يرضع و يبول ويمشي إذا مشى على أربع [2] وكلّ هذا خلاف صفة الطير ، ثمّ هو أيضا ممّا يخرج بالليل و يتقوّت ممّا يسري في الجوّ من الفراش و ما أشبهه ، و قد قال القائلون : إنّه لا طعم للخفّاش وإنّ غذآءه من النسيم وحده ، و ذلك يفسد ويبطل من جهتين: إحداهما خروج ما يخرج منه من الثفل و البول ، فانّ هذا لا يكون من غير طُعم ، و الاُخرى أنّه ذو أسنان ولو كان لا يطعم شيئاً لم يكن للأسنان فيه معنى ، وليس في الخلقة شيء لا معنى له ، و أمّا المآرب فيه فمعروفة حتّى أنّ زبله يدخل في

(١) اى تتساقط عليه و تتابع .

(٢) و قال الدميرى : يحيض و يطهر و يضحك كما يضحك الانسان .

بعض الأعمال ، [١] و من أعظم الارب فيه خلقته العجيبة الدالّة على قدرة الخالق جلّ ثناؤه و تصرّفه فيما شاء كيف شاء لضرب من المصلحة ، فأما الطائر الصغير الذي يقال له : ابن تمرة فقد عشّش في بعض الأوقات في بعض الشجر فنظر إلى حيّة عظيمة قد أقبلت نحو عشّته فاغرة[٢] فاها لتبلعه ، فبينما هو يتقلّب ويضطرب في طلب حيلة منها إذ وجد حسكة [٣] فحملها فألقاها في فم الحيّة فلم تزل الحيّة تلتوي و تتقلّب حتّى ماتت ، أفرأيت لولم أخبرك بذلك كان يخطر ببالك أو ببال غيرك أنّه يكون من حسكة مثل هذه المنفعة العظيمة ؟ أو يكون من طائر صغير أو كبير مثل هذه الحيلة ؟ اعتبر بهذا و كثير من الأشياء تكون فيها منافع لا تعرف إلاّ بحادث يحدث به و الخبر يسمع به [٤] .

انظر إلى النحل واحتشاده في صنعة العسل وتهيئة البيوت المسدّسة و ما ترى في ذلك اجتماعه من دقايق الفطنة [٥] ، فانّك إذا تأمّلت العمل رأيته عجيباً لطيفاً ، وإذا رأيت المعمول وجدته عظيما شريفاً موقعه من الناس ، وإذا رجعت إلى الفاعل ألفيته غبيّاً جاهلا بنفسه فضلا عمّا سوى ذلك ، ففي هذا أوضح الدلالة على أنّ الصّواب و الحكمة في هذه الصنعة ليست للنحل بل هي للذي طبعه عليها و سخّره فيها لمصلحة الناس .

انظر إلى هذه الجراد ما أضعفه وأقواه ، فانّك إذا تأمّلت خلقه رأيته كأضعف

---

(١) قال الدميرى : ان زبله اذا طلى به على القوابى قلعها ، و ذكر لاجزائه الاخرى خواصا كثيرة . منها ان طبخ رأسه فى اناء اوحديد بدهن زنبق و يغمر فيه مرارا حتى يتهرى ويصفى ذاك الدهن عنه و يدهن به صاحب النقرس و الفالج القديم و الارتعاش و التورم فى الجسد فانه ينفعه ذلك و يبرئه .

(٢) فغرفاه : فتحه .

(٣) الحسك : نبات شائك ،

(٤) فى التوحيد من البحار : او خبر يسمع به .

(٥) فى نسخة : و ما ترى فى اجتماعه من دقائق الفطنة .

الأشياء و إن دلفت [١] عساكره نحو بلد من البلدان لم يستطع أحد أن يحميه منه ألا ترى أنّ ملكا من ملوك الأرض لوجمع خيله و رجله ليحمي بلاده من الجراد لم يقدر على ذلك ؟ أفليس من الدلائل على قدرة الخالق أن يبعث أضعف خلقه إلى أقوى خلقه فلايستطيع دفعه ؟ انظر إليه كيف ينساب [٢] على وجه الأرض مثل السيل فيغشى السهل و الجبل و البدو و الحضر حتّى يستر نورالشمس بكثرته ، فلو كان ممّا يصنع بالأيدي متى كان يجتمع منه هذه الكثرة ؟ و في كم من سنة كان يرتفع ؟ فاستدلّ بذلك على القدرة التي لا [٣] يؤودها شيء ولايكثر عليها .

تأمّل خلق السّمك و مشاكلته للأمر الذي قدّر أن يكون عليه ، فانّه خلق غير ذي قوائم لأنّه لا يحتاج إلى المشي إذا كان مسكنه الماء ، و خلق غير ذي رية لأنّه لايستطيع أن يتنفّس و هو منغمس في [٤] اللّجّة ، و جعلت له مكان القوائم أجنحة شداد يضرب بها في جانبيه كمايضرب الملاّح بالمجاذيف [٥] جانبي السفينة ، و كسي جسمه قشوراً متانا متداخلة كتداخل الدروع و الجواشن لتقيه من الآفات ، فأعين بفضل حسّ في الشمّ لأنّ بصره ضعيف و الماء يحجبه ، فصار يشمّ الطعم من البُعد البعيد فينتجعه [٦] وإلّافكيف يعلم به بموضعه ؟ و اعلم أنّ من فيه إلى صماخيه منافذ فهو يعبّ [٧] الماء بفيه و يرسله من صماخيه [٨] فيتروّح إلى ذلك كمايتروّح غيره من الحيوان إلى أن تنسّم هذا النسيم ، فكّر الآن في كثرة نسله و ما خصّ به

(١) دلفت الكتيبة فى الحرب : تقدمت .

(٢) انساب : جرى و مشى مسرعا .

(٣) لايؤودها اى لايثقلها .

(٤) لجة الماء : معظمه .

(٥) المجذاف : ما تجرى به السفينة .

(٦) انتجع : طلب الكلا فى موضعه .

(٧) اى يشرب او يكرع بلا تنفس .

(٨) الصمخ : خرق الاذن الباطن الماضى الى الرأس .

من ذلك فانّك ترى في جوف السمكة الواحدة من البيض مالا يحصى كثرة ، والعلّة في ذلك أن يتّسع لما يغتذي به من أصناف الحيوان ، فانّ أكثرها يأكل السمك حتّى أنّ السباع أيضا في حافات الآجام [١] عاكفة على الماء [٢] أيضاً كي ترصد السّمك فاذا مرّ بها خطفته ، فلما كانت السّباع تأكل السّمك والطير يأكل السمك و الناس يأكلون السمك والسمك يأكل السمك كان من التدبير فيه أن يكون على ما هو عليه من الكثرة فاذا أردت أن تعرف سعة حكمة الخالق وقصر علم المخلوقين فانظر إلى ما في البحار من ضروب السمك و دوابّ الماء و الأصداف و الأصناف التي لا تحصى ولا تعرف منافعها إلاّ الشيء بعد الشيء يدركه الناس بأسباب تحدث ، مثل القرمز فانّه إنّما عرف الناس صبغه بأنّ كلبة تجول على شاطىء البحر فوجدت شيئاً من الصنف الذي يسمّي الحلزون فأكلته فاختضب خطمها بدمه ، فنظر الناس إلى حسنه فاتّخذوه صبغاً ، و أشباه هذا ممّا يقف الناس عليه حالاً بعد حال و زماناً بعد زمان [٣] .

توضيح : و أوكدها ، أي أوكد الأشياء و أحوجها إلى هذا النوع من الخلق هذه الصناعات ، و يمكن أن يكون فعلاً والضمير راجعاً إلى جنس البشر ، أي ألزمها و ألهمها هذه الصناعات ، ولا يبعد إرجاعه إلى الكف أيضاً ، و الململم بفتح اللاّمين : المجتمع المدوّر المصموم ، واليمام : حمام الوحش ، وفي حياة الحيوان : قال الاصمعيّ : إنّه الحمام الوحشي ، الواحدة يمامة وقال الكسائيّ : هي التي تألف البيوت ، [٤] و قال : الحمر بضمّ الحاء المهملة و تشديد الميم و بالراء المهملة : ضرب من الطّير كالعصفور ، و روى أبو داود الطيالسيّ و الحاكم ـ و قال : صحيح الاسناد ـ عن ابن مسعود قال : كنّا عند النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فدخل رجل غيضة فأخرج منها بيضة حمرة فجاءت

---

(١) اى جوانبها .

(٢) عكف على الشيء : اقبل عليه مواظبا .

(٣) رواه المصنف بتفصيله فى كتاب التوحيد راجع ج ٣ : ٩٢ ـ ١١٠ .

(٤) حياة الحيوان : ٢ : ٢٩٦ باب الياء .

الحمرة تزفّ على رسول الله [١] ﷺ و أصحابه فقال لأصحابه : أيّكم فجّع هذه ؟ فقال رجل : يا رسول الله أخذت بيضها - وفي رواية الحاكم فريخها - [٢] فقال ﷺ : ردّه ردّه ، رحمة لها انتهى [٣] .

و في القاموس : الحمر كصرد : طائر و تشدّد الميم والمودّع بفتح الدال : المستريح ، و نير الفدان : الخشبة المعترضة في عنق الثورين ، والدببة كعنبة جمع الدبّ ، والعين بالفتح : الغلظ في الجسم والخشونة ، والخطم بالفتح من كلّ دابّة : مقدّم أنفه و فمه ، والجحفلة : بمنزلة الشفة للبغال والحمير والخيل ، والحياء : الفرج ، والمراد بمراقي البطن : ما ارتفع منه من وسطه أو قرب منه ، والوضر : الدرن .

وقال الدميريّ : ذكر القزوينيّ : أنّ فرج الفيلة تحت إبطها فاذا كان وقت الضراب ارتفع وبرز للفحل حتّى يتمكّن من إتيانها ، فسبحان من لا يعجزه شيء [٤] .

أقول : سيأتي أحوال الفيل في باب المنسوخ إنشاء الله وقال الدميريّ : الزرافة بفتح الزاي و ضمّها مخفّفة الراء ، وهي حسنة الخلق طويلة اليدين قصيرة الرّجلين مجموع يديها و رجليها نحو عشرة أذرع ، رأسها كرأس الابل ، وقرنها كقرن البقر و جلدها كجلد النمر ، و قوائمها و اظلافها كالبقر ، و ذنبها كذنب الظبي ، ليس لها ركب في رجليها ، إنّما ركبتاها في يديها ، و إذا مشت قدّمت الرجل اليسرى و اليد اليمنى بخلاف ذوات الأربع كلّها فانّها تقدّم اليد اليسرى والرجل اليمنى [٥] ، وفي طبعها التودّد والتأنّس وتجترّ وتبعّر ، و لمّا علم الله تعالى أنّ قوتها في الشجر [٦]

---

(١) في المصدر : تزف على رأس رسول الله (ص) .

(٢) في المصدر : فرخها .

(٣) حياة الحيوان ١٩١ و١٩٢ باب الحاء .

(٤) حياة الحيوان ٢ : ١٦٠ .

(٥) في المصدر : فانها تقدم اليد اليمنى والرجل اليسرى و من طبعها .

(٦) في المصدر : من الشجر .

جعل يديها أطول من رجليها ، و تستعين [١] بذلك على الرّعي منها و في تاريخ ابن خلكان في ترجمة محمّد بن عبد الله العتبيّ البصريّ الأخباريّ الشاعر أنّه كان يقول : الزرافة بفتح الزاي و ضمّها : الحيوان المعروف ، و هي متولّدة بين ثلاثة حيوانات : الناقة الوحشيّة [٢] ، والبقر الوحشيّة ، والضبعان و هو الذكر من الضباع ، فيقع الضبعان على الناقة فيأتي بولد بين الناقة والضبع ، فان كان الولد ذكراً وقع على البقرة فتأتي بالزرافة ، و ذلك في بلاد الحبشة و لذالك قيل لها : الزرافة ، و هي في الاصل الجماعة ، فلمّا تولّدت من جماعة قيل لها ذلك ، والعجم يسمونها اُشترگاو پلنگ [٣] و قال قوم : إنّها متولّدة من حيوانات [٤] ، و سبب ذلك اجتماع الدوابّ والوحوش في القيظ عند المياه ، فتتسافد فيلقح منها ما يلقح و يمتنع ما يمتنع ، و ربّما سفد الاُنثى من الحيوان ذكور كثيرة فتختلط مياهها فيأتي منها خلق مختلف الصّور والأشكال والألوان ، والجاحظ لا يرتضي هذا القول ويقول : إنّه جهل شديد لا يصدر إلّا ممّن لا تحصيل لديه ، لأنّ الله تعالى يخلق ما يشاء ، و هو نوع من الحيوان قائم بنفسه كقيام الخيل والحمير ، و ممّا يحقّق ذلك أنّه يلد مثله وقد شوهد ذلك [٥] .

و قال : السمع بكسر السين : ولد الذئب من الضبع ، و هو سبع مركّب فيه شدّة الضبع و قوّتها ، و جرأة الذئب و خفّته ، و يزعمون أنّه كالحيّة لا يعرف العلل ولا يموت حتف أنفه ، و إنّه أسرع عدواً من الريح [٦] .

و قال: القرد حيوان معروف و جمعه قرود و قد يجمع على قردة بكسر القاف

---

(١) فى المصدر : لتستعين بذلك على الرعى منها بسهولة قاله القزوينى فى عجائب المخلوقات .

(٢) فى المصدر: بين الناقة الوحشية .

(٣) « « : لان اشتر : الجمل ، وگاو : البقرة ، و پلنگ : الضبع .

(٤) « « : من حيوانات مختلفة .

(٥) حياة الحيوان ٢ : ٤ .

(٦) « « « : ١٩ .

و فتح الراء المهملة ، والأنثى قردة بكسر القاف و إسكان الراء و جمعها قرد بكسر القاف و فتح الراء و بالدال في آخره مثل قربة و قرب ، و كنيته أبوخالد و أبوحبيب و أبوزنة و أبو قشة ،[1] و هو حيوان قبيح مليح ذكيّ سريع الفهم يتعلّم الصنعة أهدى ملك النوبة إلى المتوكّل قرداً خيّاطا و آخر صائغا ، و أهل اليمن يعلّمون القردة القيام بحوائجهم حتّى أنّ البقّال والقصّاب يعلّم القردة حفظ الدكّان حتّى يعود صاحبه ، و يعلّم السرقة فيسرق ، نقل الشيخان عن القاضي حسين أنّه قال : لو علّم قرد النزول إلى الدار و إخراج المتاع ثمّ نقب و ارسل القرد فأخرج المتاع ينبغي أن لايقطع لأنّ للحيوان اختياراً ، وروي عن أحمد بن طاهر أنّه قال : شهدت بالرملة قردا صائغاً فاذا أراد أن ينفخ أشار إلى رجل حتّى ينفخ له انتهى [2] .

و سيأتي سائر أحواله في باب المسوخ .

و شحيج البغل والحمار : صوتهما ، والأسراب جمع السرب و هو القطيع من الظبأ والقطا والخيل و نحوها ، والمها جمع المهاة وهي البقر الوحشيّة .

قال الدميريّ : وقيل : المها نوع من البقر الوحشيّ و الأنثى من المها إذاحملت هربت من البقر ، و من طبعها الشبق والذكر لفرط شهوته يركب ذكرا آخر ، والمها أشبه شيء بالمعز الاهليّة و قرونها صلاب جدّاً ، ومخّها يطعم صاحب القولنج ينفعه نفعا ، و من استصحب معه شعبة من قرن المها نفرت منه السباع ، و إذا بخر بقرنه أو جلده أوظفره في بيت نفرت منه الحيّات ، و رماد قرنه يذرّ على السنّ المتأكّلة يسكن وجعها ، و شعره إذا بخربه بيت هربت منه الفار والخنافس ، و إذا أحرق قرنه وجعل في طعام صاحب حمّى الربع [3] فانّها تزول عنه ، و إذا شرب في شيء من الأشربة زاد في الباه و قوي العصب و زاد في الانعاظ ، و إذا نفخ في أنف الراعف قطع

---

(١) فى المصدر : و ابو حبيب و ابوخلف و ابو ربه و ابوقشة .

(٢) حياة الحيوان ٢ : ١٧١ و ١٧٢ .

(٣) فى المصدر : صاحب الحمى الربع .

دمه ، و إذا أُحرق قرناه حتّى يصيرا رماداً و أُديفا [۱] بخلّ وطلي به موضع البرص مستقبل الشمس فانّه يزول ، و إذا استفّ [۲] منه مقدارمثقال فانّه لا يخاصم أحداً إلّا غلب عليه [۳] .

والوعل بالفتح وككتف : تيس الجبل والجمع أوعال و وعول ، قال الدميريّ : الوعل بفتح الواو و كسر العين المهملة : الأروى و هو التيس الجبليّ ، و في طبعه أنّه يأوي إلى الأماكن الوعر الخشنة ولايزال مجتمعا ، فاذا كان وقت الولادة تفرّق . و إذا اجتمع في ضرع أُنثى لبن امتصّته ، والذكر إذا عجز عن النزو أكل البلّوط فتقوى شهوته ، و إذا لم يجد الأُنثى انتزع المنيّ بالامتصاص من فيه ، [٤] و ذلك إذاجذبه الشبق ، وفي طبعه أنّه إذا أصابه جرح طلب الخضرة التى في الحجارة فيمصّها ويجعلها في الجرح [۵] فيبرأ و إذا أحسّ بقنّاص وهو في مكان مرتفع استلقى على ظهره ثمّ يزجّ نفسه فينحدر و يكون قرناه و هما في رأسه إلى عجزه بقيانه ما يخشى من الحجارة و يسرعان به لملوستهما على الصفا انتهى [۶] .

والأيّل بضمّ الهمزة و كسرها و فتح الياء المشدّدة و كسيّد : الذكر من الأوعال ، و يقال : هو الذي يسمّى بالفارسيّة گوزن والجمع أيايل ، قال الدميري: و أكثر أحواله شبيهة ببقر الوحش ، وإذاخاف من الصيّاد يرمي نفسه من رأس الجبل ولا يتضرّر بذلك ، و عدد سني عمره العقد التي في قرنه ، و إذا لسعته الحيّة أكل السرطان ، و يصادق السمك فهو يمشي إلى الساحل ليرى السمك ، والسمك يقرب من البرّ ليراه ، والصيّادون يعرفون هذا فيلبسون جلده ليقصدهم السّمك فيصطادون

---

(۱) داف و أداف الدواء : خلطه .

(۲) سف الدواء والسويق و نحوهما : اخذه غير ملتوت .

(۳) حياة الحيوان ۲ : ۲۳۶ و ۲۳۷ .

(۴) فى المصدر : بفيه .

(۵) فى المصدر : فيمتصها ويجعلها على الجرح .

(۶) حياة الحيوان ۲ : ۲۹۰ و ۲۹۱ .

منه ، و هو مولع بأكل الحيّات يطلبها حيث وجدها و ربما لسعته فتسيل دموعه إلى نقرتين تحت محاجر عينيه ، يدخل الاصبغ فيها فتجمد تلك الدموع فتصير كالشمع فيتّخذ درياقا لسمّ الحيّات و هو البادزهر الحيوانيّ ، و أجوده الأصفر ، وأماكنه بلاد السند والهند و فارس ، و إذا وضع على لسع الحيّات والعقارب نفعها ، و إن أمسكه شارب السمّ في فيه نفعه ، وله في دفع السموم خاصيّة عجيبة ، وهذا الحيوان لا تنبت له قرون إلّا بعد مضيّ سنتين من عمره ، فاذانبت قرناه نبتامستقيمين كالوتدين و في الثالثة يتشعّب [1] ، ولا تزال التشعّب في زيادة إلى تمام ستّ سنين ، فحينئذ يكونان كشجرتين فيرأسه ثمّ بعد ذلك يلقي قرنيه في كلّ سنة مرّة ثمّ ينبتان ، فاذا نبتا تعرّض بهما للشمس ليصلبا ، والأيّل في نفسه جبان دائم الرّعب ، و هو يأكل الحيّات أكلا ذريعاً ، و إذا أكل الحيّات بدأ بأكل ذنبها إلى رأسها و هو يلقي قرونه في كلّ سنة ، و ذلك إلهامٌ من الله تعالى لما للناس فيها من المنفعة ، لأنّ الناس يطردون بقرنه كلّ دابّة سوء ويسّر عسر الولادة و ينفع الحوامل و يخرج الدود من البطن إذا أحرق جزء منه ولعق بالعسل .

و قال أرسطو : إنّ هذا النوع يصاد بالصفير والغناء ولاينام مادام يسمع ذلك ، فالصيّادون يشغلونه بذلك و يأتونه من ورآئه فاذا رأوه قد استرخت اُذناه أخذوه ، و ذكره من عصب لا لحم ولا عظم وقرنه مصمت لاتجويف فيه ، و يسمن هذا الحيوان سمناً كثيراً ، فاذا اتّفق له ذلك هرب خوفا من أن يصاد ، وإن الأيايل تأكل الأفاعي في الصيف فتحمى وتلتهب لحرارتها فتطلب الماء فاذا رأته امتنعت من شربه وحامت عليه تتنسّمه [2] لأنّها لو شربته في تلك الحالة فصادف الماء السّم الذي في أجوافها هلكت ، فلا تزال تمتنع من شرب الماء حتّى يطول بها الزمان فيذهب ثوران السّم ثمّ تشربه فلا يضرّها ، و إذا بخر بقرنه طرد الهوامّ و كلّ ذي سمّ و إذا اُحرق

---

(١) فى المصدر : و فى الثالثة يتشعبان .

(٢) اى تشمه و وجد نسيمه .

قرنه و استيك به قلع الصفرة و الحفر من الأسنان و شدّ اُصولها ، و من علّق عليه شيئاً من أجزائه لم ينم مادام عليه ، وإذا جفّف قضيبه وسفّي هيّج الباه ، وإذا شرب دمه فتّتت الحصاة التي في المثانة انتهى[1].

و القانص : الصائد ، و المراد بالتمثيل ما ذكر الله تعالى في قصّة هابيل ، و المعرّة : الاذى ، قوله عليه السلام : لا يعقل ، لعلّ المراد أنّ هذه الاُمور بمحض لطفه سبحانه حيث يلهمهم ذلك لا بعقل و رويّة .

و قال الفيروز آبادي : الدلفين بالضمّ : دابّة بحريّة تنجي الغريق ، و قال الدميري : الدلفين[2] ضبطه الجوهريّ في باب السّين بضمّ الدّال ، فقال : الدخس مثل الصرد : دابّة في البحر تنجي الغريق تمكّنه من ظهرها تستعين[3] على السباحة و تسمّى الدلفين ، و قال بعضهم : إنّه خنزير البحر و هو دابّة تنجي الغريق و هو كثير بأواخر نيل مصر من جهة البحر المالح لأنّه يقذف به البحر إلى النيل ، وصفته كصفة الزقّ المنفوخ وله رأس صغير جداً ، وليس في دوابّ البحر دابّة لها رئة سواه ، و لذا يسمع منه النفخ و النفس و هو إذا ظفر بالغريق كان أقوى الأسباب في نجاته لأنّه لا يزال يدفعه إلى البرّ حتّى ينجيه ، ولا يؤذي أحداً ولا يأكل إلاّ السّمك ، و ربّما ظهر على وجه الماء كأنّه الميّت[4] وهو يلد و يرضع و أولاده تتبعه حيث ذهب ولا يلد إلاّ في الصّيف ، و في طبعه الانس[5] و خاصّة بالصّبيان ، و إذا صيد جاءت دلافين كثيرة لقتال صائده ، و إذا لبث في العمق حيناً حبس نفسه و صعد بعد ذلك مسرعا مثل السهم لطلب النفس فان كانت بين يديه سفينة وثب وثبة و ارتفع بها عن

(۱) حياة الحيوان ۱ : ۷۶ و ۷۷ .

(۲) فى المصدر : الدلفين : الدخس .

(۳) فى المصدر : لتستعين به على السباحة .

(۴) فى المصدر : كانه ميت .

(۵) فى المصدر : و من طبعه الانس بالناس .

السفينة ، ولا يرى منها ذكر إلاّ مع اُنثى انتهى [١] .

و قال الفيروز آبادي : التنّين كسكّين : حيّة عظيمة ، و قال الدميري : ضرب من الحيّات كأكبر مايكون منها ، [٢] وقال القزويني في عجائب المخلوقات: إنّه شرّ من الكوسج ، في فمه أنياب مثل أسنّة الرماح ، وهو طويل كالنخلة السحوق أحمر العينين مثل الدم واسع الفم و الجوف برّاق العينين يبتلع كثيراً من الحيوانات يخافه حيوان البرّ والبحر ، إذا تحرّك يموج البحر لشدّة قوّته ، و أوّل أمره تكون حيّة متمرّدة تأكل من دوابّ البرّ ماترى فاذا كثر فسادها احتملها ملك و ألقاها في البحر، فتفعل في دوابّ البحر ما كانت تفعل [٣] بدوابّ البر فيعظم بدنها، فيبعث الله تعالى إليها ملكا يحملها ويلقيها إلى يأجوج ومأجوج ، [٤] وروى بعضهم أنّه رأى تنيّناً طوله نحو فرسخين ولونه مثل لون النمر مفلّساً مثل فلوس السّمك بجناحين عظيمين على هيئة جناحي السّمك و رأسه كرأس الانسان لكنّه كالتلّ العظيم ، و اُذناه طويلتان و عيناه مدوّرتان كبيرتان جدّاً انتهى [٥] .

و أقول : لم أر في كلامهم اختطاف السحاب للتنّين ، و قال الفيروز آبادي : القيظ صميم الصيف من طلوع الثريّا إلى طلوع سهيل و الزبية بالضمّ : الحفرة . و النشز بالفتح و بالتحريك : المكان المرتفع ، و قال الجوهري : الليث : الأسد ، و ضرب من العناكب يصطاد الذباب بالوثب ، و يقال : أحال عليه بالسوط يضربه أي أقبل ، قوله : فكذلك أي كفعل الليث ، و قوله : هكذا أي كفعل العنكبوت ، قال الدميري : العنكبوت : دويبة تنسج في الهواء ، و جمعها عناكب و الذكر عنكب و

(١) حياة الحيوان ١ : ٢٤٥ .

(٢) زاد في المصدر : و كنيته ابو مرداس و هو ايضا نوع من السمك .

(٣) في المصدر : بدواب البحر ما كانت تفعله .

(٤) فيه غرابة شديدة و هو بالقصة اشبه .

(٥) حياة الحيوان ١ : ١٢٠ .

وزنه فعللوت وهي قصار الأرجل كبار العيون للواحد ثمانية أرجل و ستّ أعين[۱] فاذا أراد صيد الذباب لطأ بالارض و سكن أطرافه و جمع نفسه ثمّ وثب على الذباب فلا يخطئه .

قال أفلاطون : أحرص الأشياء الذباب ، وأقنع الأشياء العنكبوت ، فجعل الله رزق أقنع الأشياء أحرص الأشياء . فسبحان اللطيف الخبير ، و هذا النوع يسمّى الذباب ، و منها نوع يضرب بالحمرة له زغب وله في رأسه اربع إبر ينهش بها ، و هو لا ينسج بل يحفر بيته في الأرض و يخرج بالليل كسائر الهوام ، منها الرتيلا قال الجاحظ : الرتيل نوع من العناكب وتسمّى عقرب الحيّات [۲] لانّها تقتل الحيّات والأفاعي ، وقيل : انّها ستّة أنواع ، وقيل : ثمانية ، و كلّها من أصناف العنكبوت و قال الجاحظ : ولد العنكبوت أعجب من الفروخ الذي يخرج إلى الدنيا كاسبا كاسيا ، لأنّ ولد العنكبوت يقوى على النسج ساعة يولد من غير تلقين ولا تعليم و يبيض و يحضن وأوّل ما يولد يكون دوداً صغاراً ثمّ يتغيّر ويصير عنكبوتا وتكمل صورته عند ثلاثة أيّام و هو يطاول للفساد ، فاذا أراد الذكر الأنثى جذب بعض خيوط نسجها من الوسط فاذا فعل ذلك فعلت الأنثى مثله فلا يزالان يتدانيان حتّى يتشابكا فيصير بطن الذكر قبالة بطن الأنثى ، وهذا النوع من العناكب حكيم ، ومن حكمته أنّه يمدّ السدى ثمّ يعمل اللحمة ويبتدىء من الوسط ويهيّىء موضعا لما يصيده من مكان آخر كالخزانة ، فاذا وقع شيء فيما نسجه وتحرّك عمد إليه وشبك عليه شيئاً يضعفه ،[۳] فاذا علم ضعفه حمله و ذهب به إلى خزانته فاذا خرق الصّيد من النسج شيئاً عاد إليه و رمّه ، و الذي تنسجه لا يخرجه من جوفها بل من خارج جلدها و فمها مشقوق بالطول ، [٤] و هذا النوع ينسج بيته دائماً مثلّث الشكل و تكون سعة بيتها بحيث

(۱) في المصدر : وست عيون .

(۲) في المصدر : عقرب الحيات و الافاعي .

(۳) في المصدر : و شبك عليه حتى يضعفه .

(۴) في المصدر ذكر الافعال و الضمائر بلفظ المذكر .

يغيب فيه شخصها انتهى [١] .

و يقال : وضع عنه أي حطّ من قدره ، و أقلّه أي حمله و رفعه ، و جساكدعا صلب و يبس ، و سحجت جلده فانسحج أي قشرته فانقشر ، والتقصّف : التكسّر والغريض : الطري أي غير مطبوخ ، والعجم بالتحريك : النوى ، و تقوقى أي تصيح والمحّ بضمّ الميم والحاء المهملة : صفرة البيض ، و في بعض النسخ بالخاء المعجمة و تنقاب اي تنفلق ، و ماء ضحضاح : قريب القعر ، والربيئة بالهمز : العين والطليعة الذي ينظر للقوم لئلاّ يدهمهم عدوّ ، والمرقب : الموضع المشرف يرتفع عليه الرقيب والبشم محرّكة : التخمة بشم كفرح ، والفراش هي التي تقع في السراج ، واليعسوب أمير النحل و طائر أصغر من الجرادة أو أعظم ، و في القاموس : التمّرة كقبّرة أوابن تمّرة طائر أضغر من العصفور ، و قال : القرمز صبغ أرمنيّ يكون من عصارة دود في آجامهم ، و قال : الحلزون محرّكة : دابّة تكون في الرمث أي بعض مراعي الابل.

أقول : و يظهر من الخبر اتّحادهما ، و يحتمل أن يكون المراد أنّ من صبغ الحلزون تفطّنوا باعمال القرمز للصبغ لتشابههما .

قال الدميريّ : الحلزون : دود في جوف اُنبوبة حجريّة يوجد في سواحل البحار و شطوط الانهار و هذه الدودة تخرج بنصف بدنها من جوف تلك الأنبوبة الصدفيّة و تمشي يمنة و يسرة ، تطلب مادة تغتدي بها ، فاذا أحسّت برطوبة ولين انبسطت إليها ، و إذا أحسّت بخشونة أوصلابة انقبضت و غاصت في جوف الاُنبوبة الصدفيّة حذراً من المؤذي لجسمها ، و إذا إنسابت جرت بيتها معها انتهى [٢] .

أقول : قد أوردنا الخبر بتمامه و شرحناه على وجه آخر في كتاب التوحيد .

تذييل نفعه جليل : اعلم أنّه قد ظهر من سياق هذا الخبر في مواضع أنّ الأعمال الصادرة عن الحيوانات العجم ليست على جهة الفهم والشعور ، و إنّما هي طبايع طبعت عليها ، و قد لاح من ظواهر كثير من الآيات والأخبار أنّ لها شعوراً

(١) حياة الحيوان ١ : ٢٦٦ و ٢ : ١١٤

(٢) حياة الحيوان ١ : ١٧١ .

و معرفة ، بل لهم تكاليف يعاقبون على ترك بعضها في الدنيا و على ترك بعضها في الآخرة لا على الدوام ، بل في مدة يحصل فيها التقاص بين مظلومها و ظالمها ، و قد اختلف الحكماء والمتكلمون من الخاص والعام في ذلك ، فالحكماء ذهبوا إلى تجرد النفوس الناطقة الانسانية ، و إلى أنه لا يتأتى إدراك الكلي إلا من المجرد ، فلذا خصوا إدراكه بالانسان ، و أما سائر الحيوانات فتدرك بالقوى الدراكة البدنية الأمور الجزئية كادراك الشاة معنى جزئياً في الذئب يوجب نفورها عنه ، و أكثر المتكلمين أيضاً نفوا عنها الفهم والشعور والعقل التي هي مناط التكليف ، و أولوا الآيات والأخبار الواردة في ذلك كما عرفت سابقا و سيأتي ، والحق أنه لم يدل دليل قاطع على نفي العقل والتكليف عنها مطلقا ، بل إنما يدل على أنها ليست في درجة الانسان في إدراك المعاني الدقيقة والتكاليف العظيمة التى كلف بها الانسان والوعد بالنعيم الدائم والوعيد بالعذاب المخلد ، فيحتمل أن تكون مدركة لبعض الأمور الكلية والمصالح الجلية المتعلقة ببقاء نوعها و غذائها و نموها ، و ملهمة بمعرفة صانعها و طاعة إمام الزمان و سائر الأمور الواردة في الأخبار المعتبرة ، ولا استحالة في ذلك ، ولا يلزم من ذلك أن تكون كسائر المكلفين مكلفة بجميع التكاليف معاقبة على ترك كلها ، و أيضا نفي التكليف لا يدل على سلب العقول والشعور مطلقا فان المراهقين غير مكلفين قد يكون لهم من إدراك العلوم و تحقيق المطالب ما لم يحصل لكثير من المكلفين على أنه يمكن حمل بعض الآيات والأخبار على أنه تعالى لاظهار المعجز لنبي أو وصي أو الكرامة لولي أعطاها في ذلك الوقت عقلا وشعوراً بها يصدر منها بعض أقوال العقلاء و أفعالهم كما مر ، أو أوجد فيها كلاماً أو فعلاً بحيث لا تشعر لما ذكروا و إن كان بعيداً ، و أما القول : بأن صدور الأعمال الوثيقة والصنايع الدقيقة منها إنما هي من طبع طبعت عليها من غير شعور بها و فائدتها ففي غاية البعد ، و يمكن تأويل ما يوهم ذلك في حديث المفضل على أن المعنى أن الله تعالى يلهمها عند حاجة إلى أمر من الامور و مصلحة من المصالح ذلك ، من غير أن يحصل لها ذلك العلم بالأخذ من معلم أو بتحصيل تجربة أو الرجوع إلى كتاب كما

تتّفق تلك الأُمور لأكثر أفراد البشر العاقلين ، كما أنّ الطفل عند الولادة يلقى عليه شهوة الغذاء والبكاء لتحصيله ، ويلهم كيفيّة مصّ الثدي و أمثال ذلك ممّا مرّ شرحه وتفصيله .

و لنذكر هنا بعض ما ذكره محقّقوا أصحابنا و غيرهم في ذلك ، فمنها ماذكره السيّد المرتضى رضي الله عنه في كتاب الغرر حيث سئل ما القول في الأخبار الواردة في عمدة كتب من الأُصول والفروع بمدح أجناس من الطّير والبهائم والمأكولات والأرضين و ذمّ أجناس منها ، كمدح الحمام والبلبل والقنبر والحجل والدرّاج وما شاكل ذلك من فصيحات الطّير ، و ذمّ الفواخت و الرخم ؟ و ما يحكى من أنّ كلّ جنس من هذه الأجناس المحمودة ينطق بثناء على الله تعالى و على أوليائه و دعاءلهم و دعاء على أعدائهم ، و أنّ كلّ جنس من هذه الأجناس المذمومة ينطق بضدّ ذلك من ذمّ الأولياء عليهم السلام ، و كذمّ الجرّيّ وما شاكله من السّمك و ما نطق به الجرّي من أنّه مسخ بجحده الولاية ، و ورود الآثار بتحريمه لذلك ، وكذمّ الدبّ والقرد والفيل و سائر المسوخ المحرّمة ، وكذمّ البطّيخة التى كسرها أمير المؤمنين عليه السلام فصادفها مرّة فقال : من النار الى النار [1] و دحابها من يده ففار من الموضع الذى سقطت فيه دخان ، وكذمّ الأرضين السبخة ، والقول بأنّها جحدت الولاية أيضاً ، وقد جاء في هذا المعنى ما يطول شرحه ، وظاهره مناف لما تدلّ العقول عليه من كون هذه الاجناس مفارقة لقبيل مايجوز تكليفه و يسوغ أمره ونهيه ، و في هذه الأخبار التى أشرنا إليها أنّ بعض هذه الأجناس يعتقد الحقّ و يدين به و بعضها يخالفه ، و هذا كلّه مناف لظاهر ما العقلاء عليه .

و منها ما يشهد أنّ لهذه الأجناس منطقا مفهوما وألفاظاً تفيد أغراضها وأنّها بمنزلة الأعجميّ والعربيّ اللذين لا يفهم أحدهما صاحبه ، و إنّ شاهد ذلك من قول الله سبحانه فيما حكاه عن سليمان عليه السلام : « يا أيّها الناس علّمنا منطق الطّير

---

(١) فى نسخة : والى النار .

واُوتينا من كلّ شيء إنّ هذا لهو الفضل المبين »[١] و كلام النملة أيضا ممّا حكاه الله سبحانه ، و كلام الهدهد و احتجاجه وفهمه و جوابه ، فلينعم بذكر ما عنده مثابا إن شاء الله و بالله التوفيق .

و أجاب رضي الله عنه ! اعلم أنّ المعوّل فيما نعتقد على[٢] ما تدلّ الأدلّة عليه من نفي و إثبات ، فاذا دلّت الأدلّة على أمر من الاُمور وجب أن نبني كلّ وارد من الأخبار إذا كان ظاهره بخلافه عليه و نسوقه إليه و نطابق بينه و بينه و نخلّي ظاهراً إن كان له ، و نشرط إن كان مطلقا ، و نخصّه إن كان عامّاً ، و نفصّله إن كان مجملا ، و نوفّق بينه و بين الأدلّة من كلّ طريق اقتضى الموافقة وآل إلى المطابقة وإذا كنّا نفعل ذلك ولا نحتشمه في ظواهر القرآن المقطوع على صحته المعلوم وروده فكيف نتوقّف عن ذلك في أخبار آحاد لا توجب علما ولا تثمر يقينا ؟ فمتى وردت عليك أخبار فأعرضها على هذه الجملة و ابنها عليها و افعل فيها ما حكمت به الأدلّة و أوجبته الحجج العقليّة ، و إن تعذّر فيها بناء و تأويل و تخريج و تنزيل فليس غير الاطراح لها و ترك التعريج عليها ، ولو اقتصرنا على هذه الجملة لاكتفينا فيمن يتدبّر و يتفكّر ، و قد يجوز أن يكون المراد بذمّ هذه الأجناس من الطّير أنّها ناطقة بضدّ الثناء على الله و بذمّ أوليائه و نقص أصفيائه : ذمّ متّخذيها[٣] و مرتبطيها ، و أنّ هؤلاء المغرين بمحبّة هذه الأجناس و اتّخاذهاهم الذين ينطقون بضدّ الثناء على الله تعالى و يذمّون أولياءه وأحبّاءه ، فاضاف النطق إلى هذهالاجناس و هو لمتخذيها أو مرتبطيها للتجاور والتقارب ، و على سبيل التجوّز والاستعارة كما أضاف الله تعالى السؤال في القرآن إلى القرية ، و إنّما هو لأهل القرية ، و كماقال تعالى : « و كأيّن من قريةٍ عتت عن أمر ربّها و رسله فحاسبناها حساباً شديداً و

(١) النمل : ١٦.

(٢) لعل كلمة (على) زائدة .

(٣) فى المصدر : معناه ذم متخذيها .

عذّبناها عذاباً نكراً ☆ فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسراً» [١] ، وفي هذا كلّه حذوف ، و قد اُضيف في الظاهر الفعل إلى من هو في الحقيقة متعلّق بغيره ، والقول في مدح أجناس من الطّير والوصف لها بأنّها تنطق بالثناء على الله والمدح لأوليائه يجري على هذا المنهاج الذي نهجناه .

فان قيل : كيف يستحقّ مرتبط هذه الأجناس مدحا بارتباطها و مرتبط بعض آخر ذمّاً بارتباطه حتّى علّقتم المدح والذم بذلك ؟

قلنا : ما جعلنا الارتباط هذه الأجناس حظّا في استحقاق مرتبطيها مدحاً ولاذماً وإنّما قلنا : إنّه غير ممتنع أن تجري عادة المؤمنين الموالين لأولياء الله تعالى والمعادين لأعدائه ، بأن بالغوا [٢] ارتباط أجناس من الطّير ، و كذلك تجري عادة بعض أعداء الله تعالى باتّخاذ بعض أجناس الطّير فيكون متّخذ بعضها ممدوحا لامن أجل اتّخاذه لكن لما هو عليه من الاتّخاذ الصحيح فيضاف المدح إلى هذه الأجناس و هو لمرتبطها والنطق بالتسبيح والدعاء الصحيح إليها و هو لمتّخذها تجوّزاً و اتّساعاً ، وكذلك القول في الذمّ المقابل للمدح .

فإن قيل : فلم نهي عن اتّخاذ بعض هذه الأجناس إذا كان الذمّ لا يتعلّق باتّخاذها ، و إنّما يتعلّق ببعض متّخذيها لكفرهم وضلالهم ؟

قلنا : يجوز أن يكون في اتّخاذ هذه البهائم المنهيّ عن اتّخاذها و ارتباطها مفسدة ، وليس يقبح خلقها في الأصل لهذا الوجه لأنّها خلقت لينتفع بها من سائر وجوه الانتفاع سوى الارتباط و الاتّخاذ الذي لا يمتنع تعلّق المفسدة به ، و يجوز أيضا أن يكون في اتّخاذ هذه الأجناس المنهيّ عنها شوم وطيرة ، فللعرب في ذلك مذهب معروف و يصحّ هذا النهي أيضا على مذهب من نفى الطّيرة على التحقيق ، لأنّ الطيرة والتشاؤم و إن كان لا تأثير لهما على التحقيق فانّ النفوس تستشعر ذلك ، و يسبق

---

(١) الطلاق : ٨و٩ .

(٢) في المصدر : بأن يألفوا .

إليها ما يجب على كلّ حال تجنّبه والتوقّي عنه [١] ، و على هذا يحمل معنى قوله عليه السلام : « لا يورد ذوعاهة على مصحّ » و أمّا تحريم السّمك الجرّي و ما أشبهه فغير ممتنع لشيء يتعلّق بالمفسدة في تناوله كما نقول في سائر المحرّمات ، فأمّا القول: بأنّ الجرّي نطق بأنّه مسخ لجحده الولاية فهو ممّا يضحك منه و يتعجّب من قائله والملتفت إلى مثله ، فأمّا تحريم الدبّ والقرد والفيل فكتحريم كلّ محرّم في الشريعة والوجه في التحريم لايختلف ، والقول بأنّها ممسوخة إذا تكلّفنا حملناه على أنّها كانت على خلق حميدة غير منفور عنها ، ثمّ جعلت على هذه الصّور الشنيعة على سبيل التنفير عنها والزيادة عن الصدّ [٢] في الانتفاع بها ، لأنّ بعض الأحياء لا يجوز أن يكون غيره على الحقيقة ، والفرق بين كلّ حيّين معلوم ضرورة ، فكيف يجوز أن يصير حيّ حيّاً آخر غيره ، و إذا أُريد بالمسخ هذا فهو باطل ، و إن أُريد غيره نظرنا فيه ، و أمّا البطّيخة فقد يجوز أن يكون أمير المؤمنين عليه السلام لمّا ذاقها و نفر عن طعمها و زادت كراهيته له قال : « من النار و إلى النار » أي هذا من طعام أهل النار و ما يليق بعذاب أهل النار ، كما يقول أحدنا ذلك فيما يستوبيه و يكرهه ، ويجوز أن يكون فوران الدخان عند الالقاء لها على سبيل التصديق لقوله عليه السلام : « من النار و إلى النار » و إظهار المعجزله ، وأمّا ذمّ الأرضين السبخة و القول بأنّها جحدت الولاية ، فمتى لم يكن محمولاً معناه على ماقدّمناه من جحد هذه الأرض و سكّانها الولاية لم يكن معقولا ، و يجري ذلك مجرى قوله تعالى : « وكأيّن من قرية عتت عن أمر ربّها و رسله » [٣] و أما إضافة اعتقاد الحقّ إلى بعض البهائم و اعتقاد الباطل والكفر الى بعض آخر فممّا تخالفه العقول والضّرورات لأنّ هذه البهائم غير عاقلة ولا كاملة ولا مكلّفة ، فكيف تعتقد حقاً أو باطلا ؟ و اذا ورد أثر في ظاهره شيء من هذه المحالات فالوجه فيه إمّا إطراح أو تأوّل على المعنى الصحيح ، و قد نهجنا

(١) في نسخة من الكتاب و مصدره : والتوقي منه .

(٢) في المصدر : في الصد عن الانتفاع بها .

(٣) الطلاق : ٨.

طريق التأويل و بيّنا كيف التوصّل إليه ، فأمّا حكايته تعالى عن سليمان عليه السلام : «يا أيّها الناس علّمنا منطق الطّير و اُوتينا من كلّ شيء إنّ هذا لهو الفضل المبين» [١] فالمراد به أنّه علم ما يفهم به ما تنطق به الطير و تتداعى في أصواتها و أغراضها و مقاصدها بما يقع منها من صياح على سبيل المعجزة لسليمان عليه السلام ، و أمّا الحكاية عن النملة بأنّها قالت : « يا أيّها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنّكم سليمان» [٢] فقد يجوز أن يكون المراد به أنّه ظهر منها دلالة القول على هذا المعنى ، وأشعرت باقي النمل و خوّفتهم من الضرر بالمقام ، وأنّ النجاة في الهرب إلى مساكنها، فتكون إضافة القول إليه مجازاً أو استعارةً ، كما قال الشاعر :

و شكا إلى بعيرة و تحمحم [٣]

و كما قال الآخر :

وقالت له العينان : سمعا و طاعةً

و يجوز أن يكون وقع من النملة كلام ذو حروف منظومة كما يتكلّم أحدنا يتضمّن المعاني المذكورة ويكون ذلك معجزة لسليمان عليه السلام لأنّ الله تعالى سخّر له الطير وأفهمه معاني أصواتها على سبيل المعجز له ، وليس هذا بمنكر فانّ النطق بمثل هذا الكلام المسموع منّا لا يمتنع وقوعه ممّن ليس بمكلّف [٤] ولا كامل العقل ، ألا ترى أنّ المجنون و من لم يبلغ الكمال من الصّبيان قد يتكلّمون بالكلام المتضمّن للأغراض ، و إن كان التكليف والكمال عنهم زائلين ، والقول فيما حكي عن الهدهد يجري على الوجهين اللذين ذكرناهما في النملة ، فلا حاجة بنا إلى إعادتهما ، و أمّا حكاية أنّه قال : « لأعذّبنّه عذاباً شديداً أولأذبحنّه أو ليأتينّي بسلطانٍ مبينٍ »[٥]

---

(١) النمل : ١٦ .

(٢) النمل : ١٨ .

(٣) في المصدر : وشكا الى بعيرة وتحمحم .

(٤) « « : مما ليس بمكلف .

(٥) النمل : ٢١ .

و كيف يجوز أن يكون ذلك في الهدهد و هو غير مكلّف ولا يستحقّ مثله العذاب؟ فالجواب عنه : أنّ العذاب اسم للضرر الواقع ، و إن لم يكن مستحقاً فليس يجري مجرى العقاب الذي لا يكون إلّا جزاء على أمر تقدّم ، فليس يمتنع أن يكون معنى « لأعذّبنّه » أي لأؤلمنّه ، و يكون الله تعالى قد أباحه الايلام له كما أباحه الذبح له لضرب من المصلحة ، كما سخّر له الطّير يصرفها في منافعه و أغراضه ، وكلّ هذا لا ينكر في نبيّ مرسل تخرق له العادات و تظهر على يده المعجزات ، و إنّما يشتبه على قوم يظنّون أنّ هذه الحكايات تقتضي كون النملة والهدهد مكلّفين ، وقد بيّنا أنّ الأمر بخلاف ذلك [1] .

و قال قدّس الله روحه أيضا في جواب المسائل الطرابلسيّات : فأمّا الاستبعاد في النملة أن تنبذر باقي النمل بالانصراف عن الموضع ، والتعجب من فهم النملة عن الأخرى ، ومن أن يخبر عنها بمانطق القرآن به من قوله : « يا ايّها النمل ادخلوا» الآية ، فهو في غير موضعه لأنّ البهيمة قد تفهم عن الأخرى بصوت يقع منها أو فعل كثيراً من أغراضها ، و لهذا نجد الطيور و كثيراً من البهائم يدعو الذكر منها الأنثى بضرب من الصوت يفرق بينه و بين غيره من الأصوات التي لا تقتضي الدعاء ، والأمر في ضروب الحيوانات و فهم بعضها عن بعض مرادها وأغراضها بفعل يظهر أو صوت يقع أظهر من أن يخفى والتغابي عن ذلك مكابرة ، فما المنكر على هذا أن يفهم باقي النمل من تلك النملة التي حكي عنها ما حكي الانذار والتخويف ؟ فقد نرى مراراً نملة تستقبل أخرى و هي متوجّهة إلى جهة فاذا حاذتها وباشرها عادت عن جهتها ورجعت معها ، و تلك الحكاية البليغة الطويلة لا يجب أن تكون النملة قائلة لها ولا ذاهبة إليها ، وإنّها لمّا خوّفت من الضرر الذي أشرف النمل عليه جاز أن يقول الحاكي لهذه الحال : تلك الحكاية البليغة المرتبة ، لأنّها لو كانت قائلة ناطقة و مخوّفة بلسان و بيان لما قالت إلاّ مثل ذلك ، وقد يحكى العربيّ عن الفارسيّ كلاماً مرتّباً مهذّباً

(١) غرر الفوائد : ٣٩٥-٣٩٧ .

ما نطق به الفارسيّ ، و إنّما أشار إلى معناه ، فقد زال التعجّب من الموضعين معاً و أيّ شيء أحسن و أبلغ و أدلّ على قوّة البلاغة و حسن التصرّف في الفصاحة من أن تشعر نملة لباقي النمل بالضرر لسليمان وجنده بما يفهم به أمثالها عنها ، فيحكي هذا المعنى الذي هو التخويف والتنفير بهذه الألفاظ المونقة والترتيب الرائق الصادق و إنّما يضلّ عن فهم هذه الأمور و سرعة الهجوم عليها من لا يعرف مواقع الكلام الفصيح و مراتبه و مذاهبه [1] .

و قال شارح المقاصد : ذهب جمهور الفلاسفة إلى أنّه ليست لغير الانسان من الحيوانات نفوس مجرّدة مدركة للكليّات ، و بعضهم إلى أنّنا لا نعرف وجود النفس لها لعدم الدليل ولا نقطع بالانتفاء لقيام الاحتمال ، و ما يتوهّم من أنّه لو كانت لها نفوس لكانت إنسانا ، لأنّ حقيقته النفس والبدن لا غير ليس بشيء لجواز اختلاف النفسين بالحقيقة و جواز التميز بفصول آخر لا نطّلع على حقيقتها ، و ذهب جمع من أهل النظر إلى ثبوت ذلك تمسّكا بالمعقول والمنقول ، أمّا المعقول فهو أنّا نشاهد منها أفعالاً غريبة تدلّ على أنّ لها إدراكات عقليّة كالنحل في بناء بيوته المسدّسة والانقياد لرئيس ، والنمل في إعداد الذخيرة ، والابل والبغل والخيل والحمار في الاهتداء إلى الطريق في الليالي المظلمة ، والفيل في غرائب أحوال تشاهد منه ، وكثير من الطيور والحشرات في علاج أمراض تعرض لها إلى غير ذلك من الحيل العجيبة التي يعجز عنها كثير من العقلاء ، وأمّا المنقول فكقوله تعالى : « والطير صافّات» [2] الآية ، و قوله تعالى : « و أوحى ربّك الى النحل » [3] الآية ، و قوله تعالى : « يا جبال أوّبي معه والطير » [4] و قوله تعالى حكاية عن الهدهد : « أحطت بما لم تحط

---

(١) جواب المسائل الطرابلسيات : لم يطبع .

(٢) النور : ٤١ .

(٣) النمل : ٦٨ .

(٤) السبأ : ١٠ .

به »[١] ، و حكاية عن النملة « يا أيّها النمل ادخلوا[٢] مساكنكم » الآية[٣] .

و قال الرازيّ في المطالب العالية في البحث عن نفوس سائر الحيوانات : أمّا الفلاسفة المتأخّرون فقد اتّفقوا على أنّ لها قوى جسمانيّة و أنّه يمتنع أن تكون لها نفوس مجرّدة ، ولم يذكروا في تقريره حجّة ولاشبهة ، وليس لأحد أن يقول : لو كانت نفوسها نفوسا مجرّدة لوجب كونها مساوية للنفوس البشريّة في تمام الماهيّة فيلزم وقوع الاستواء في العلوم والاخلاق ، و ذلك محال ، فانّا نقول : الاستواء في التجرّد استواء في قيد سلبيّ ، و قد عرفت أنّ الاستواء في القيود السلبيّة لايوجب الاستواء في تمام الماهيّة ، وأمّا سائر الناس فقد اختلفوا في أنّه هل لها نفوس مجرّدة و هل لها شيء من القوّة العقلية أم لا ؟ فزعم طائفة من أهل النظر و من أهل الأثر أنّ ذلك ثابت ، و احتجّوا على صحّته بالمعقول والمنقول ، أمّا المعقول فهو أنّهم قالوا : إنّا نشاهد من هذه الحيوانات أفعالا لا يصدر إلّا من أفاضل العقلاء ، و ذلك يدلّ على أنّ لها قدراً من العقل ، و بيّنوا ذلك بوجوه :

الأوّل : أنّ الفارة تدخل ذنبها في قارورة الدهن ثمّ تلحسه ، و هذا الفعل لا يصدر عنها إلّا لعلمها بمجموع مقدّمات : فأحدها أنّها محتاجة إلى الدهن ، وثانيها : أنّ رأسها لا تدخل في القارورة ، و ثالثها : أنّ ذنبها تدخل ، و رابعها : أنّ المقصود حاصل بهذا الطريق فوجب الاقدام عليه .

الثاني : أنّ النحل يبني البيوت المسدّسة ، وهذا الشكل فيه منفعتان لايحصلان إلّا من المسدّس ، وتقريره أنّ الأشكال على قسمين : منها : أشكال متى ضمّ بعضها إلى بعض امتلأت العرصة منها ، إلّا أنّ زواياها ضيّقة فتبقى معطّلة ، ومنها : أشكال ليست كذلك فالقسم الأوّل كالمثلّثات والمربّعات فانّهما و إن امتلأت العرصة منها إلّا أنّ زواياضيّقة فيبقى معطّلة وأمّا المسبّع والمثمن وغيرهما فزواياها و إن كانت واسعة إلّا أنه لاتمتلي العرصة

(١) النمل : ٢٢ .

(٢) « : ١٨ .

(٣) شرح المقاصد : نسخته ليست موجودة عندى .

منها بل يبقى بينها فضاء ، فأمّا الشكل المستجمع لكلتا المنفعتين فليس إلّا المسدّس ، وذلك لأنّ زواياها واسعة فلا يبقى شيء من الجوانب فيه معطّلاً ، وإذا ضمّت المسدّسات بعضها إلى بعض لم يبق فيما بينها فرجة ضائعة ، فاذا ثبت أنّ الشكل الموصوف بهاتين الصفتين هذا المسدّس لا جرم اختار النحل بناء بيوتها على هذا الشكل ، ولو لا أنّه تعالى أعطاها من الالهام والذكاء لما حصل هذا الامر ، و فيه أعجوبة ثانية و هي أنّ البشر لا يقدر على بناء البيت المسدّس إلّا بالمسطر والبركار ، والنحل يبني تلك البيوت من غير حاجة إلى شيء من الآلات والأدوات .

و اعلم أنّ عجائب أحوال النحل في رياسته و في تدبيره لأحوال الرعيّة، وفي كيفيّة خدمة الرعيّة لذلك الرئيس كثيرة مذكورة في كتاب الحيوان .

الثالث : أنّ النمل يسعى في إعداد الذخيرة لنفسها ، و ما ذاك إلّا لعلمها بأنّها قد تحتاج في الأزمنة المستقبلة إلى الغذاء ، ولا تكون قادرة على تحصيله في تلك الأوقات فوجب السعي في تحصيله في هذا الوقت الذي حصلت فيه القدرة على تحصيل الذخيرة ، و من عجائب أحوالها أمور ثلاثة : أحدها أنّها إذا أحسّت بنداوة المكان فانّها تشقّ الحبّة بنصفين لعلمها بأنّ الحبّة لو بقيت سالمة و وصلت النداوة إليها لنبت منها و تفسد الحبّة على النملة ، أمّا إذا صارت مشقوقة بنصفين لم تنبت، وثانيها: إذا وصلت النداوة إلى تلك الأشياء ثمّ طلعت الشمس فانّها تخرج تلك الأشياء من جحرها و تضعها حتّى تجفّ وثالثها : أنّ النملة إذا أخذت في نقل متاعها إلى داخل الجحر انذر ذلك بنزول الأمطار و هبوب الرياح ، وهذه الأحوال تدلّ على حصول ذكاء عظيم لهذا الحيوان الصغير .

الرابع : أنّ العنكبوت تبني بيوتها على وجه عجيب و ذلك لأنّها ما نسجت الشبكة التي هي مصيدتها إلّا بعد أن تفكّرت أنّه كيف ينبغي وضعها حتّى يصلح لاصطياد الذباب بها ، و هذه الأفعال فكريّة ليست أقلّ من الأفكار الانسانيّة .

الخامس : أنّ الجمل والحمار إذا سلكا طريقا في الليلة الظلماء ففي المرّة الثانية يقدر على سلوك ذلك الطريق من غير إرشاد مرشد ولا تعليم معلّم ، حتّى أنّ

الناس إذا اختلفوا في ذلك الطريق و قدّموا الجمل و تبعوه وجدوا الطريق المستقيم عند متابعته .

و أيضا أنّ الانسان لا يمكنه الانتقال من بلد إلى بلد إلاّ عند الاستدلال بالعلامات المخصوصة ، إمّا الأرضيّة كالجبال والرياح ، أو السماويّة كأحوال الشمس والقمر . وأمّا القطا فانّه يطير في الهواء من بلد إلى بلد طيرانا سويّاً من غير غلط ولا خطاء ، و كذلك الكراكي تنتقل من طرف من أطراف العالم إلى طرف آخر لطلب الهواء الموافق من غير غلط البتّة ، فهذا فعل يعجز عنه أفضل البشر و هذا النوع من الحيوان قادر عليه .

السادس : أنّ الدبّ إذا أراد أن يفترس الثور علم أنّه لا يمكنه أن يقصده ظاهراً ، فيقال : إنّه يستلقي في ممرّ ذلك الثور ، فاذا قرب الثور و أراد نطحه جعل قرنيه فيما بين ذراعيه ولا يزال ينهش ما بين ذراعيه حتّى يثخنه ، و أيضا أنّه يأخذ العصا و يضرب الانسان حتّى يتوهّم أنّه مات فيتركه و ربّما عاد يشمّه و يتجسّس نفسه [1] و أيضاً يصعد الشجر أخفّ صعود ويأخذ الجوز بين كفّيه و يضرب ما في أحد كفّيه على ما في الكفّ الآخر ثمّ ينفخ فيه و يزيل القشور و يأكل اللبّ .

السّابع : أنّ الثعلب إذا اجتمع البقّ الكثير والبعوض الكثير على جلده أخذ بفيه قطعة من جلد حيوان ميّت ، ثمّ إنّه يضع يده و رجليه في الماء ولا يزال يغوص فيه قليلاً قليلاً فاذا أحسّ البقّ والبعوض بالماء أخذت تصعد إلى المواضع الخارجة من الثعلب من الماء ، ثمّ إنّ الثعلب لا يزال يغوص قليلاً قليلاً و تلك الحيوانات ترتفع قليلاً قليلاً ، فاذا غاص كلّ بدنه في الماء و بقي رأسه خارج الماء تصاعد كلّ تلك الحيوانات إلى الراس ثمّ إنّه يغوص رأسه في الماء قليلاً قليلاً فتلك الحيوانات تنتقل إلى تلك الجلدة الميتة و تجتمع فيها فاذا أحسّ الثعلب بانتقالها إلى تلك الجلدة رماها في الماء و خرج من الماء سليماً فارغاً عن تلك الحيوانات الموذية ، ولا شكّ أنّها حيلة عجيبة في دفع الموذيات .

---

(۱) في النسخه المخطوطة : ويتحس نفسه .

الثامن : يقال : إنّ من خواصّ الفرس أنّ كلّ واحد منها يعرف صوت الفرس الذي قاتله ،والكلاب تتعالج بالعشبة المعروفة لها ، والفهد إذا سقي الدواء المعروف بخانق الفهد[1] طلب زبل الانسان فأكله ، والتمساح تفتح فاها لطائر مخصوص يدخل في فمها و ينظف ما بين أسنانها و على رأس ذلك الطير شيء كالشوك ، فاذاهمّ التمساح بالتقام ذلك الطير تأذّى من ذلك الشوك ففتح فاه فخرج ذلك الطّير ، والسلحفات تتناول بعد أكل الحيّة صعتر أجبليّاً ثمّ تعود قد شوهد ذلك ، و حكى بعض الثقات المحبّين للصيّد أنّه شاهد الحبارى تقاتل الأفعى و تنهزم عنه إلى بقلة تتناول منها ثمّ تعود ولا تزال تفعل ذلك ، و كان ذلك الشيخ قاعداً في كنّ غاير كما تفعله الصيّادون وكانت البقلة قريبة في ذلك الموضع ، فلمّا اشتغل الحبارى بالأفعى قلع الرجل تلك البقلة فعادت الحبارى إلى منبتها فأخذت تدور حول منبتها دوراناً متتابعاً ثمّ سقطت و ماتت فعلم ذلك الرجل أنّها كانت تتعالج بأكلها من لسعة الأفعى ، و تلك البقلة هي الخسّ البرّيّ[2] ، وأمّا ابن عرس فانّه يستظهر في قتال الحيّة بأكل السّداب ، فانّ النكهة السدابيّة ممّا يكرهها الأفعى ، والكلاب إذا تدوّد بطنها أكلت سنبل الحيّة ، و إذا جرحت اللقالق بعضها بعضاً عالجت تلك الجراحات بالصعتر الجبليّ ، فتأمّل من أين حصلت لهذه الحيوانات هذا الطبّ و هذا العلاج .

التّاسع : أنّ القنافذ قد تحسّ بريح الشمال والجنوب قبل الهبوب فتغيّر المدخل إلى حجرتها ، يحكى أنّه كان بالقسطنطنيّة رجل قد جمع مالاً كثيراً بسبب أنّه كان ينذر بالرياح قبل هبوبها وينتفع الناس بذلك الانذار و كان السبب فيه قنفذ في داره يفعل الفعل المذكور .

العاشر : أنّ الخطاف صنّاع حسن في اتّخاذ العشّ لنفسه من الطين و قطع الخشب ، فاذا أعوزه الطين ابتلّ و تمرّغ في التراب ليحمل جناحاه قدراً من الطين و إذا أفرخ بالغ في تعهّد الفراخ و يأخذ زرقها بمنقارها و يرميها عن العشّ ثمّ

(١) خانق الفهد : حشيش .

(٢) في نسخة : الجرجير البرى .

تعلّمها إلقاء الزرق بالتولية نحو طرف العشّ .

الحادي عشر: إذا قرب الصائد من مكان فرخ القبجة ظهرت له القبجة و قربت منه مطيعة لأجل أن يتبعها ثمّ تذهب إلى جانب آخر سوى جانب فراخها .

الثاني عشر : ناقر الخشب قلّما يجلس على الأرض ، بل يجلس على الشجر و ينقر الموضع الذي يعلم أنّ فيه دوداً .

الثالث عشر : الغرانيق[1] تصعد في الجوّ جدّاً عندالطيران فان حصل عباب[2] أو سحاب يحجب بعضها عن بعض أحدثت عن أجنحتها حفيفاً مسموعا ، و يصير ذلك الصوت سببا لاجتماعها و عدم تفرّقها ،و إذا نامت نامت على فرد رجل قداضطبعت[3] الرؤس إلاّ القائد فانّه ينام مكشوف الرأس فيسرع انتباهه و إذا أحسّ بأحد أوصوت صاح تنبيهاً للباقين .

الرابع عشر : النعامة إذا اجتمع لها من بيضها عشرون أو ثلاثون قسّمتها ثلاثة أثلاث ، فتدفن ثلثا منها في التراب ، و ثلثا تتركها في الشمس ، و ثلثا تحتضنه فاذا خرجت الفراريخ كسرت ما كان في الشمس و سقت تلك الفراريخ ما فيها من الرطوبات التي ذوّبتها الشمس و رقّقتها ، فاذا قويت تلك الفراريخ أخرجت الثلث الثاني الذي دفنته في الأرض و ثقبتها و قد اجتمع فيها النمل والذباب والديدان والحشرات فتجعل تلك الأشياء طعمة لتلك الفراريخ ، فاذا تمّ ذلك فقد صارت تلك الفراريخ قادرة على الرعي والطلب ، ولا شكّ أنّ هذا الطريق حيلة عجيبة في تربية الأولاد .

ولنكتف من هذا النوع بهذا القدرالذى ذكرناه فانّ الاستقصاء فيه مذكور في كتاب الحيوان ، و قد ظهر منها أنّ هذه الحيوانات قد تأتي بأفعال يعجز أكثر

---

(۱) جمع الغرنيق بضم الغين و فتح النون : طائر ابيض طويل العنق من طير الماء و قيل : انه الذكر من طير الماء وقيل : هو الكراكى ، وقيل : طير سوداء فى قدرالبط.

(۲) فى النسخة المخطوطة : ضباب .

(۳) اضطبع الشيء : أدخله تحت ضبعيه .

الأذكياء من الناس عنها ، ولو لا كونها عاقلة فاهمة لما صحّ شيء من ذلك ، فهذا ما يتعلّق بالعقل ، وأمّا النقل فقد تمسّكوا في إثبات قولهم بآيات : فاحداها قوله تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام : « يا أيّها الناس علّمنا منطق الطّير واُوتينا من كلّ شيء إنّ هذا لهو الفضل المبين [١] » .

والثانيه [٢] : قوله تعالى : « حتّى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيّها النمل ادخلوا مساكنكم » [٣] .

والثالثة [٤] : « و تفقّد الطّير فقال مالي لا أرى الهدهد » [٥] و هذا التهديد لايعقل إلاّ مع العاقل.

والرابعة [٦] : قوله تعالى حكاية عن الهدهد : « أحطت بما لم تحط به » [٧] إلى آخر الآية .

والخامسة [٨] قوله : « والطّير صافّات كلّ قد علم صلاته و تسبيحه » [٩] قيل: معناه كلّ من الطّير قد علم صلاته و تسبيحه .

قال بعضهم : كنت جالسا عند أبي جعفر الباقر عليه السلام فقال لي : أتدري ماتقول هذه العصافير عند طلوع الشّمس وبعدطلوعها؟ قلت لا : قال: إنّها تقدّس ربّها وتسأله قوت يومها .

---

(١) النمل: ١٦ .
(٢) فى النسخة المطبوعة : الحجة الثانية .
(٣) النمل : ١٨ .
(٤) فى النسخة المطبوعة : الحجة الثالثة .
(٥) النمل : ٢٠ .
(٦) فى النسخة المطبوعة : الحجة الرابعة .
(٧) النمل : ٢٢ .
(٨) فى النسخة المطبوعة : الحجة الخامسة .
(٩) النور : ٤١ .

و أقول : رأيت في بعض الكتب أنّ في بعض الأوقات اشتدّ القحط و عظم حرّ الصيف والناس خرجوا إلى الاستسقاء فلمّا أبلحوا [1] قال : خرجت إلى بعض الجبال فرأيت ظبية جاءت إلى موضع كان في الماضي من الزمان مملوّاً من الماء و لعلّ تلك الظبية كانت تشرب منه ، فلمّا وصلت الظبية إليه ما وجدت فيه شيئاً من الماء ، وكان أثر العطش الشديد ظاهراً على تلك الظبية فوقفت و حرّكت رأسها إلى جانب السّماء فأطبق الغيم و جاء الغيث الكثير .

ثمّ إنّ أنصار هذا القول قالوا : لمّا بيّنّا بالدليل أنّ هذه الحيوانات تهدي إلى الحيل اللطيفة فأيّ استبعاد في أن يقال : إنّها تعرف أنّ لها ربّاً و مدبّراً و خالقاً ؟ و هذا تمام القول في دلائل هذه الطايفة .

و احتجّ المنكرون لكونها عاقلة عارفة بأن قالوا : لو كانت عاقلة لوجب أن تكون آثار العقل ظاهرة في حقّها ، لأنّ حصول العقل لها مع أنّه لا يمكنها الانتفاع البتّة بذلك العقل عبث ، وذلك لا يليق بالفاعل الحكيم ، إلاّ أنّ آثار العقل غير ظاهرة فيها ، لأنّها لا تحترز عن الأفعال القبيحة ، ولا تميّز بين ما ينفعها و بين ما يضرّها فوجب القطع بأنّها غير عاقلة .

و لمجيب أن يجيب فيقول : إنّ درجات العلوم والمعارف كثيرة و اختلاف النفوس في ماهيّتها محتمل ، فلعلّ خصوصيّة نفس كلّ واحد منها لا تقتضي إلاّ النوع المعيّن من العقل ، و إلاّ القسم المخصوص من المعرفة ، فان كان المراد بالعقل جميع العلوم الحاصلة للانسان فحقّ أنّها ليست عاقلة ، و إن كان المراد بالعقل معرفة نوع من هذه الأنواع فظاهر أنّها موصوفة بهذه المعرفة ، و بالجملة فالحكم عليها بالثبوت والعدم حكم على الغيب ولا يعلم الغيب إلاّ الله ، وليكن ههنا آخر كلامنا في النفوس الحيوانيّة والله أعلم انتهى كلامه .

(١) في النسخة المطبوعة : « فلما افلحوا » ولعل كلاهما مصحفان والصحيح : « فلما بلحوا » أي اعيوا و عجزوا يقال : بلح و بلح على اى لم اجد عنده شيئا ، أو الصحيح : فما أفلحوا .

وقال الدميريّ : الغرنيق بضمّ الغين وفتح النون ، قال الجوهريّ والزمخشريّ إنّه طائر أبيض من طير الماء طويل العنق [١] ، وقال في النهاية : إنّه الذكر من طير الماء ، و يقال : غرنيق و غرنوق ، و قيل : هو الكركيّ ، و قيل : الغرانيق والغرانقة طير أسود في حدّ البطّ [٢] ، وقال القزوينيّ : الغرنيق [٣] من الطّيور القواطع ، وهي إذا أحسّت بتغيّر الزمان عزمت على الرجوع إلى بلادها ، فعند ذلك تتّخذ قائداً حارساً ثمّ تنهض معا ، فاذا طارت ترتفع في الهواء حتّى لايعرض لها شيء من السباع فاذا رأت غيما أو غشيها الليل أو سقطت للطعم أمسكت عن الصّياح كيلا يحسّ بها العدوّ ، وإذاأرادت النوم أدخل كلّ واحد منهارأسه تحت جناحه لعلمه بأنّ الجناح أحمل للصدمة من الرأس لما فيه من العين التي هي أشرف الأعضاء ، والدماغ الذي هو ملاك البدن ، و ينام كلّ واحد منها قائما على إحدى رجليه حتّى لايكون نومها [١] ثقيلا ، و أمّا قائدها و حارسها فلا ينام ، ولا يدخل رأسه في جناحه ، ولا يزال ينظر في جميع الجوانب فاذا أحسّ بأحد صاح بأعلى صوته [٢] انتهى .

قوله : قد اضطبعت : أي أدخلت رأسها في ضبعها .

---

(١) فى المصدر : طائر ابيض طويل العنق من طير الماء .

(٢) « « : طيور سود فى قدر البط .

(٣) « « : الغرنوق .

(١) « « : نومه .

(٢) حياة الحيوان ٢ : ١٢٥ و ١٢٦ .

٢

﴿ باب ﴾

✡(أحوال الانعام و منافعها و مضارها و اتخاذها)✡

الآيات : المائدة «٥» : اُحلّت لكم بهيمة الأنعام ١ .

الأنعام : وجعلوا لله ممّا ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا - إلى قوله : - ساء ما يحكمون ١٣٦ .

و قال سبحانه : و قالوا هذه أنعام - إلى قوله : - و ما كانوا مهتدين ١٣٨ .

و قال تعالى : و من الأنعام حمولةً وفرشاً - إلى آخر الآية ١٤٢ .

النحل ١٦ : والأنعام خلقها لكم فيها دفءٌ ومنافع و منها تأكلون ✡ و لكم فيها جمالٌ حين تريحون و حين تسرحون ✡ وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلاّ بشقّ الأنفس إنّ ربّكم لرؤفٌ رحيمٌ ✡ والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة و يخلق مالا تعلمون ٥ - ٨ .

و قال سبحانه : « وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً تستخفّونها يوم ظعنكم و يوم إقامتكم و من أصوافها و أوبارها و أشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين » ٨٠ .

الحجّ «٢٢» : ويذكروا اسم الله في أيّام معلومات على مارزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها و أطعموا البائس الفقير - إلى قوله تعالى : - و اُحلّت لكم بهيمة الأنعام إلاّ ما يتلى عليكم - إلى قوله تعالى : - والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير - إلى قوله عزّ وجلّ : كذلك سخّرناها لكم لعلّكم تشكرون ٢٨-٣٦ .

المؤمنون «٢٣» : وإنّ لكم في الأنعام لعبرةً نسقيكم ممّا في بطونها ولكم فيها منافع كثيرةٌ و منها تأكلون ✡ و عليها و على الفلك تحملون ٢١و٢٢ .

فاطر ٣٥ : و من النّاس والدّوابّ والأنعام مختلفٌ ألوانه كذلك ٢٨ .

يس « ٣٦ » : و خلقنا لهم من مثله ما يركبون ٤٢ .

و قال عزّ وجلّ : « أولم يروا أنّا خلقنا لهم ممّا عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون ۞ و ذلّلناها لهم فمنها ركوبهم و منها يأكلون ۞ ولهم فيها منافع و مشارب أفلا يشكرون ٧١-٧٣ .

الزمر «٣٩» : وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج ٦ .

المؤمن «٤٠» : الله الذي جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها يأكلون ۞ ولكم فيها منافع و لتبلغوا عليها حاجةً في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون ٧٩ و ٨٠.

حمعسق «٤٢» : جعل لكم من أنفسكم أزواجا و من الأنعام أزواجاً يذرؤكم فيه ١١ .

الزخرف «٤٣» : وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون ١٢ .

الغاشية «٨٨» أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت ١٧ .

تفسير : « بهيمة الأنعام » ذهب أكثر المفسّرين إلى أنّها إضافة بيان أو إضافة الصفة إلى الموصوف اُريد بها الأزواج الثمانية ، والمستفاد من أكثر الأخبار أنّ بيان « حلّ الأنعام » في آيات اُخر ، والمراد هنا بيان الأجنّة التي في بطونها ، و روي في الكافي في الحسن كالصحيح عن محمّد بن مسلم ، قال : سألت أحدهما عليهما السلام عن قول الله عزّ وجلّ : « اُحلّت لكم بهيمة الأنعام » فقال : الجنين في بطن اُمّه إذا أشعر و أوبر فذكاته ذكاة اُمّه ، فذلك الذي عنى الله عزّ وجلّ [1] .

فعلى هذا الاضافة بتقدير « من » أواللاّم ، و يمكن حمل الخبر على أنّ المراد أنّ الجنين أيضاً داخل في الآية ، فيكون الغرض بيان الفرد الأخفى أو يكون تحديداً لأوّل تسميتها بالبهيمة و حلّها ، فلاينافي التعميم ، قال الطبرسيّ رحمه الله : اختلف في تأويله على أقوال : أحدها : أنّ المراد به الأنعام ، و إنّما ذكر البهيمة للتأكيد فمعناه اُحلّت لكم الأنعام : الابل والبقر والغنم .

و ثانيها: أنّ المراد بذلك أجنّة الأنعام التي توجد في بطون اُمّهاتها إذا أشعرت و قد ذكّيت الاُمّهات و هي ميتة فذكاتها ذكاة اُمّهاتها ، و هو المرويّ عن أبي جعفر

(١) فروع الكافي ٦ : ٢٣٤ .

و أبي عبد الله عليهما السلام .

وثالثها : أنّ بهيمة الأنعام وحشيّها كالظبي[۱] والبقر الوحشيّ و حمر الوحش والأولى حمل الآية على الجميع انتهى[۲] والآية تدلّ على حلّ أكل لحوم البهائم بل سائر أجزائها بل جميع الانتفاعات منها إلاّ ما أخرجه الدليل ، « وجعلوا » أي مشركو العرب « لله ممّا ذرأ » أي خلق « من الحرث » أي الزرع « والأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم » من غير أن يؤمروا به « و هذا لشركائنا » يعني الأوثان « فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله و ما كان لله فهو يصل إلى شركائهم » و روي أنّهم كانوا يعيّنون شيأ من حرث و نتاج لله و يصرفونه في الضيفان والمساكين ، و شيئا منهما لآلهتهم و ينفقون على سدنتها[۳] و يذبحون عندها ، ثمّ إن رأوا ماعيّنوا لله أزكى بدّلوه بما لآلهتهم ، و إن رأوا ما لآلهتهم أزكى تركوه لها حبّاً لها ، و اعتلّوا لذلك بأنّ الله أغنى ، وروي في المجمع عن أئمّتنا عليهم السلام أنّه كان إذا اختلط ماجعل للأصنام بما جعل لله ردّوه ، و إذا اختلط ما جعل لله بما جعلوه للأصنام تركوه و قالوا : الله أغنى ، و إذا انخرق الماء[٤] من الذي لله في الذي للأصنام لم يسدّوه ، وإذاانخرق[٥] من الذي للأصنام في الذي لله سدّوه و قالوا : الله غنيّ[٦] « ساء ما يحكمون » أي ساء الحكم حكمهم هذا[٧] «وقالوا هذا أنعامٌ و حرثٌ حجرٌ » أي حرام « لايطعمها إلاّ من نشاء »[٨] يعنون خدمة الأوثان والرجال دون النساء « بزعمهم » أي بغير حجّة « وأنعامٌ حرّمت ظهورها»[٩] يعني البحائر والسّوائب والحوامي« وأنعام لايذكرون

(۱) فى المصدر : كالظباء و بقرالوحش .

(۲) مجمع البيان ۳ : ۱۵۲ .

(۳) اى خدمها و بوابها .

(۴و۵) فى المصدر : واذا تخرق الماء .

(۶) فى المصدر : الله اغنى .

(۷) مجمع البيان ۴ : ۳۷۰ .

(۸) اى الا من نشاء أن نأذن له أكلها .

(۹) يعنى الانعام التى حرموا الركوب والحمل عليها .

اسم الله عليها » في الذبح بل يسمّون آلهتهم ، و قيل : لا يحجّون على ظهورها «افتراءً عليه » نصب على المصدر «سيجزيهم بما كانوا يفترون ۞ وقالوا ما في بطون هذه الأنعام» يعنون أجنّة البحائر والسّوائب « خالصة لذكورنا و محرّم على أزواجنا » أي إن ولد حيّاً « و إن يكن ميتة فهم فيه شركاء » أي الذكور والإناث فيه سواء « سيجزيهم وصفهم » أي جزآء وصفهم الكذب على الله في التحليل والتحريم « إنّه حكيمٌ عليمٌ ۞ قد خسر الذين قتلوا أولادهم » أي بناتهم « سفهاً بغير علم و حرّموا ما رزقهم الله » من البحائر ونحوها « افتراءً على الله قد ضلّوا وما كانوا مهتدين » إلى الحقّ والصّواب « و من الأنعام » أي و أنشأ من الأنعام .

«حمولةً و فرشاً » قيل فيه وجوه : الأوّل : أنّ الحمولة : كبار الابل أو الأعمّ والفرش: صغارها الدانية من الأرض مثل الفرش المفروش عليها . الثاني : أنّ الحمولة: ما يحمل عليه، من الابل والبقر ، والفرش : الغنم ، الثالث : أنّ الحمولة : كلّ ما حمل من الابل والبقر والخيل والبغال والحمير والفرش : الغنم ، روي ذلك عن ابن عبّاس فكأنّه ذهب إلى أنّه يدخل في الأنعام الحافر على وجه التّبع .

والرابع : أنّ معناه ما ينتفعون به في الحمل و ما يفترشونه في الذبح ، فمعنى الافتراش الاضطجاع للذبح .

والخامس : أنّ الفرش : ما يفرش من أصوافها و أوبارها ، أي من الأنعام ما يحمل عليه و منها ما يتّخذ من أوبارها و أصوافها ما يفرش و يبسط ، و قيل : أي ما يفرش المنسوج من شعره و صوفه ووبره ، و يدلّ على جواز حمل ما يقبل الحمل منها و ذبح ما يستحقّ الذبح منها أو افتراش أصوافها و أوبارها و أشعارها [1] .

« كلوا ممّا رزقكم الله » قال الطبرسيّ رحمه الله : أي استحلّوا الأكل ممّا أعطاكم الله ولا تحرّموا شيئاً منها كما فعله أهل الجاهليّة في الحرث والأنعام ، وعلى هذا يكون الأمر على ظاهره ، ويمكن أن يكون المراد نفس الأكل فيكون بمعنى

---

(١) ذكر الطبرسي تلك الوجوه في مجمع البيان ٤ : ٣٧٦ .

الاباحة [١] .

« ولاتتّبعوا خطوات الشيطان » قال البيضاويّ : أي في التحليل والتحريم من عند أنفسكم ، « إنّه لكم عدوٌّ مبينٌ » ظاهر العداوة « ثمانية أزواج » بدل من حمولة و فرشا ، أو مفعول « كلوا » ولا تتّبعوا معترض بينهما ، أو فعل دلّ عليه ، أوحال من « ماء » بمعنى مختلفة أومتعدّدة ، والزوج : مامعه آخر من جنسه يزاوجه وقد يقال: لمجموعهما ، والمراد الاوّل [٢] .

« من الضأن اثنين و من المعز اثنين » قال الطبرسيّ قدّس سرّه : معناه ثمانية أفراد ، لأنّ كلّ واحد من ذلك يسمّى زوجا ، فالذكر : زوج الأنثى والانثى زوج الذكر وقيل : معناه ثمانية أصناف « من الضأن اثنين » يعني الذكر والأنثى « و من المعز اثنين» الذكر والأنثى ، والضأن : ذوات الصوف من الغنم ، والمعز ذوات الشعر منه ، و واحد الضأن ضائن ، والأنثى ضائنة ، و واحد المعز ماعز ، و قيل : المراد بالاثنين الأهليّ والوحشيّ من الضأن والمعز والبقر، والمراد بالاثنين من الابل العراب والبخاتي ، وهو المرويّ عن أبي عبدالله عليه السلام ، « قل » يامحمّد صلى الله عليه وآله وسلم لهؤلاء المشركين الذين يحرّمون ما أحلّ الله تعالى : « آلذّكرين » من الضأن و المعز « حرّم » الله « أم الانثيين » منهما « أمّا اشتملت عليه أرحام الأنثيين » أي أم حرّم ما اشتمل عليه رحم الأنثى من الضأن والأنثى من المعز، وإنّما ذكر الله هذا على وجه الاحتجاج عليهم بيّن به فريتهم وكذبهم على الله تعالى فيما ادّعوا من أنّ ما في بطون الأنعام حلال للذكور وحرام على الإناث وغير ذلك ممّا حرّموه فانّهم لوقالوا : حرّم الذكرين لزمهم أن يكون كلّ ذكر حراما ، ولوقالوا : حرّم الأنثيين لزمهم أن يكون كلّ أنثى حراماً ولو قالوا : حرام مااشتملت عليه رحم الأنثى من الضأن والمعز لزمهم تحريم الذكور والاناث ، فانّ أرحام الاناث تشتمل على الذكور و الاناث فيلزمهم بزعمهم تحريم هذا الجنس صغاراً وكباراً ذكوراً وأناثاً ولم يكونوا يفعلون ذلك بل كانوا يخصّون

(١) مجمع البيان ٤ : ٣٧٧ .

(٢) انوار التنزيل ١ : ٤٠٦ .

بالتحريم بعضادون بعض فقد لزمتهم الحجّة ، ثمّ قال : « نبّئوني بعلم إن كنتم صادقين » معناه أخبروني بعلم عمّا ذكرتموه من تحريم ما حرّمتموه و تحليل ما حلّلتموه إن كنتم صادقين في ذلك ، «ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل » يا محمّد : « آ لذكرين حرّم الله منهما « أم الأنثيين أمّا اشتملت عليه أرحام الأنثيين أم كنتم شهداء » أي حضورا «إذ وصّاكم الله بهذا » أي أمركم به و حرّمه عليكم حتّى تضيفوه إليه ،وإنّما ذكر ذلك لأنّ طرق العلم إمّا الدليل الذي يشترك العقلاء في إدراك الحقّ به ، أو المشاهدة التي يختصّ بها بعضهم دون بعض ، فاذا لم يكن أحد من الأمرين سقط المذهب ، « فمن أظلم » لنفسه « ممّن افترى على الله كذباً » أي أضاف إليه تحريم مالم يحرّمه وتحليل مالم يحلّله ، « ليضلّ الناس بغير علم » أي يعمل عمل القاصد إلى إضلالهم من أجل دعائه إيّاهم إلى مالايثق بصحّته ممّا لايأمن أن يكون فيه هلاكهم وإن لم يقصد إضلالهم ، « إنّ الله لايهدي القوم الظالمين » إلى الثواب لأنّهم مستحقّون العقاب الدائم بكفرهم وضلالهم [١] .

أقول : وسيأتي تفسير سائر الآيات في الأبواب الآتية .

« والأنعام خلقها » قال الطبرسيّ قدّس سرّه : معناه وخلق الأنعام من الماء كما خلقكم منه لقوله : «والله خلق كلّ دابّة من ماء » [٢] . وأكثر مايتناول الأنعام الابل ويتناول البقر والغنم أيضاً وفي اللغة هي ذوات الأخفاف والأظلاف دون ذوات الحوافر ، «لكم فيها دفء » أي لباس عن ابن عبّاس وغيره ، وقيل : مايستدفأ به ممّا يعمل من صوفها و وبرها و شعرها ، فيدخل فيه الأكسية و اللحف و الملبوسات والمبسوطات [٣] وغيرها ، قال الزجّاج : أخبر سبحانه أنّ في الأنعام ما يدفئنا ، ولم يقل : ولكم فيها ما يكنّكم من البرد ، لأنّ ماستر من الحرّ ستر من البرد ، وقال

---

(١) مجمع البيان ٤ : ٣٧٧ .

(٢) النور : ٤٥ .

(٣) في المصدر : والملبوسات وغيرها .

في موضع آخر : « سرابيل تقيكم الحر » [١] فعلم أنّها تقي البرد أيضاً فكذلك ههنا ، وقيل : إنّ معناه وخلق الأنعام لكم ، أي لمنافعكم ، ثمّ ابتدأ وأخبر فقال : « فيها دفء ومنافع » أي ولكم فيها منافع أخر من الحمل والركوب وإثارة الأرض والدر [٢] والنسل ، « ومنها تأكلون » أي ومن لحومها تأكلون ، « ولكم فيها جمال » أي حسن منظر وزينة ، « حين تريحون » أي حين تردّونها إلى مراحها وهو حيث تأوي إليه ليلا ، « وحين تسرحون » أي ترسلونها بالغداة إلى مراعيها و أحسن ما تكون إذا راحت عظاما ضروعها ممتلية بطونها منتصبة أسنمتها [٣] وكذلك إذا سرحت إلى المراعي رافعة رؤوسها فيقول الناس : هذا جمال فلان ومواشيه ، فيكون له فيها جمال ، « وتحمل أثقالكم » أي أمتعتكم « إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلّا بشق الأنفس » أي وتحمل الابل وبعض البقر أحمالكم الثقيلة إلى بلد بعيد لا يمكنكم أن تبلغوه من دون الأحمال الا بمشقّة وكلفة تلحق أنفسكم ، فكيف تبلغونه مع الأحمال لولا أنّ الله سخّر هذه الأنعام لكم حتّى حملت أثقالكم إلى أين شئتم ، وقيل : إنّ الشقّ معناه الشطر والنصف ، فيكون المراد إلّا بأن يذهب شطر قوّتكم ، أي نصف قوة الأنفس ، و قيل : معناه تحمل أثقالكم إلى مكّة لأنّها من بلاد الفلوات ، عن ابن عبّاس وعكرمة « إنّ ربّكم لرؤف رحيم » أي ذو رأفة ورحمة ، ولذلك أنعم عليكم بخلق هذه الأنعام ابتداء منه بهذا الإنعام [٤] .

« والخيل » أي وخلق لكم الخيل « والبغال والحمير لتركبوها » في حوائجكم وتصرفاتكم « وزينة » أي ولتتزيّنوا بها ، من الله سبحانه على خلقه ، بأن خلق لهم من الحيوان ما يركبونه ويتجمّلون به ، وليس في هذا ما يدلّ على تحريم أكل لحومها

(١) النحل : ٨١ .

(٢) هكذا في النسخ وفي المصدر : والزرع .

(٣) جمع السنام : حدبة في ظهر البعير .

(٤) مجمع البيان ٦ : ٣٥٠ .

« ويخلق مالا تعلمون »[١] من أصناف الحيوان و النبات و الجماد لمنافعكم[٢] « وجعل لكم من جلود الانعام » أي الأنطاع و الادم « بيوتا تستخفّونها » أي خياماً وقباباً يخفّ عليكم حملها في اسفاركم « يوم ظعنكم » أي ارتحالكم من مكان إلى مكان « ويوم إقامتكم » أي اليوم الذي تنزلون موضعا تقيمون فيه أي لا يثقل عليكم في الحالين[٣] « و من أصوافها » وهي للضّأن « وأوبارها » وهي للابل « وأشعارها » وهي للمعز « أثاثاً » أي مالاً عن ابن عبّاس ، وقيل : أنواعا من متاع البيت من الفرش والاكيسة ، وقيل : طنافس وبسطاً وثياباً وكسوة ، والكلّ متقارب « ومتاعاً » تتمتعون به ومعاشا تتّجرون فيه « إلى حين » أي إلى يوم القيامة أو إلى وقت الموت ، ويحتمل أن يكون المراد به موت المالك أوموت الانعام ، وقيل : إلى وقت البلى والفناء[٤] وفيه إشارة إلى أنّها فانية فلا ينبغي للعاقل أن يختارها على نعيم الآخرة انتهى[٥].

قوله سبحانه : « على مارزقهم من بهيمة الأنعام » يدلّ على حلّ الأنعام الثلاثة والتسمية عندذبحها على بعض الوجوه « إلّامايتلى عليكم » أي تحريمه من الميتة و والمنخنقة و الموقوذة ومالم يذكر اسم الله عليه و سائر ماسيأتي .

و قال الطبرسيّ رحمه الله : البدن جمع بدنة و هي الابل المبدنة بالسمن ، قال الزجّاج : يقولون : بدنت الابل أي سمّنتها وقيل : أصل البدن الضخم وكلّ ضخم بدن وقيل : البدن : الناقة والبقرة ممّا يجوز في الهدي والأضاحي « من شعائر الله » أي من أعلام دينه ، وقيل : من أعلام مناسك الحج « لكم فيها خير » أي نفع في الدنيا والآخرة ، وقيل : أراد

---

(١) فيه اشارة الى سائر المراكب التى لم تكن موجودة فى ذلك العصر ، فتشمل السيارات الموجودة فى عصرنا وما سيأتى بعد .

(٢) فى المصدر : فى الحالتين .

(٣) مجمع البيان ٦ : ٣٥٢ .

(٤) ويحتمل أن يكون المراد الى حين يصلح للتمتع وهو بصلاحية الطرفين فاذا انعدم احدهما اوفسد يخرج عن الصلاحية .

(٥) مجمع البيان ٦ : ٣٧٧ .

بالخير ثواب الآخرة «كذلك سخرناها لكم» أي ذللناها لكم حتى لا تمتنع عما تريدون منها من النحر والذبح بخلاف السباع الممتنعة ولتنتفعوا بركوبها وحملها ونتاجها نعمة منا عليكم «لعلكم تشكرون» ذلك[1] «وإن لكم في الأنعام لعبرة» أي دلالة تستدلون بها على قدرة الله تعالى «نسقيكم مما في بطونها» أراد به اللبن «ولكم فيها منافع كثيرة» في ظهورها وألبانها وأولادها[2] و أصوافها وأشعارها «ومنها تأكلون» أي من لحومها و أولادها و التكسب بها «و عليها» يعني على الابل خاصة «و على الفلك تحملون» وهذا كقوله: «و حملناهم في البر و البحر»[3] أما في البر فالابل، و أما في البحر فالسفن.[4] «ومن الناس والدواب» التي تدب على وجه الأرض «والأنعام» كالابل والغنم والبقر «مختلف ألوانه كذلك» أي كاختلاف الثمرات والجبال.[5] «وخلقنا لهم من مثله ما يركبون» أى وخلقنا لهم من مثل سفينة نوح سفنا يركبون فيها، وقيل: إن المراد به الابل وهي سفن البر عن مجاهد وقيل: مثل السفينة من الدواب كالابل والبقر والحمير عن الجبائي «أولم يروا» أي أولم يعلموا «أنا خلقنا لهم» أي لمنافعهم «مما عملت أيدينا» أي مما ولينا خلقه بابداعنا وإنشائنا، لم نشارك في خلقه ولم نخلقه باعانة معين، واليد في اللغة على أقسام: منها الجارحة، ومنها النعمة، ومنها، القوة، ومنها تحقيق الاضافة، يقال في معنى النعمة: لفلان عندي يد بيضاء، وبمعنى القدرة:[6] تلقى فلان قولي باليدين أي بالقوة والتقبل. ويقولون: «هذا ما جنت يداك» وهو المعني في الآية وإذا قال الواحد منا: عملت هذا بيدي، دل ذلك على انفراده بعمله من غير أن يكله إلى

(١) مجمع البيان ٧: ٨٥و٨٦.

(٢) في المصدر: وأوبارها.

(٣) الاسراء: ٧٠.

(٤) مجمع البيان ٧: ١٠٣.

(٥) مجمع البيان ٨: ٤٠٧ فيه: والبقر خلق مختلف ألوانه كذلك.

(٦) في المصدر: بمعنى القوة.

أحد « أنعاماً» يعني الابل والبقر والغنم «فهم لها مالكون» ولولم نخلقها [١] لما ملكوها ولما انتفعوا بها و بألبانها وركوبها ولحومها ، وقيل : فهم لها ضابطون قاهرون لم نخلقها وحشيّة نافرة منهم لا يقدرون على ضبطها فهي مسخّرة لهم وهو قوله : « وذلّلناها لهم » أي سخّرناها لهم حتّى صارت منقادة «فمنها ركوبهم ومنها يأكلون» قسّم الأنعام بأن جعل منها ما يركب ، و منها ما يذبح فينتفع بلحمه و يؤكل ، قال مقاتل : الركوب الحمولة يعني الابل والبقر « ولهم فيها منافع ومشارب » فمن منافعها لبس أصوافها و أشعارها وأوبارها وأكل لحومها وركوب ظهرها [٢] إلى غير ذلك من أنواع المنافع الكثيرة فيها والمشارب من ألبانها « أفلا يشكرون » الله على هذه النعم [٣] .

« وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج» فيه وجوه :

أحدها : أنّ معنى الانزال هنا الاحداث والانشاء كقوله : « قد أنزلنا عليكم لباسا »[٤] ولم ينزل اللّباس ولكن أنزل الماء الذي هو سبب القطن والصوف ، واللباس يكون منهما، فكذلك الأنعام تكون بالنبات والنبات بالماء .

والثاني : أنّه أنزلها بعد أن خلقها في الجنّة ، عن الجبائي ، قال : وفي الخبر الشاة من دوابّ الجنّة ، والابل من دوابّ الجنّة والثالث : أنّ المعنى جعلها نزلا و رزقا لكم، ويعني بالأزواج الثمانية من الانعام : الابل والبقر والغنم : الضأن والمعز من كلّ صنف اثنان هما زوجان [٥] .

أقول : و قال البيضاوي : « وأنزل لكم» أي وقضى أو قسم لكم فانّ قضاياه توصف بالنزول من السّماء حيث كتب في اللوح ، أو أحدث بأسباب نازلة منها كأشعّة

---

(١) في المصدر : اى ولولم نخلقها .

(٢) في المصدر : وركوب ظهورها .

(٣) مجمع البيان ٨ : ٤٣٣ .

(٤) الاعراف : ٢٦ .

(٥) مجمع البيان ٨ : ٤٩٠ .

الكواكب والأمطار [١] « الله الذي جعل لكم الأنعام » قال في المجمع : من الابل و البقر و الغنم « لتركبوا منها » أي لتنتفعوا بركوبها « ومنها تأكلون » يعني أنّ بعضها للركوب والأكل كالابل والبقر ، وبعضها للأكل كالأغنام ، وقيل : المراد بالأنعام ههنا الابل خاصّة ، لأنها التي تركب وتحمل عليها في أكثر العادات ، واللام في قوله : «لتركبوا» لام الغرض ، وإذا كان الله تعالى خلق هذه الأنعام وأرادأن ينتفع خلقه بها وكان جلّ جلاله لايريد القبيح ولاالمباح فلابدّ أن يكون أراد انتفاعهم بهاعلى وجه القربة إليه والطاعة له . « ولكم فيها منافع » من جهة ألبانها و أصوافها و أوبارها و أشعارها «ولتبلغوا عليها حاجةً في صدوركم » بأن تركبوها و تبلغوا المواضع التي تقصدونها بحوائجكم « وعليها » أي و على الأنعام و هي الابل هنا « و على الفلك » أي و على السفن « تحملون » يعني على الابل في البرّ ، و على الفلك في البحر تحملون في الأسفار . [٢]

« جعل لكم من أنفسكم » قال البيضاويّ : من جنسكم «أزواجا » نساء «ومن الأنعام أزواجاً» أي و خلق للأنعام من جنسها أزواجا ، أوخلق لكم من الانعام اصنافا أوذكوراً وإناثاً « يذرؤكم » يكثركم ، من الذرء وهو البثّ «فيه» في هذا التدبير وهو جعل الناس والانعام أزواجا يكون بينهم توالد فانّه كالمنبع للبثّ والتكثير . [٣]

« أفلاينظرون إلى الابل كيف خلقت » قال الطبرسيّ قدّس سرّه : كانت الابل عيشاً من عيشهم فيقول : أفلا يتفكّرون فيها ومايخرج الله من ضروعها من بين فرث ودم لبناً خالصا سائغاً للشاربين ، يقول : كماصنعت هذالهم فكذلك أصنع لأهل الجنة في الجنّة ، وقيل : معناه أفلايعتبرون بنظرهم إلى الابل ومار كبه الله عليه من عجيب الخلق فانّه مع عظمته وقوّته يذلّله الصغير فينقاد له بتسخير الله إيّاه لعباده فيبركه و يحمل عليه ثمّ يقوم ، وليس ذلك في غيره من ذوات الأربع فلا يحمل على شيء منها

(١) انوار التنزيل ٢ : ٣٥٣ .

(٢) مجمع البيان ٨ : ٥٣٣ .

(٣) انوار التنزيل ٢ : ٣٩٤ .

إلاّ وهو قائم ، فأراهم الله سبحانه هذه الآية فيه ليستدلّوا على توحيده بذلك ، وسئل الحسن عن هذه الاية و قيل له : الفيل أعظم من الابل في الأعجوبة ، فقال : أمّاالفيل فالعرب بعيد العهدبها ثمّ هو خنزيرلا يركب ظهرها ولايؤكل لحمها ولايحلب درّها والابل من أعزّ مال العرب وأنفسه تأكل النوى والقتّ وتخرج اللبن و يأخذ الصبي بزمامها فيذهب بها حيث شاء مع عظمها في نفسها ، ويحكى أنّ فأرة أخذت تجرّها وهي تتبعها حتى دخلت الجحرفجرّت الزمام وبركت الناقة فجرّت فقربت فمها من جحر الفأر انتهى .[١]

وقال الرازيّ : للابل خواص : منها أنّه تعالى جعل الحيوان الذي يقتنى[٢] أصنافا شتّى، فتارة يقتنى ليؤكل لحمه ، وتارة ليشرب لبنه ، وتارة ليحمل الانسان في الأسفار ، وتارة لينقل أمتعة الانسان من بلدإلى بلد ، وتارة ليكون به زينة وجمال وهذه المنافع بأسرها حاصلة في الابل ، وإنّ شيئا من سائر الحيوانات لاتجتمع فيه هذه الخصال .[٣]

و ثانيها : أنّه في كلّ واحد من هذه الخصال أفضل من الحيوان الذي لاتوجد فيه إلاّ هذه الخصلة لانّها إن جعلت حلوبة سقت فأروت الكثير و إن جعلت اكولة أطعمت وأشبعت الكثير ،وإن جعلت ركوبة أمكن أن يقطع بهامن المسافة المديدة[٤] مالايمكن قطعه بحيوان آخر ، و ذلك لماركّب فيها من القوّة على مداومته على السير[٥]، والصّبر على العطش ،والاجتزاء من العلوفات مالايجتزي[٦] به حيوان آخر وإن جعلت حمولة[٧] استقلّت بحمل الأحمال الثقيلة التي لايستقلّ بها سواها ، ومنها :

---

(١) مجمع البيان ١٠ : ٤٨٠ .
(٢) في نسخة : يقتنى به .
(٣) اختصره المصنف .
(٤) في المصدر : من المسافات المديدة .
(٥) » » من قوة احتمال المداومة على السير .
(٦) » » بما لايجتزىء حيوان آخر .
(٧) » » وان جعلت حملة .

أنّ هذا الحيوان كان أعظم الحيوانات وقعا في قلوب العرب ولذلك جعلوا دية [١] قتل الانسان إبلا وكان ملوكهم إذا أرادوا [٢] المبالغة في إعطاء الشاعر الذي جاء من المكان البعيد أعطوه مأة [٣] بعير لأنّ امتلاء العين منه أشدّ من امتلاء العين من غيره ،ولهذا قال: «ولكم فيها جمال»[٤] الآية ،ومنها : أنّي كنت مع جماعة في مفازة فضللنا الطريق فقدّموا جملا وتبعوه فكان ذلك الابل[٥] ينعطف من تلّ إلى تلّ ومن جانب إلى جانب ، والجميع كانوا يتبعونه حتّى وصل إلى الطريق بعد زمان طويل ، وهذا من قوّة [٦] تخيل ذلك الحيوان بالمرّة الواحدة[٧] كيف انحفظت في خياله صورة تلك المعاطف ، حتّى أنّ الذى عجز جمع من العقلاء إلى الاهتداء إليه فانّ ذلك الحيوان اهتدى إليه .

ومنها: أنّها مع كونها في غاية القوّة على العمل مباينة لغيرها في الانقياد والطاعة لأضعف الحيوانات كالصبيّ ، و مباينة لغيرها أيضاً في أنّها يحمل عليها وهي باركة ثمّ تقوم، فهذه الصفات الكثيرة الموجودة فيها توجب على العاقل أن ينظر في خلقتها وتركيبها و يستدلّ بذلك على وجود الصّانع الحكيم سبحانه، ثمّ إنّ العرب من أعرف الناس بأحوال الابل في صحّتها و سقمها و منافعها و مضارّها ، فلهذه الأسباب حسن من الحكيم تعالى أن يأمر بالتأمّل في خلقتها[٨] .

اقول: و قال الدّميري في حياة الحيوان: الابل الجمال وهي اسم واحد يقع على

---

(١) فى المصدر : ولذلك فانهم جعلوا .

(٢) « « وكان الواحد من ملوكهم اذا أراد .

(٣) « « (جاءه) وفيه : اعطاء مائة بعير .

(٤) النحل : ٦ .

(٥) فى المصدر : ذلك الجمل .

(٦) « « فتعجبنا من قوة .

(٧) « « انه بالمرة الواحدة .

(٨) تفسير الرازى ٣١: ١٥٦ و ١٥٧.

الجمع ليس بجمع ولا اسم جمع، إنّما هو دالّ على الجنس، و روى ابن ماجة أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال : « الابل عزّ لأهلها، والغنم بركة، والخير معقود في نواصي الخيل إلى يوم القيامة » والابل من الحيوان العجيب[١] وإن كان عجبها سقط من أعين الناس لكثرة رؤيتهم لها، وهو أنّه حيوان عظيم الجسم شديد الانقياد ينهض بالحمل الثقيل ويبرك به و تأخذ زمامه فأرة تذهب به حيث شاءت وتحمل على ظهره بيتا يقعد فيه الانسان[٢] مع مأكوله ومشروبه و ملبوسه و ظروفه و وسائده كما في بيته و تتّخذ للبيت سقفاً[٣] و هو يمشي بكلّ هذه، و لهذا قال تعالى : « أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت » وعن بعض الحكماء أنّه حدّث عن البعير و عظم خلقه[٤] وكان قد نشأ بأرض لا إبل بها ففكر،[٥] ثمّ قال: يوشك أن تكون طوال الاعناق، وحين أراد الله[٦] بها أن تكون سفائن البرّ صبّرها على احتمال العطش حتّى أنّ ظمأها يرتفع إلى العشر، وجعلها ترعى كلّ شيء نابت في البراري و المفاوز مالا يرعاه سائر البهائم ، و في الحديث : « لاتسبّوا الابل فانّ فيها رقوء الدم و مهر الكريمة »أي تعطى[٧] في الديات فتحقن بها الدماء فتقطع عن أن يهراق[٨] دم القاتل، وقال أصحاب الكلام: في طبائع الحيوان ليس لشيء من الفحول مثل ما للجمل عند هيجانه إذ يسوء خلقه و يظهر زبده ورغاؤه فلو حمل ثلاثة أضعاف عادته حمل، و يقلّ أكله[٩]، و سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الصلاة

(١) فى المصدر: والابل من الحيوانات العجيبة.

(٢) فى المصدر: ويتخذ على ظهره بيت يقعد الانسان فيه.

(٣) فى المصدر: كانه فى بيته و يتخذ للبيت سقف.

(٤) فى المصدر: وعن بديع خلقها .

(٥) فى المصدر: ففكر ساعة.

(٦) فى المصدر: و حيث أراد الله.

(٧) فى المصدر: أى انها تعطى.

(٨) فى المصدر: و تمنع من أن يهراق.

(٩) زاد فى المصدر: و يخرج الشقشقة و هى الجلدة الحمراء التى يخرجها من جوفه و ينفخ فيها فتظهر من شدقه لايعرف ماهى اه.

في مبارك الابل، فقال: لاتصلّوا في مباركالابل فانّها من الشياطين [۱]، و سئل عن الصلاة في مرابض الغنم فقال: صلّوا فيها[۲] فانّها بركة[۳].

و في مسند أحمد و الحاكم عن عبدالله بن جعفر أنّ النبيّ ﷺ دخل حائطا لبعض الأنصار فاذا فيه جمل، فلمّا رأى النبيّ ﷺ ذرفت عيناه فمسح النبي ﷺ سنامه[٤] فسكن ثمّ قال: من ربّ هذا الجمل؟ فجاء فتى من الأنصار فقال: هولي يا رسول الله، فقال: ألا تتّقي الله في هذه البهيمة التي ملّكك الله إيّاها فانّه يشكو[٥] إليّ أنّك تجيعه و تذيبه.

و روى الطبرانيّ عن جابر قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوه ذات الرقاع حتّى إذا كنّا بحرّة[٦] واقم أقبل جمل يرفل حتّى دنامن رسول الله ﷺ فجعل يرغو على هامته، فقال ﷺ: إنّ هذا الجمل يستعديني على صاحبه يزعم أنّه كان يحرث عليه منذسنين حتّى أجربه[٧] وأعجفه وكبر سنّه أراد نحره، اذهب ياجابر

---

(۱) فى المصدر: فانها مأوى الشياطين.

(۲) فى المصدر: فانها مباركة.

(۳) حياة الحيوان: ۹-۱۱.

(۴) فى المصدر: سنامه، وفى رواية: فمسح ذفريه فسكن.

(۵) فى المصدر: فانه شكا.

(۶) فى معجم البلدان: حرة واقم احدى حرتى المدينة و هى الشرقية سميت برجل من العمالیق اسمه واقم نزلها فى الدهر الاول، وفى هذه الحرةكانت وقعة الحرة المشهورة فى ايام يزيد بن معاوية فى سنة ۶۳ و أميرالجيش من قبل يزيد مسلم بن عقبة المرىوسموه لقبيح صنيعه مسرفا، قدم المدينة فنزل حرة واقم وخرج اليه اهل المدينة يحاربونه فكسرهم و قتل منالموالى ثلاثة آلاف وخمسمائة رجل ، و من الانصار الفار واربعمائة و قيل : الفا وسبعمائة، و من قريش الفا وثلاثمائة، ودخل جنده المدينة فنهبوا الاموال وسبوا الذرية و استباحوا الفروج، وحملت منهم ثمانمائة حرةوولدن اه.

(۷) فى المصدر: حتى اعجزه.

إلى صاحبه فأت به، قال: ما أعرفه، قال: إنّه سيدلّك عليه ، قال : فخرج بين يدي معنقا حتّى وقف بي مجلس بني حطمة[١] فقلت : أين ربّ هذا الجمل، قالوا : هذا لفلان بن فلان فجئته فقلت: أجب رسول الله ، فخرج معي حتّى إذا جاء رسول الله ﷺ قال : إنّ جملك يزعم انّك حرثت عليه زمانا حتى إذا أجربته و أعجفته وكبر سنّه أردت نحره [٢]، قال: والذي بعثك بالحقّ إنّ ذلك كذلك[٣]، قال ﷺ : ما هكذا جزاء المملوك الصّالح، ثمّ قال : بعنيه[٤] قال : نعم فابتاعه منه، ثمّ أرسله ﷺ في الشجر حتّى نصب سنامه.

وكان إذا اعتلّ على بعض المهاجرين و الأنصار من نواضحهم شيء أعطاه إيّاه فمكث كذلك زمانا[٥].

و قال: البقر اسم جنس يقع على الذكر و الأنثى، و إنّما دخلته الهاء للوحدة و الجمع بقرات، و هو حيوان شديد القوّة كثير المنفعة خلقه الله ذللا[٦] ولم يخلق له سلاحاً شديداً كما للسباع لأنّه في رعاية الانسان، فالانسان يدفع عنه عدوّه فلو كان له سلاح لصعب على الانسان ضبطه، والبقر الأجم[٧] يعلم أنّ سلاحه في رأسه فيستعمل محلّ القرن كما ترى في العجاجيل قبل نبات قرونها تنطح برؤوسها تفعل ذلك طبعا، و هي أجناس منها الجواميس وهي أكثرها ألباناً و أعظمها أجساداً[٨]، و منها العراب و هي جرد ملس الألوان، و منها نوع آخر يقال له: الدربانة[٩]، والبقر ينزو ذكورها

(١) في المصدر: بني خطمة .
(٢) في المصدر: حتى اذا أعجزته و أعجفته وكبر سنه أردت أن تنحره .
(٣) في المصدر: لكذلك.
(٤) في المصدر: تبيعه؟
(٥) حياة الحيوان ١: ١٤٥.
(٦) في المصدر: ذلولا.
(٧) اى الذى لاقرن له.
(٨) في المصدر: واعظمها اجساما.
(٩) في المصدر: وهي التي تنقل عليها الاحمال وربما كانت اسنمة .

على إناثها إذا تمّت لها سنة من عمرها في الغالب و هي كثيرة المنيّ، وكلّ الحيوان إناثه أرقّ صوتاً من الذكور إلّا البقر، فانّ الأنثى أفخم و أجهر، وليس لجنس البقر ثنايا عليا فهي تقطع الحشيش بالسفلى.

و ذكر صاحب الترغيب و الترهيب و البيهقيّ في الشعب عن ابن عباس: أنّ ملكا من الملوك خرج يتصيّد في مملكته مختفيا من الناس[1] فنزل على رجل له بقرة، فراحت عليه تلك البقرة فحلبت مقدار ثلاثين بقرة، فحدّث الملك نفسه أن يأخذها، فلمّا كان من الغد غدت البقرة إلى مرعاها ثمّ راحت فحلبت نصف ذلك فدعا الملك صاحبها، فقال: أخبرني عن بقرتك هذه لم نقص حلابها؟ ألم يكن مرعاها اليوم مرعاها بالأمس؟ قال: بلى ولكن أرى الملك أضمر لبعض الرعيّة سوءً فنقص لبنها، فانّ الملك إذا ظلم أوهمّ بظلم ذهبت البركة، قال: فعاهد الملك ربّه أن لا يأخذها ولا يظلم أحداً، قال: فغدت ثمّ راحت[2] فحلبت حلابها في اليوم الأوّل فاعتبر الملك بذلك وعدل و قال: إنّ الملك إذا ظلم أو همّ بظلم ذهبت البركة لاجرم لأعدلنّ ولأكوننّ على أفضل الحالات[3].

وقال: الغنم الشاة لا واحد له من لفظه، و روى عبد بن حميد بسنده إلى عطيّة عن أبي سعيد الخدريّ، قال: افتخر أهل الابل وأهل الغنم عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: السكينة و الوقار في أهل الغنم، والفخر والخيلاء في الفدادين أهل الابل.

وهو في الصحيحين بألفاظ مختلفة منها: «السكينة[4] في أهل الغنم، والفخر والرياء في الفدادين أهل الخيل والوبر وفي لفظ: الفخر والخيلاء في أصحاب الابل، و السكينة والوقار في أصحاب الشاة.

أراد بالسكينة السّكون، و بالوقار التواضع، وأراد بالفخر التفاخر بكثرة

---

(۱) في المصدر: خرج من بلده يسير في مملكته و هو مستخف من الناس.

(۲) في المصدر: فغدت فرعت ثم راحت.

(۳) حياة الحيوان ۱: ۱۰۵-۱۰۷.

(۴) في المصدر: السكينة والوقار.

المال والجاه وغير ذلك من مراتب أهل الدنيا ، و بالخيلاء التكبّر و التعاظم ، و منه قوله تعالى : « إنّ الله لايحبّ كلّ مختال فخور »[١] و مراده بالوبر أهل الابل لأنّه لهاكالصوف للغنم [٢] والشعر للمعز ، ولذلك قال تعالى : « ومن أصوافها و أوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعاً إلى حين »[٣] و هذا منه صلى الله عليه وآله إخبار عن أكثر حال أهل الغنم و أهل الابل و أغلبه ، و قيل : أراد به أي بأهل الغنم أهل اليمن لأنّ أكثرهم أهل الغنم بخلاف ربيعة ومضر فانّهم أصحاب إبل .

والغنم على ضربين : ضائنة وماعزة ، قال الجاحظ : واتّفقوا على أنّ الضأن أفضل من الماعز ،[٤] واستدلّوا عليه بأوجه منها : أنّ الله تعالى بدأ بذكر الضأن في القرآن فقال : « من الضأن اثنين و من المعز اثنين »[٥] و منها قوله : « إنّ هذا أخي له تسع وتسعون نعجة »[٦] ومنها : «فديناه بذبح عظيم »[٧] و ممّا يذكر من فضلها أنّها تلد في السنة مرّة وتفرد غالبا، والمعز تلد مرّتين وقد تثنّي وتثلّث ، والبركه في الضأن أكثر ، ومن ذلك أنّ الضأن إذا رعت شيئا من الكلاء فانّه ينبت ، وإذا رعت الماعز شيئاً لاينبت لأنّ المعز تقلعه من أصولها والضأن ترعى ماعلى وجه الأرض ، وأيضا فانّ صوف الضأن أفضل من شعر المعز و أعزّ قيمة وليس الصوف إلّا للضأن ، ومنها أنّهم كانوا إذا مدحوا

---

(١) لقمان : ١٨ .

(٢) في المصدر : كالصوف للضأن .

(٣) النحل : ٨٠ .

(٤) في المصدر : من المعز .

(٥) الانعام : ١٤٣ .

(٦) في المصدر : و تسعون نعجة ولي نعجة واحدة . ولم يقل : تسع وتسعون عنزا ولي عنز واحدة . أقول : الاية في ص : ٢٣ .

(٧) زاد في المصدر : و اجمعوا كما قال الحافظ انه كبش . أقول : الاية في الصافات : ١٠٧ .

شخصا قالوا : إنّما هو كبش وإذا ذمّوه قالو: ماهو إلّا تيس ،[١] وممّا أهان الله به التيس أن جعله مهتوك الستر مكشوف القُبل والدبر بخلاف الكبش ، ولذا شبّه رسول الله ﷺ المحلّل بالتيس المستعار .

ومنها : أنّ رؤوس الضأن أطيب وأفضل من رؤوس الماعز ، و كذلك لحمها فانّ أكل لحم الماعز يحرّك المرّة السوداء ويولد البلغم و يورث النسيان ويفسد الدم ، ولحم الضأن عكس ذلك قال أبو زيد : يقال لما تضعه الغنم والمعز حالة وضعه سخلة ، ذكراً كان أو أنثى ، و جمعها سخل بفتح السّين وسخال بكسرها ، ثمّ لايزال اسمه ذلك مادام يرضع اللبن ، ثمّ يقال للذكر والانثى : بهمة بفتح الباء والجمع بُهم بضمّها ، و يقال الولد المعز حين يولد سليل وسليط فاذا بلغ أربعة أشهر وفصل عن اُمه وأكل من البقل فان كان من أولاد المعز فهو جفر ، والاُنثى جفرة ، والجمع جفار فاذا قوي وأتى عليه حول فهو عريض ، وجمعه عرضان بكسر العين ، والعتود نوع منه ، وجمعه أعتدة و عتدان ، وهو في ذلك جدي[٢] والاُنثى عناق إذا كان من أولاد المعز ويقال له إذا تبع اُمّه : تلو ، لأنّه يتلو اُمّه ، و يقال للجدي : اُمّر ، بضمّ الهمزة و تشديد الميم والراء المهملة في آخره، و يقال له : هُلّع و هُلّعة بضمّ الهاء و تشديد اللام ، والبكرة : العناق أيضاً ، والعطعط : الجدي، فاذا أتى عليه حول فالذكر تيس، والاُنثى عنز، ثمّ يكون جذعاً في السنة الثانية، والاُنثى جذعة، فاذا طعن في السنة الثالثة، فهو ثنيّ، والاُنثى ثنيّة فاذا طعن في السنة الرابعة كان رباعيّاً والاُنثى رباعيّة،[٣] ثمّ تكون سدسا والاُنثى سدسة[٤]، ثمّ يكون ضالعا و الاُنثى كذلك ، و يقال: ضلع يضلع ضلوعاً و الجمع الضلّع

---

(١) في المصدر : انما هو تيس واذ أرادوا المبالغة في الذم قالوا : انما هو تيس في سفينة .

(٢) في المصدر : وهو في كل ذلك جدى .

(٣) زاد في المصدر بعد ذلك: ثم يكون خماسيا والانثى خماسية،

(٤) في المصدر: ثم يكون سداسيا والانثى سداسية.

بتشديد اللاّم[١]، و قال: الجلاّن و الجلاّم[٢]: من أولاد المعز خاصّة، وفي الحديث:في الارنب يصيبها المحرم جلاّن[٣].

قال الجاحظ: و قدقالوا فيأولادالضأن كما قالوا في أولاد المعز إلاّ فى مواضع، قال الكسائيّ: هي خروف[٤] في العريض من أولاد المعز، و الاُنثى خروفة، ويقال له: حمل، والاُنثى رخل بفتح الراء المهملة وكسر الخاء المعجمة، والجمع رخال بضمّ الراء، وهو ممّا جمع على غير قياس كما قالوا في المرضع : ظئر وظؤار، وللشاة القريبة العهد بالنتاج ربّي و رباب، والبهمة للذكر والاُنثى من أولاد الضأن و المعز جميعا، ولايزال كذلك حتّى يأكل ويجترّ، ثم هوقرقر بقافين مكسورتين، والجمع قرقار وقرقور، وهذا كلّه حين يأكل ويجترّ، والجلام بكسر الجيم: الجدي أيضاً ، والبذج بفتح الباء و الذال المعجمة و بالجيم في آخره: من أولاد الضأن خاصّة، والجمع بذجان.

و روى ابن ماجة باسناد صحيح عن اُمّ هاني قالت: إن النبيّ صلى الله عليه وآله قال لها : اتّخذي غنما فانّ فيها البركة.

و شكت إليه امرأة أنّ غنمها لاتزكو، فقال صلى الله عليه وآله: ما ألوانها؟ قالت: سود،فقال: عفري أي استبدلي أغناما بيضا فانّ البركة فيها.

وفي الحديث: صلّوا في مرابض الغنم و امسحوا رغامها.

و الرغام: مايسيل من الأنف.

و روى أبوداود أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كانت له مائة شاة لايريد أن تزيد.

وكان صلى الله عليه وآله كلّما ولدت سخلة ذبح مكانها شاة.

---

(١) فىالمصدر: ثم يكون صالغا والانثى كذلك، و يقال: صلغ يصلغ صلوغا و الجمع الصلغ بتشديد الصاد واللام.

(٢) فىالمصدر: «الحلان و الجلام» أقول: ولعل الصحيح فيهما بالحاء المهملة.

(٣) فىالمصدر: الحلان .

(٤) فى المصدر: هوخروف.

و روى مالك و أبوداود و البخاري و النسائي و ابن ماجه عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: يوشك أن يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعف الجبال و مواضع القطر يفر بدينه من الفتن.

شعف الجبال بفتح الشين المعجمة و العين المهملة: رؤوسها، و شعف كل شيء: أعلاه، قال أبو الزناد: خص عليه السلام الغنم من بين سائر الأشياء حضاً على التواضع و تنبيهاً على إيثار الخمول و ترك الاستعلاء والظهور، وقد رعاها الأنبياء والصالحون، و قال ﷺ: ما بعث الله نبياً إلا راعي غنم[1].

و أخبر ﷺ أن السكينة في أهل الغنم.

و في الحديث أنه ﷺ قال: ما من نبي إلا وقد رعى الغنم، قيل: و أنت يا رسول الله؟ قال: وأنا[2].

قيل: والحكمة أن الله عز وجل جعل الرعي في الأنبياء تقدمة لهم ليكونوا رعاة الخلق و تكون[3] أممهم رعايا لهم و روى الحاكم في مستدركه عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: رأيت غنما سوداً دخلت فيها غنم كثير بيض، فقالوا: فما أولته يا رسول الله؟ قال: العجم[4] يشركونكم في دينكم و أنسابكم، قالوا: العجم يا رسول الله؟ قال ﷺ: لو كان الايمان معلقاً بالثريا لناله رجال من العجم.

و في عجائب المخلوقات عن موسى بن عمران عليه السلام أنه اجتاز بعين ماء في سفح جبل فتوضأ منها ثم ارتقى الجبل ليصلي إذ أقبل فارس فشرب من ماء العين و ترك عنده كيسا فيه دراهم و ذهب مارا فجاء بعده راعي غنم فرأى الكيس فأخذه و مضى، ثم جاء بعده شيخ عليه أثر البؤس و على رأسه حزمة حطب فوضعها هناك ثم

---

(١) في المصدر: الا رعى غنما.

(٢) زاد في المصدر: وكنت أرعاها لاهل مكة بالقراريط. قال سويد: يعني كل شاة بقيراط.

(٣) في المصدر: ولتكون

(٤) العجم: الفرس. خلاف العرب.

استلقى ليستريح فما كان إلّا قليلا حتّى عاد الفارس فطلب كيسه[١] فلم يجده فأقبل على الشيخ يطالبه فأنكر فلم يزالا كذلك حتّى ضربه ولم يزل يضربه حتّى قتله، فقال موسى: يارب كيف العدل في هذه الأمور؟ فأوحى الله إليه أنّ الشيخ كان قتل أبا الفارس وكان على أب الفارس دين لأب الراعي مقدار ما في الكيس فجرى بينهما القصاص و قضي الدين و أنا حكم عدل[٢].

١ـ الخصال: عن أبيه عن محمّد بن يحيى العطّار عن محمّد بن أحمد الأشعري عن سهل بن زياد عن الحسين بن يزيد عن سفيان الحريري عن عبدالمؤمن الأنصاري عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: البركة عشرة أجزاء تسعة أعشارها في التجارة، والعشر الباقي في الجلود.

قال الصدوق رضي الله عنه: يعني بالجلود الغنم، و تصديق ذلك ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: «تسعة أعشار الرزق في التجارة، والجزء الباقي في السابياء» يعني الغنم، حدّثنا بذلك أحمد بن الحسن القطّان عن أحمد بن يحيى بن زكريّا عن بكر بن عبدالله بن حبيب عن تميم بن بهلول عن سعيد بن عبد الرّحمن المخزومي عن الحسين بن زيد عن أبيه زيد بن عليّ عن أبيه عليّ بن الحسين عن أبيه الحسين ابن عليّ عن أبيه عليّ بن أبي طالب عليهم السلام عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: تسعة أعشار الرزق في التجارة، والجزء الباقي في السابياء يعني الغنم[٣].

بيان: قال في النهاية بعد إيراد الرواية في السابياء: يريد به النتاج في المواشي و كثرتها، يقال: إنّ لآل فلان سابياء أي مواشي كثيرة، والجمع السوابي وهي في الأصل الجلدة التي يخرج فيها الولد، وقيل: هي المشيمة انتهى[٤].

أقول: الجلود في الخبر الأوّل لعلّه اُريد به ذوات الجلود من الحيوانات، وفي

---

(١) في المصدر: يطلب كيسه.

(٢) حياة الحيوان ٢: ١٣٠-١٣٤.

(٣) الخصال ٢: ٤٤٥ و ٤٤٦ طبعة الغفاري.

(٤) النهاية ٢: ١٥٧.

القاموس : الجلد محركة : الشاة يموت ولدها حين تضع ، كالجلدة محركة فيهما والكبار من الابل لا صغار فيها ، ومن الغنم والابل ما لاأولاد لها ولا ألبان ، وككتاب من الابل : الغزيرات اللبن كالمجاليد ، أو ما لا لبن لها ولا نتاج ، والجلد : الذكر « و قالوا لجلودهم لم شهدتم علينا » [١] أي لفروجهم [٢] .

٢ ـ الفقيه : قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : اتقوا الله فيما خولكم ، و في العجم من أموالكم ، فقيل له : و ما العجم ؟ قال : الشاة والبقر والحمام [٣] .

٣ـ تفسير علي بن ابراهيم : قال أبو الجارود في قوله : « والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع » [٤] والدفء حواشي الابل ، و يقال : بل هي الادفاء من البيوت والثياب ، وقال علي بن ابراهيم في قوله : « دفء » : أي ما يستدفؤن به مما يتخذ من صوفها و وبرها ، قوله : « ولكم فيها جمال حين تريحون و حين تسرحون » قال : حين يرجع من المرعى ، و حين تسرحون: حين يخرج إلى المرعى ، قوله : « و تحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس » قال : إلى مكة والمدينة وجميع البلدان ، ثم قال : «والخيل والبغال والحمير لتركبوها» ولم يقل عز وعلا : لتركبوها و تاكلوها [٥] كما قال في الانعام « و يخلق ما لا تعلمون » قال : العجائب التي خلقها الله في البر والبحر [٦] .

بيان : قوله : حواشي الابل أي صغار أولادها ، و هذا تفسير آخر غير التفاسير المشهورة لكنه موافق للغة ، قال الفيروزآبادي : الحشو صغار الابل كالحاشية [٧] وقال :

---

(١) فصلت: ٢١ .

(٢) القاموس : جلد .

(٣) من لا يحضره الفقيه ٣ : ٢٢٠ و زاد فيه : واشباه ذلك .

(٤) النحل : ٥ .

(٥) في المصدر : ولتأكلوها .

(٦) تفسير القمي : ٣٥٧ والايات في أوائل سورة النحل .

(٧) القاموس : حشو .

الدفء بالكسر و يحرّك : نقيض حدّة البرد و إبل مدفئة و مدفأة و مدّفأة ومدّفئة : كثيرة الأوبار والشحوم ، والدفء بالكسر : نتاج الابل و أوبارها والانتفاع بها [١] .

و قال الراغب : الدفء : خلاف البرد ، قال تعالى : « لكم فيها دفءٌ ومنافع » و هو لما يدفيء ، و رجل دفآن و امرأة دفأى و بيت دفيء [٢] ، قوله : « من البيوت » أي الخيم من الشعر والصوف ، قوله : « ولم يقل » الى آخره كأنّ غرضه أنّها ليست ممّا أعدّت للأكل و رغب في أكلها إلاّ أنّها محرّمة [٣] فيدلّ على كراهتها كما هو المشهور .

٤ ـ الخصال : عن أبيه عن سعد بن عبدالله عن يعقوب بن يزيد عن زياد القندي عن أبي وكيع عن أبي إسحاق السبيعي عن الحارث قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : عليكم بالغنم والحرث ، فانّهما يروحان بخير و يغدوان بخير فقيل : يا رسول الله فأين الابل ؟ قال : تلك أعنان الشياطين ، و يأتيها خيرها من الجانب الأشأم ، [٤] قيل : يا رسول الله إن سمع الناس بذلك تركوها ، فقال : إذا لا يعدمها الأشقياء الفجرة [٥] .

بيان : قال في النهاية : سئل عليه السلام عن الابل ، فقال : أعنان الشياطين، الأعنان: النواحي ، كأنّه قال : إنّها لكثرة آفاتها كأنّها من نواحي الشياطين في أخلاقها و طبائعها ، و في حديث آخر : لا تصلّوا في أعطان الابل لأنّها خلقت من أعنان الشياطين [٦] .

---

(١) القاموس : الدفء .

(٢) المفردات : ١٧٠ .

(٣) هكذا في النسخ . ولعل الصحيح : لا انها محرمة .

(٤) اى من الجانب الايسر ، والمراد من خيرها لبنها ، لانها تحلب و تركب من الجانب الايسر .

(٥) الخصال ١ : ٤٥ و ٤٦ (طبعة الغفارى) .

(٦) النهاية ٣ : ١٥٣ .

٥ ـ الخصال : عن محمّد بن عليّ ما جيلويه عن محمّد بن يحيى العطّار عن محمّد بن أحمد بن يحيى عن إبراهيم بن هاشم عن النوفليّ عن السكونيّ عن جعفر بن محمّد عن أبيه عن آبائه عليهم السلام عن عليّ عليه السلام قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وآله أيّ المال خير ؟ قال: زرع زرعه صاحبه و أصلحه و أدّى حقّه يوم حصاده ، قيل : فأيّ المال بعد الزرع خير ؟ قال : رجل في غنمة قد تبع بها مواضع القطر يقيم الصّلاة ويؤتي الزكاة ، قيل : فأيّ المال بعد الغنم خير ؟ قال : البقر تغدو بخير وتروح بخير ، قيل : فأيّ المال بعد البقر خير؟ قال : الراسيات في الوحل والمطعمات في المحل ، نعم الشيء النخل ، من باعه فانّما ثمنه بمنزلة رماد على رأس شاهق اشتدّت به الريح في يوم عاصف إلّا أن يخلف مكانها قيل : يارسول الله فأيّ المال بعد النخل خير ؟ فسكت ، فقال له رجل : فأين الابل ؟ قال: فيها الشقاء والجفاء والعناء وبعد الدار ، تغدو مدبرة و تروح مدبرة ، ولا يأتي خيرها إلّا من جانبها الأشأم ، أما إنّها لا تعدم الأشقياء الفجرة [١] .

معاني الأخبار : عن أبيه عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه مثله .[٢]

الكافي : عن عليّ بن إبراهيم مثله .

بيان : قد تبع بها « الباء » للتعدية ، أو للمصاحبة . أو للسببيّة ، أي يتبع لغنمه مواضع قطر السماء و نزول المطر فاذا رأى ماء و عشبا نزل هناك « تغدو بخير » أي بلبن أي تأتي به غدوّا ورواحا ، والخير كلّ ما يرغب فيه ويكون نافعا ، وقال الراغب : الخير والشرّ يقالان على وجهين : أحدهما أن يكونا اسمين كقوله تعالى : «ولتكن منكم أمّة يدعون إلى الخير » [٣] والثاني : أن يكونا وصفين و تقديراهما تقدير أفعل منه نحو هذا خير من ذلك و أفضل كقوله تعالى : « نأت [٤] بخير منها [٥]» .

---

(١) الخصال ١ : ٢٤٦ .

(٢) معاني الاخبار : ١٩٧ .

(٣) آل عمران : ١٠٤ .

(٤) البقرة : ١٠٦ .

(٥) المفردات : ١٦٠ .

قوله : « الراسيات في الوحل » أي النخيل التي نشبت عروقها في الطين وثبتت فيه وهي تطعم أي تثمر في المحل ، وهو بالفتح : الجدب وانقطاع المطر، والتخصيص بها لأنّها تحمل العطش أكثر من سائر الأشجار ، قوله : « فانّما ثمنه » هو قائم مقام الخبر كأنّه قيل : فلايرى خيراً لأنّ ثمنه ، فلذا خلا عن العائد أو هو خبر بارجاع ضمير ثمنه إلى الموصول، قوله صلى الله عليه وآله وسلم . « بمنزلة رماد » اقتباس من قوله تعالى : «مثل الذين كفروا بربّهم أعمالهم كرماد اشتدّت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون ممّا كسبوا على شيء » [1] والعصف : اشتداد الريح ، وصف به زمانه للمبالغة كقولهم : نهاره صائم و ليله قائم « و اشتدّت به » أي حملته و أسرعت الذهاب به ، والشاهق : المرتفع من الجبال والأبنية وغيرها «إلّا أن يخلف مكانها» أي مثله أوالأعمّ ،والأوّل أظهر ، والشقاء : الشدّة والعسر ، أو هو ضدّ السعادة . والجفاء : البعد عن الشيء و ترك الصلة والبرّ و غلظ الطبع ، و في القاموس : جفا عليه كذا : ثقل ، وجفا ماله: لم يلازمه ، و أجفى الماشية : أتعبها ولم يدعها تأكل .

و أقول : هنا أكثر المعاني مناسب فانّ فيها غلظ الطبع و من يلازمها يصير كذلك كما يرى في الأعراب والجمّالين و يبعد عن صاحبه للرعي ، و إن كان المراد ببعد الدار أيضا ذلك ، و تتعب صاحبها و تثقل على صاحبها لقلّة منافعها ، والعناء : التعب « تغدو مدبرة» لأنّها تطلب العلف من صاحبها غدوة وليست لها منفعة تداركه و كذا في الرواح ، « أما إنّها لا تعدم الأشقياء الفجرة » أي انّها مع هذه الخلال لا يتركها الأشقياء ويتّخذونها للشوكة والرفعة التي فيها ولايصير قولي هذا سببا لتركهم لها ، و ما يروى عن الشيخ البهائي قدّس سرّه أنّ المعنى أنّ من جملة مفاسدها أنّه تكون معها غالبا شرار الناس و هم الجمّالون ، فهذا الخبر و إن كان يحتمله لكن سائر الأخبار مصرّحة بالمعنى الأوّل .

٦ ـ المعاني والخصال : عن عليّ بن أحمد بن موسى عن محمّد الأسدي [2] عن صالح

---

(١) ابراهيم : ١٨ .

(٢) في المصدر : محمد بن ابى عبدالله الكوفى .

ابن أبي حماد عن إسماعيل بن مهران عن أبيه عن عمرو بن أبي المقدام عن أبي عبدالله عن أبيه عن آبائه عن عليّ عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : الغنم إذا أقبلت أقبلت وإذا أدبرت أقبلت ، والبقر إذا أقبلت أقبلت وإذا أدبرت أدبرت ، والابل أعنان الشياطين إذا أقبلت أدبرت و إذا أدبرت أدبرت ، ولا يجيء خيرها إلّا من الجانب الأشأم [1] قيل : يا رسول الله فمن يتّخذها بعد ذا ؟ قال : فأين الأشقياء الفجرة . .

قال صالح : و أنشد إسماعيل بن مهران :

هي المال لولاقلّة الخفض حولها ☆ فمن شاء داراها ومن شاء باعها [2]

المعاني : عن محمّد بن هارون الزنجانيّ عن عليّ بن عبدالعزيز عن أبي عبيد أنّه قال : قوله : « أعنان الشياطين » أعنان كلّ شيء : نواحيه ، وأمّا الذي يحكيه أبو عمرو فأعنان الشيء نواحيه قالها أبو عمرو و غيره ، فان كانت الأعنان محفوظة فأراد أنّ الابل من نواحي الشياطين أي أنّها على أخلاقها و طبائعها ، و قوله : « لا تقبل إلّا مولّية ولا تدبر إلّا مولّية » فهذا عندي كالمثل الذي يقال فيها : إنّها إذا أقبلت أدبرت و إذا أدبرت أدبرت ، و ذلك لكثرة آفاتها و سرعة فنائها ، و قوله : « لا يأتي خيرها إلّا من جانبها الأشأم » يعني الشمال يقال : لليد الشمال : الشؤمى [3] و منه قول الله عزّ وجلّ : « وأصحاب المشأمة [4] » يريد أصحاب الشمال ، ومعنى قوله : « لا يأتي نفعها إلّا من هناك » يعني أنّها لاتحلب ولا تركب إلّا من شمالها وهو الجانب الذي يقال له : الوحشيّ ، في قول الأصمعيّ : لأنّه الشمال ، قال : والأيمن هو الأنسيّ ، وقال بعضهم : لاولكن الانسيّ هو الذي يأتيه الناس في الاحتلاب والركوب ، والوحشيّ هو الأيمن لأنّ الدابّة لاتؤتى من جانبها الأيمن إنّما تؤتى من الأيسر ،

---

(١) في نسخة من المعاني : الا من جانبها الاشأم .

(٢) معاني الاخبار : ٣٢١ : الخصال ١ : ٢٤٦ .

(٣) في المصدر : الشؤم .

(٤) الواقعة : ٩ .

قال أبو عبيد : فهذا هو القول عندي ، وإنّما الجانب الوحشيّ الأيمن لأنّ الخائف انّما يفرّ من موضع المخافة إلى موضع الأمن [١] .

توضيح : قال الزمخشريّ في الفائق : « سئل عن الابل فقال : أعنان الشياطين لا تقبل إلاّ مولّية ولا تدبر إلاّ مولّية ولا يأتي نفعها إلاّ من جانبها الاشأم » الأعنان: النواحي جمع عنن و عنٍّ ، يقال : أخذنا كلّ عنٍّ و سنّ و فنّ ، اُخذ من « عنّ » كما اُخذ العرض من « عرض » و في الحديث : « إنّهم كرهوا الصّلاة في أعطان الابل لأنّها خلقت من أعنان الشياطين قال الجاحظ : يزعم بعض الناس أنّ الابل لكثرة آفاتها أنّ من شأنها إذا أقبلت أن يتعقّب إقبالها الادبار ، و إذا أدبرت أن يكون إدبارها ذهابا و فناء و مستأصلا ، ولا يأتي نفعها يعني منفعة الركوب والحلب إلاّ من جانبها الذي ديدن العرب أن يتشأموا به وهو جانب الشمال ، ومن ثمّ سمّوا الشمال شؤمى ، قال :

فانحى على شؤمى يديه فذادها

فهي إذا للفتنة مظنة ، وللشياطين مجال متّسع ، حيث تسبّبت أوّلاً إلى إغراء المالكين [٢] على إخلالهم بشكر النعمة العظيمة فيها ، فلمّا زواها عنهم لكفرانهم أغرّتهم أيضاً على إغفال ما لزمهم من حقّ جميل الصّبر على المرزئة بها ، و سوّلت لهم في الجانب الذي يستملون منه نعمتي الركوب والحلب أنّه الجانب الأشأم و هو في الحقيقة الأيمن والأبرك ، و قال أيضا : قيل : أي لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أيّ أموالنا أفضل ؟ قال : الحرث ، و قيل : يا رسول الله فالابل ؟ قال : تلك عناجيج الشياطين .

العنجوج من الخيل والابل : الطويل العنق ، فعلول من عنجه : إذا عطفه لأنّه يعطف عنقه لطولها في كلّ جهة و يلويها ليّا ، و راكبه يعجنها إليه بالعنان الزمام ، يريد أنّها مطايا الشياطين ، و منه قوله : « إنّ على ذروة كلّ بعير شيطانا »

(١) معاني الاخبار : ٣٢١ و ٣٢٢ .

(٢) في النسخة المخطوطة : على اغرامها لمالكيهن .

و قال في النهاية : « لا يأتي خيرها إلاّ من جانبها الأشأم » يعني الشمال ، و منه قولهم لليد الشمال : الشؤمى ، تأنيث الأشأم ، يريد بخيرها لبنها لأنّها إنّما تحلب و تركب من الجانب الأيسر [1] انتهى .

و قال الجوهريّ : الوحشيّ : الجانب الأيمن من كلّ شيء ، هذا قول أبي زيد و أبي عمرو قال عنترة :

وكأنّما تنأى بجانب دفّها ✡ الوحشيّ من هزج العشيّ مؤوّم

وإنّما تنأى بالجانب الوحشي لأنّ سوط الراكب في يده اليمنى

و قال الراعي :

فمالت على شقّ وحشيّها ✡ و قد ريع جانبها الأيسر

ويقال : ليس شيء يفزع إلاّ مال على جانبه الأيمن ، لأنّ الدّابة لا تؤتى من جانبها الأيمن و إنّما تؤتى في الاحتلاب والركوب من جانبها الأيسر فانّما خوفه منه ، والخائف إنّما يفرّ من موضع المخافة إلى موضع الأمن ، و كان الأصمعيّ يقول : الوحشيّ الجانب الأيسر من كلّ شيء ، وفي المصباح المنير : الوحشيّ من كلّ دابّة الجانب الأيمن، قال الأزهريّ : قال أئمّة العربيّة : الوحشيّ من جميع الحيوان غير الانسان الجانب الأيمن و هو الذي لا يركب منه الراكب ولا يحلب منه الحالب والانسيّ الجانب الآخر وهو الأيسر ، و روى أبو عبيدة عن الأصمعيّ أنّ الوحشيّ هو الذي يأتي منه الراكب ويحلب منه الحالب ، لأنّ الدّابّة تستوحش عنده فتفرّ منه إلى الجانب الأيمن ، قال الأزهريّ : وهو غير صحيح عندي ، قال ابن الأنباريّ ما من شيء يفزع إلاّ مال إلى جانبه الأيمن لأنّ الدّابة إنّما تؤتى للحلب والركوب من الجانب الأيسر فتخاف منه فتفرّ من موضع المخافة و هو الجانب الأيسر إلى موضع الانس و هو الجانب الأيمن ، فلهذا قيل : الوحشيّ الجانب الأيمن انتهى .

و أقول : يرد في الخبر إشكال و هو أنّ الحلب والركوب من الجانب الأيمن

---

(۱) النهاية ۲ : ۲۱۷ .

لا اختصاص لهما بالابل فكيف صارا سببا لذمّ خصوص الابل ؟ والتكلّف الذي ارتكبه الجاحظ في غاية السماجة والركاكة إلاّ أن يقال : الركوب من بين الأنعام الثلاثة مختصّ بالابل ، والحلب وإن كان مشتركاً لكن قد تحلب الشاة بل البقرة أيضاً من جانب الخلف ، و أيضا فيهما من السهولة والبركة مايقاوم ذلك ، وقد يقال : يمكن أن يكون كون الخير «من الجانب الأشأم» كناية عن أنّ نفعها مشوب بضرر عظيم ، فانّ اليمن منسوب إلى اليمين والشوم منسوب إلى اليسار ، أو يكون الأشأم أفعل تفضيل من الشأمة ويكون الغرض موتها واستيصالها أي خيرها في عدمها مبالغة في قلّة نفعها كأنّ عدمها أنفع من وجودها .

٧ ـ الخصال : في الأربعمائة قال أمير المؤمنين عليه السلام : أفضل مايتّخذه الرجل في منزله لعياله الشاة فمن كانت في منزله شاة قدّست عليه الملائكة في كلّ يوم مرّة ومن كانت عنده شاتان قدّست عليه الملائكة مرّتين في كلّ يوم وكذلك في الثلاث يقول: بورك فيكم .[1]

٨ ـ العلل : عن محمّد بن موسى بن المتوكل ، عن عليّ بن الحسين السعد آباديّ عن أحمد بن أبي عبد الله البرقيّ عن أبيه عن محمّد بن يحيى عن حمّاد بن عثمان قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : إنّا نرى الدوابّ في بطون أيديها الرقعتين مثل الكيّ فمن أيّ شيء ذلك ؟ قال : ذلك موضع منخريه في بطن اُمّه ، و ابن آدم منتصب في بطن اُمّه ، و ذلك قول الله عزّ وجلّ :« لقد خلقنا الانسان في كبد »[2] و ماسوى ابن آدم فرأسه في دُبره و يداه بين يديه [3] .

---

(١) الخصال ٢: ٦١٧ ، رواه الصدوق باسناده عن أبيه عن سعد بن عبدالله عن محمد ابن عيسى عن القاسم بن يحيى عن جده الحسن بن راشد عن أبي بصير و محمد بن مسلم عن أبي عبدالله عن أبيه عن آبائه .

(٢) البلد : ٤ .

(٣) الخصال ٢ : ١٨١ طبعة قم .

الفقيه : عن أبيه عن سعد بن عبد الله والحميريّ جميعا ، عن يعقوب بن يزيد عن محمّد بن أبي عمير عن حماد مثله إلى قوله : موضع منخريه في بطن أمّه [۱] .

۹ ـ ثواب الأعمال : عن محمّد بن عليّ ماجيلويه عن عمّه محمّد بن أبي القاسم عن أحمد البرقيّ عن ابن محبوب عن محمّد بن مارد قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : ما من مؤمن يكون في منزله عنز حلوب إلّاقدّس أهل ذلك المنزل و بورك عليهم ، وان كانت اثنتين قدّسوا و بورك عليهم كلّ يوم مرّتين ، فقال بعض أصحابنا : و كيف يقدّسون ؟ قال : يقف عليهم ملك كلّ صباح و مساء فيقول : قدّستم و بورك عليكم و طبتم و طاب ادامكم ، فقلت له : ما معنى قدّستم قال : طهّرتم [۲] .

المحاسن : عن ابن محبوب مثله [۳] .

الكافي : عن محمّد بن يحيى عن أحمد بن محمّد بن عيسى عن ابن محبوب مثله [٤] .

بيان : العنز الأنثى من المعز .

۱۰ ـ المحاسن : عن أبيه عن هارون بن الجهم عن محمّد بن مسلم قال : كنت عند أبي عبدالله عليه السلام بمنى إذ أقبل أبو حنيفة على حمار له فاستأذن على أبي عبدالله عليه السلام فأذن له ، فلمّا جلس قال لأبي عبد الله عليه السلام : إنّي اُريد أن اُقايسك ، فقال له أبو عبدالله عليه السلام : ليس في دين الله قياس ، ولكن أسألك عن حمارك هذا فيم أمره ؟ قال : و عن أيّ أمره تسأل ؟ قال : أخبرني عن هاتين النكتتين اللتين بين يديه ماهما ؟ فقال أبوحنيفة : خلق في الدواب كخلق اُذنيك وأنفك في رأسك ، فقال له أبوعبدالله عليه السلام :

---

(۱) من لا يحضره الفقيه ۲ : ۱۸۹ (طبعة الاخوندى) فيه : قال : قلت له جعلت فداك نرى الدواب فى بطون ايديها مثل الرقمتين فى باطن يديها مثل الكى فاى شى هو ؟

(۲) ثواب الاعمال : ۹۳ و رواه فى الفقيه ۳ : ۲۲۰ عن الحسن بن محبوب عن محمد بن مارد باختلاف .

(۳) المحاسن : ۶۴۰ فيه اختلاف لفظى .

(۴) فروع الكافى ۶ : ۵۴۴ فيه : [يقف عليهم ملك فى كل صباح فيقول] وفيه اختلاف آخر .

خلق الله اُذني لأسمع بهما ، وخلق عيني لأبصر بهما ، و خلق أنفي لأجد به الرائحة الطيّبة والمنتنة ففيما خلق هذان ؟ وكيف نبت الشعر على جميع جسده ما خلا هذا الموضع ؟ فقال أبو حنيفة : سبحان الله أسألك [١] عن دين الله و تسألني عن مسائل الصّبيان ، فقام وخرج ، قال محمّد بن مسلم : فقلت له عليه السلام : جعلت فداك سألته عن أمر اُحبّ أن أعلمه ، فقال : يا محمّد إنّ الله تبارك و تعالى يقول في كتابه : « لقد خلقنا الانسان في كبد »[٢] يعني منتصبا في بطن اُمّه ، مقاديمه إلى مقاديم اُمّه ، ومواخيره إلى مواخير اُمّه ، غذاؤه ممّا تأكل اُمّه ، ويشرب ممّا تشرب اُمّه ، وتنسّمه تنسيما ، وميثاقه الذي أخذ الله عليه بين عينيه ، فاذا دنا ولادته أتاه ملك يسمّى الزاجر فيزجره فينقلب فتصير مقاديمه إلى مؤاخر اُمّه و مواخيره إلى مقدّم اُمه[٣] ليسهّل الله على المرأة والوالد أمره ، ويصيب ذلك جميع الناس إلّا إذا كان عاميا [٤] ، فاذا زجره فزع وانقلب ووقع إلى الارض باكيا من زجرة الزاجر ونسي الميثاق ، وإنّ الله خلق جميع البهائم في بطون اُمّهاتها منكوسة مقدّمها إلى مؤخر اُمّها ومؤخّرها إلى مقدّم اُمّها [٥] ، وهي تتربّص في الأرحام منكوسة ، قد اُدخل رأسها بين يديها ورجليها ، تأخذ الغذاء من اُمّها ، فاذا دنا ولادتها انسلّت انسلالا و امترقت من بطون اُمّهاتها ، و هاتان التي بين أيديها[٦] كلّها موضع أعينها في بطون اُمّهاتها ، و ما في عراقيبها موضع مناخيرها ، لاينبت عليه الشعر ، و هو للدواب كلّها ما خلا البعير فانّ عنقه طال فنفذ رأسه بين

---

(١) في المصدر : أتيتك أسألك .

(٢) البلد : ٤ .

(٣) في المصدر : الى مقاديم امه .

(٤) « « : عاتيا .

(٥) « « : منكوسين مقدمها الى مواخر امهاتها ومؤخرها الى مقدم امهاتها.

(٦) « « : انسلت انسلالا و موضع اعينها في بطون امهاتها و هاتان النكتتان اللتان بين أيديها .

قوائمه في بطن اُمّه[١].

بيان : « تنسّمه تنسيما » كأنّ المعنى : أنّ بنفسه ممّا تتنفّس به اُمّه يصل اليه أثر ذلك النسيم ، قوله : « إلاّ إذا كان عاميا » أي أعمى البصر أو أعمى القلب مخالفا ، و في بعض النسخ : «عانيا» بالنون ، أي إلاّ أن يقدّر الله تعالى أن يكون في عناء ومشقّة عليه و على اُمّه الولادة ، والأظهر أنّه كان في الأصل إلاّ إذا كان يتنا أو ميتونا بتقديم المثنّاة التحتانيّة على المثنّاة الفوقانيّة ثم النون ، قال في القاموس : اليتن أن تخرج رجلا المولود قبل يديه ، و قد خرج يتنا ، أيتنت و يتّنت و هي موتن و موتنة و هو ميتون ، و القياس موتن[٢].

و في النهاية : اليتن : الولد الذي تخرج رجلاه من بطن اُمّه قبل رأسه و قد أيتنت الاُمّ إذا جاءت به يتنا[٣]

و في القاموس : مرق السهم من الرمية مروقاً خرج من الجانب الآخر ، و كانت امرأة تغزو فحبلت فذكر لها الغزو فقالت : رويد الغزو يتمرّق أي أمهل الغزو حتّى يخرج الولد ، والامتراق : سرعة المروق[٤] .

ثمّ اعلم أنّ الخبر يشعر بأنّ الأنتصاب في الرحم الذي هو شأن الانسان أصعب و أشقّ من الهيئة التي عليها غيره فلذا فسّر عليه السلام به الآية.

١١ـ المحاسن : عن عليّ بن الحكم عن عمر بن أبان عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : الشاة نعم المال الشاة[٥].

بيان : كأنّ شاة الاُولى منصوبة على الاغراء و الاُخرى تأكيد و خبره محذوف و ليس في الكافي : الشاة الاُولى.

---

(١) المحاسن: ٣٠٤ و ٣٠٥ .

(٢) القاموس: اليتن.

(٣) النهاية ٤: ٣٨٠.

(٤) القاموس: مرق.

(٥) المحاسن : ٦٤٠.

١٢ـ المحاسن : عن الوشّاء عن إسحاق بن جعفر قال : قال لي أبو عبدالله عليه السلام: يا بنيّ اتخّذ الغنم ولا تتّخذ الابل[١].

١٣ـ و منه : عن النوفليّ عن السّكونيّ عن أبي عبدالله عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إذا كانت لأهل بيت شاة قدّستهم الملائكة[٢].

١٤ـ و منه : عن محمّد بن عليّ عن عبيس بن هشام عن عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إذا اتّخذ أهل البيت الشاة قدّستهم الملائكة كلّ يوم تقديسة ، قلت : كيف يقولون قال : يقولون : قدّستم قدّستم[٣].

١٥ـ قال : و في حديث آخر قال : إذا اتّخذ أهل البيت ثلاث شياة[٤].

١٦ـ و منه : عن أبيه عن سليمان الجعفريّ رفعه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من كانت في بيته شاة قدّستهم الملائكة تقديسة ، و انتقل عنهم الفقر منقلة[٥]، و من كانت في بيته شاتان قدّستهم الملائكة مرّتين ، وارتحل عنهم الفقر منقلتين ، فان كانت ثلاث شياة قدّستهم الملائكة ثلاث تقديسات و انتقل عنهم الفقر[٦].

بيان : و انتقل عنهم الفقر أي رأساً كما سيأتي[٧].

١٧ـ المحاسن : عن ابن أبي نجران وعثمان عن أبي جميلة عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لعمّته : ما يمنعك من أن تتّخذي في بيتك ببركة فقالت : يا رسول الله ما البركة ؟ فقال : شاة تحلب فانّه من كانت[٨] في داره شاة تحلب أو نعجة أو بقرة فبركات كلّهن[٩].

قال : و روى أبي عن أحمد بن النضر عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام[١٠].

(١ـ٤) المحاسن : ٤٦٠ .

(٥) في المصدر: منتقلة.

(٦) المحاسن: ٦٤٠.

(٧) سيأتي ذلك في الخبر ٢٠.

(٨) في الكافي : من كان.

(٩ـ١٠) المحاسن : ٦٤١.

الكافي : عن العدّة عن البرقيّ مثله إلى آخر الخبر بالسند الأوّل.[١]

بيان : كأنّ المراد بالشاة المعز أو النعجة الأنثى من الضأن ، و الشاة أعمّ من الضأن ، والمعز تطلق على الذكر و الأنثى كما ذكره الفيروزآبادي ، و في الكافي أو بقرة تحلب.

١٨ـ المحاسن : عن محمّد بن عليّ ، عن عبدالرّحمن بن أبي هاشم ، عن أبي خديجة ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على أمّ أيمن فقال : مالي لا أرى في بيتك البركة ؟ فقالت : أوليس في بيتي بركة ؟ قال : لست أعني لك[٢] ذاك شاة تتّخذيها تستغني ولدك من لبنها و تطعمين من سمنها و تصلّين في مربضها[٣].

بيان : لست أعني أي عدم البركة مطلقا ، لك أي بركة ، ذاك أي الذي قلت ، أولست أعني و أقول لك ، ذاك الذي فهمت هي شاة ، ولا يبعد أن يكون « ذلك » مكان «لك» .

١٩ـ المحاسن : عن أبيه عن نصر بن مزاحم عن حميد اللأّلي[٤] عن أمّ راشد مولاة أمّ هاني أنّ أمير المؤمنين صلوات الله عليه دخل على أمّ هاني ، فقالت أمّ هاني: قدّمي لأبي الحسن طعاما ، فقدّمت ما كان في البيت ، فقال : مالي لا أرى عندكم البركة ؟ فقالت أمّ هاني لأبي الحسن : أوليس هذا بركة ، فقال : لست أعني هذا إنّما أعني الشاة ، فقالت : ما لنا من شاة فأكل و استسقى[٥].

بيان : « فقالت أمّ هاني » أي لمولاتها أمّ راشد : فقدّمت على صيغة المتكلّم ، فأكل أي من سمنها ، و استسقى أي من لبنها .

---

(١) فروع الكافي ٦: ٥٤٥.

(٢) في نسخة: [اعني ذلك] و في اخرى : « اعني لك ذلك » و في المصدر : اعني ذلك ، ذاك شاة.

(٣) المحاسن: ٦٤١.

(٤) في نسخة: «السلامي» و في المصدر: الابي.

(٥) المحاسن: ٦٤١.

٢٠ـ المحاسن : عن محمّد بن عليّ ، عن عبيس بن هشام ، عن عبدالله بن سنان ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إذا اتّخذ أهل البيت[١] شاة آتاهم الله برزقها و زاد في أرزاقهم و ارتحل عنهم الفقر مرحلة ، فان اتّخذوا شاتين آتاهم الله بأرزاقها و زاد في أرزاقهم و ارتحل عنهم الفقر مرحلتين ، و إن اتّخذوا ثلاثا آتاهم الله بأرزاقها و زاد في أرزاقهم و ارتحل عنهم الفقر رأساً[٢].

الكافي : عن أبي عليّ الأشعري عن الحسن بن علي عن عبيس مثله[٣].

٢١ المحاسن : عن أبيه عن سليمان الجعفريّ رفعه إلى أبي عبدالله الحسين عليه السلام قال : ما من أهل بيت تروح عليهم ثلاثين شاة إلاّ نزل الملائكة[٤] تحرسهم حتّى يصبحوا[٥].

٢٢ ـ ومنه : عن بعض أصحابنا عن الفضل بن المبارك عن عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السّلام قال : من كانت في بيته شاة عيديّة[٦] ارتحل الفقر عنه منقلة ، ومن كانت في بيته اثنتان ارتحل عنه الفقر منقلتين ، و من كانت في بيته ثلاثة نفى الله عنهم الفقر[٧].

بيان : عيديّة في بعض النسخ بالياء المثنّاة و كأنّ المراد نجيبة ، قال الفيروزآباديّ : العيد بالكسر شجر جبلي و فحل معروف منه النجائب العيديّة ، ا. نسبته إلى العيدي بن الندعي ، أو إلى عاد بن عاد ، أو إلى بني عيد بن الآمري[٨] وفي

---

(١) في الكافي: أهل بيت.

(٢) المحاسن: ٦٤١ و ٦٤٢.

(٣) فروع الكافي ٦: ٥٤٤.

(٤) في المصدر: يروح عليهم ثلاثون شاة الا تنزل الملائكة.

(٥) المحاسن: ٦٤٢.

(٦) في نسخة، عبدية.

(٧) المحاسن: ٦٤٢.

(٨) القاموس: العود.

بعضها بالباء الموحّدة ، قال في القاموس : بنوالعبيد بطن ، وهوعبديّ كهذليّ وقال : العبدي نسبة إلى عبد القيس[١] وكأنّ شياههم كانت أحسن و أكثر لبناً.

٢٣ـ المحاسن : عن النهيكيّ و يعقوب بن يزيد عن العبديّ عن أبي وكيع عن أبي اسحاق عن عليّ عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : عليكم بالغنم و الحرث فانّهما يغدوان بخير ويروحان بخير[٢].

بيان ؛ كانّ الغدوّ و الرواح هنا كناية عن دوام المنفعة واستمرارها[٣] إذ في كثير من الأزمان لايعودان بخير لاسيّما في الحرث.

٢٤ ـ المحاسن: عن القاسم بن يحيى عن جدّه الحسن بن راشد عن محمّد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : من كانت في منزله شاة قدّست عليه الملائكة في كلّ يوم مرّة ، و من كانت اثنتين[٤] قدّست عليه الملائكة في كلّ يوم مرّتين ، وكذلك في الثلاثة ، ويقول الله : بورك فيكم[٥] .

٢٥ ـ و منه : عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن ابن سنان ، عن محمّد بن عجلان قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : ما من أهل بيت يكون عندهم شاة لبون إلاّ قدّسوا كلّ يوم مرّتين ، قلت و كيف يقال لهم ؟ قال : يقال لهم : بوركتم بوركتم[٦] .

الكافي : عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن ابن سنان عن ابن عجلان مثله[٧] .

---

(١) القاموس: العبد.

(٢) المحاسن: ٦٤٣.

(٣) في نسخة: و استقرارها.

(٤) في المصدر : و من كان عنده اثنتان .

(٥) المحاسن : ٦٤٣ .

(٦) » : ٦٤٣ .

(٧) الفروع ٦ : ٥٤٤ .

٢٦ ـ المحاسن : عن حمّاد بن عيسى عن حريز عن أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السّلام قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على أمّ سلمة فقال لها : مالي لا أرى في بيتك البركة ؟ قالت : بلى يا رسول الله والحمد لله إنّ البركة لفي بيتي ، فقال : إنّ الله أنزل ثلاث بركات : الماء والنار والشاة [١] .

الكافي : عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن حمّاد مثله [٢] .

بيان : إنّ البركة لفي بيتي : أي بسبب وجودك ، و في القاموس : البركة محرّكة : النماء والزيادة والسعادة ، و بارك على محمّد وآل محمّد : أدم له ما أعطيته من التشريف والكرامة ، والبركة بالكسر : الشاة الحلوبة ، والاثنان بركتان ، والجمع بركات انتهى [٣] ، و بركة النار لعلّها تحريص على إيقادها للطبخ في البيت فانّه يوجب البركة .

٢٧ ـ المحاسن : عن عليّ بن الحكم عن عمر بن أبان عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : الابل عزّ لأهلها [٤] .

٢٨ ـ ومنه : عن النهيكيّ و يعقوب يزيد عن أبي وكيع عن أبي إسحاق عن الحارث عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : وسئل [٥] عن الابل فقال : تلك أعنان الشياطين ، و يأتي خيرها من الجانب الأشأم ، قيل : إن سمع الناس هذا تركوها ، قال : إذا لا يعدمها الأشقياء الفجرة [٦] .

٢٩ ـ ومنه : عن الحجّال ، عن صفوان الجمّال قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : اشتر لي جملا وليكن أسود فانّها أطول شيء أعماراً ، ثمّ قال : لو يعلم الناس كنه حملان الله على

---

(١) المحاسن : ٦٤٣ .

(٢) فروع الكافي ٦ : ٥٤٥ .

(٣) القاموس : البركة .

(٤) المحاسن : ٦٣٥ .

(٥) في المصدر : وقد سئل

(٦) المحاسن : ٦٣٨ .

الضعيف ما غالوا ببهيمة [١] .

٣٠ ـ و في حديث آخر قال: قال أبو عبدالله عليه السلام : اشتر السود القباح منها فانّها أطول شيء أعماراً [٢] .

الكافي : عن العدّة ، عن أحمد بن محمّد ، عن الحجّال مثله إلى قوله : وخذه أشوه فانّه أطول شيء أعمارا ، فاشتريت له جملا بثمانين درهماً فأتيته به ، و في حديث آخر الخ [٣] .

بيان : في القاموس : شاه وجهه شوهاً و شوهةً : قبح كشوه كفرح فهو أشوه وشوّهه الله : قبّح وجهه ، وكمعظّم : القبيح الشكل [٤] .

٣١ ـ المحاسن : عن الحسن بن محبوب ، عن حسين [٥] بن عمر بن يزيد قال : اشتريت إبلا وأنا بالمدينة مقيم ، فأعجبني إعجاباً شديداً فدخلت على أبي عبدالله عليه السلام فذكرته فقال : و مالك و للابل ؟ أما علمت أنّها كثيرة المصائب ؟ قال : فمن إعجابي بها أكريتها وبعثت بها غلماني إلى الكوفة ، قال: فسقطت كلّها، فدخلت عليه فأخبرته فقال : « فليحذر [٦] الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذابٌ أليمٌ » [٧] .

الكافي : عن محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد ، عن ابن محبوب مثله ، إلاّ أنّ فيه : « عن أبيه قال : اشتريت » الى قوله : « فدخلت على أبي الحسن الأوّل عليه السلام فذكرتها له » إلى قوله : «فبعثت بها مع غلمان لي إلى الكوفة» [٨] .

(١و٢) المحاسن : ٦٣٩ .

(٣) فروع الكافى ٦ : ٥٤٣ .

(٤) القاموس : شاه .

(٥) فى المصدر : الحسين .

(٦) النور : ٦٣ .

(٧) المحاسن : ٦٣٩ .

(٨) فروع الكافى ٦ : ٥٤٣ .

بيان : الاستشهاد بالآية مبنيّ على أنّ قوله قول الله ، و مخالفة أمره مخالفة لأمر الله .

٣٢ ـ المحاسن : عن أبيه مرسلا ، عمّن ذكره عن أبي عبد الله عن أبيه عليهما السلام قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يتخطّى القطار ، قيل : يارسول الله و لم ؟ قال : لأنّه ليس من قطار إلاّ وما بين البعير إلى البعير شيطان [١] .

٣٣ ـ و منه : عن يعقوب بن يزيد و ابن أبي عمير عن ابن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال : كان عليّ بن الحسين عليه السلام ليبتاع الراحلة بمائة دينار و يكرم بها نفسه [٢] .

الكافي : عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير مثله [٣] .

بيان : يدلّ على استحباب ركوب الدابّة الفارهة والمغالاة في ثمنها لاكرام النفس عند النّاس .

٣٤ ـ البصائر والاختصاص : عن السندي بن محمّد البزّاز عن أبان بن عثمان عن عمرو بن صهبان عن عبد الله بن الفضل الهاشميّ عن جابر بن عبد الله قال : لمّا أقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من غزوة ذات الرقاع وهي غزوة بني ثعلبة [٤] من غطفان أقبل حتّى إذا كان قريبا من المدينة إذاً بعير قد أقبل من قبل البيوت حتّى انتهى [٥] إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فوضع جرانه إلى الأرض ثمّ جرجر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : هل تدرون ما يقول هذا البعير ؟ فقالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : فانّه أخبرني أنّ صاحبه عمل

---

(١) المحاسن : ٦٣٩ و رواه الكليني في الفروع ٦ : ٥٤٣ ولم يذكر : عن أبيه .

(٢) المحاسن : ٦٣٩ .

(٣) فروع الكافي ٦ : ٥٤٢ .

(٤) في المصدر : « بني ثعلبة » وهو الصحيح وهم بنو ثعلبة بن سعد بن قيس غزاهم رسول الله صلى الله عليه وآله سنة الرابع من الهجرة .

(٥) ما نقله المصنف من الحديث يوافق الفاظ الاختصاص ، و اما البصائر فيخالفه في الفاظ ففيه : « اذا بعير يرقل حتى انتهى » وفيه : ثم خرخر .

عليه حتّى إذا أكبره و أدبره وأهزله أراد نحره و بيع لحمه [۱] ، ثمّ قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : يا جابر اذهب به إلى صاحبه و ائتني به ، فقلت : لا أعرف صاحبه ، فقال : هو يدلّك عليه ، قال : فخرجت معه حتّى انتهيت إلى بني واقف فدخل في زقاق فاذا أنابمجلس فقالوا : يا جابر كيف تركت رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ وكيف تركت المسلمين ؟ قلت : هم صالحون ، ولكن أيّكم صاحب هذا البعير؟ فقال بعضهم: أنا ، فقلت : أجب رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال: مالي ؛ قلت : استعدى عليك بعيرك فجئت أنا والبعير و صاحبه [۲] إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال : إنّ بعيرك يخبرني أنّك عملت عليه حتّى إذا أكبرته وأدبرته وأهزلته أردت نحره و بيع لحمه ، فقال : قد كان ذلك يا رسول الله ، قال : فبعنيه [۳] قال : هو لك يا رسول الله ، قال صلى الله عليه وآله : بل [۴] بعنيه فاشتراه رسول الله صلى الله عليه وآله منه ، ثمّ ضرب على صفحته فتركه يرعى في ضواحي المدينة فكان الرجل منّا إذا أراد الروحة أو الغدوة منحه رسول الله صلى الله عليه وآله ، قال جابر : رأيته بعد و قد ذهب دبره وصلح [۵] .

بيان : أكبره أي جعله كبيراً في السنّ مجازاً ، أو وجده كبيراً ، و أدبره أي جعله ذا دبر و هو بالتحريك : قرحة الدابّة ، وضواحي المدينة : نواحيها ، و في القاموس منحه كمنعه و ضربه : أعطاه ، والاسم المنحة بالكسر ، ومنحه الناقة : جعل له وبرها ولبنها و ولدها ، وهي المنحة والمنيحة .

۳۵ ـ الاختصاص : عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، عن الحسين بن سعيد ومحمّد البرقي عن ابن أبي عمير ، عن حفص بن البختري ، عمّن ذكره عن أبي جعفر عليه السلام قال : لمّا مات عليّ بن الحسين عليه السلام جاءت ناقة له من الرّعى حتّى ضربت بجرانها القبر

(۱) في البصائر : اراد ان ينحره و يبيع لحمه .

(۲) في البصائر : فجئت انا وهو والبعير الى رسول الله صلى الله عليه وآله .

(۳) « « : بعه مني قال : بل هو .

(۴) « « : بل بعه مني .

(۵) بصائر الدرجات : ۱۰۱ لم يذكر فيه : (وصلح) الاختصاص : ۲۹۹ و ۳۰۰ .

و تمرّغت عليه ، إنّ أبي كان يحجّ عليها و يعتمر ولم يقرعها قرعة قطّ [١] .

٣٦ـ أصل من اُصول أصحابنا : عن هارون بن موسى عن محمّد بن عليّ عن محمّد ابن الحسين عن عليّ بن أسباط عن ابن فضّال عن الصّادق عن أبيه عن آبائه عليهم السلام عن النّبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : الشاة المنتجة [٢] بركة [٣] .

٣٧ ـ الكافي : عن محمّد بن أبي عبدالله ، عن محمّد بن الحسين ، عن محمّد بن سنان عن إسماعيل الجعفي و عبدالكريم بن عمرو وعبدالحميد بن ابي الديلم ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : حمل نوح عليه السلام في السفينة الأزواج الثمانية التي قال الله عزّ و جلّ « ثمانية ازواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين و من الابل اثنين ومن البقر اثنين » [٤] فكان من الضان اثنين ، زوج داجنة يربّيها الناس ، و الزوج الآخر الضان التي تكون في الجبال الوحشية اُحلّ لهم صيدها و من المعز اثنين زوج داجنة يربّيها الناس ، و الزوج الآخر الظبّاء [٥] التي تكون في المفاوز ، و من الابل اثنين البخاتي والعراب ، و من البقر اثنين زوج داجنة للناس ، و الزوج الآخر البقرة الوحشيّة ، وكلّ طير طيّب وحشيّ و انسيّ ثمّ غرقت الأرض [٦] .

الكافي : عن محمّد بن يحيى عن محمّد بن أحمد ، عن عليّ بن السنديّ عن محمّد بن عمرو بن سعيد عن رجل عن ابن أبي يعفور عن أبي جعفر عليه السلام قال : سمعته يقول : إيّاكم والابل الحمر فانّها أقصر الابل أعماراً [٧] .

---

(١) الاختصاص : ٣٠١ و رواه الصفار في البصائر : ١٠٣ باسناده عن احمد بن محمد عن البرقي و ابراهيم بن هاشم عن ابن ابي عمير .

(٢) في نسخة: المنيحة.

(٣) لم نجد ذلك الاصل .

(٤) الانعام : ١٤٣ و ١٤٤ .

(٥) في المصدر : الظبي .

(٦) روضة الكافي : ٢٨٣ و ٢٨٤ .

(٧) فروع الكافي ٦: ٥٤٣ و ٥٤٤ .

المكارم : مرسلا عن الصّادق عليه السلام مثله[۱] .

۳۹ـ الكافي : عن أبي عليّ الاشعريّ عن محمّد بن عبد الجبّار عن الحجّال ،عن صفوان الجمّال قال : قال أبوعبدالله عليه السلام : لويعلم الناس كنه حملان الله للضعيف ما غالوا ببهيمة[۲] .

بيان : في النهاية : كنه الأمر : حقيقته ، و قيل : وقته و قدره ، و قيل : غايته[۳] .

و قال : قال أبوموسى : أرسلني أصحابي إلى رسول الله صلى الله عليه و آله أسأله الحملان ، الحملان مصدر حمل يحمل حملاناً ، و ذلك أنّهم أنفذوه[٤] يطلب منه شيئاً يركبون عليه ، و منه تمام الحديث : قال النبيّ صلى الله عليه و آله : ما أنا حملتكم ولكنّ الله حمّلكم أراد إفراده تعالى بالمنّ عليهم ، و قيل : لمّا ساق الله إليه هذه الابل وقت حاجتهم كان هو الحامل لهم عليها ، و قيل : كان ناسيا ليمينه أنّه لايحملهم، فلمّا أمر لهم بالابل قال: ما أنا حملتكم ولكنّ الله حملكم،كما قال للصّائم الذي أفطر ناسيا:الله أطعمك وسقاك انتهى[٥] و الحاصل هنا أنّه تعالى لمّا كان هو المقوي للضعيف لحمل الثقيل نسب الحمل إليه سبحانه .

۴۰ـ الكافيّ : عن محمّد بن يحيى عن أحمد بن محمّد عن محمّد بن يحيى عن غياث بن إبراهيم عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه و آله : إنّ على ذروة كلّ بعير شيطاناً فامتهنوها لأنفسكم و ذلّلوها واذكروا اسم الله فانّما يحمل الله[٦] .

بيان : فامتهنوها اي ابتذلوها و استخدموها .

---

(۱) مكارم الاخلاق : ۱۳۸ .

(۲) فروع الكافي ۶: ۵۴۲.

(۳) النهاية ۴: ۳۸.

(۴) في المصدر: أرسلوه.

(۵) النهاية ۱: ۲۹۵.

(۶) فروع الكافي ۴: ۵۴۲.

٤١- الكافي : عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن الحكم عن أبي عبدالله عليه السلام قال : لو يعلم الحاجّ ماله من الحملان ما غالى أحد ببعير[١].

٤٢- و منه : عن الحسين بن محمّد عن معلّى بن محمّد عن الوشّاء عن عبدالله بن سنان قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : إنّ الله عزّ وجلّ اختار من كلّ شيء شيئاً اختار من الابل الناقة ، و من الغنم الضائنة[٢].

بيان : في القاموس : الضائن : خلاف الماعز من الغنم و الجمع ضأن و يحرّك ، و كأمير و هي ضائنة و الجمع ضوائن[٣].

٤٣- تفسير عليّ بن إبراهيم : عن أبيه عن إسحاق بن الهيثم عن سعد بن طريف عن الأصبغ قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصف حملة الكرسيّ :

أحدها في صورة الثور [٤] و هو سيد البهائم ولم يكن في هذه الصّور أحسن من الثور ولا أشدّ انتصابا منه حتّى اتّخذ الملأ من بني إسرائيل العجل ، فلمّا عكفوا عليه و عبدوه من دون الله خفض الملك الذي في صورة الثور رأسه استحياءً من الله أن عبد من دون الله شيء يشبهه ، و تخوّف[٥] أن ينزل به العذاب الخبر[٦].

٤٤- العلل: عن محمّد بن عمرو بن عليّ البصريّ عن إبراهيم بن حمّاد النهاوندي

---

(١) فروع الكافي: ٥٤٢.

(٢) فروع الكافي ٦: ٥٤٤.

(٣) القاموس: الضائن.

(٤) صدر الحديث هكذا: ان عليا عليه السلام سئل عن قول الله عز وجل: «وسع كرسيه السماوات والارض» قال: السماوات والارض و ما فيهما من مخلوق في جوف الكرسي و له اربعة املاك يحملونه باذن الله ، فاما ملك منهم في صورة الادميين و هي اكرم الصور على الله و هو يدعو الله و يتضرع اليه و يطلب الشفاعة و الرزق لبني آدم ، والملك الثاني في صورة الثور و هو سيد البهائم « الى ان قال : » ولم يكن.

(٥) في المصدر: من دون الله ما يشبهه و يخاف .

(٦) تفسير القمي: ٧٥ و ٧٦ و قد اسقط المصنف من وسط الحديث وآخره جمله .

عن أحمد بن محمّد المستنني[۱] عن موسى بن الحسن عن إبراهيم بن شريح الكندي عن معاوية بن وهب عن يحيى بن أيّوب عن جميل بن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أكرموا البقر فانّها سيّد البهائم ، ما رفعت طرفها إلى السّماء حياءً من الله عزّ وجلّ منذ عبد العجل[۲].

۴۵ ـ العيون والعلل : عن محمّد بن عمرو بن عليّ البصريّ عن محمّد بن عبدالله بن أحمد بن جبلة عن عبدالله بن أحمد بن عامر الطائي عن أبيه عن الرضا[۳] عن آبائه عليهم السّلام أنّه سأل[۴] رجل من أهل الشام أمير المؤمنين عليه السلام عن الثور ، ما باله غاضّ طرفه لا يرفع رأسه إلى السّماء ؟ قال : حياءً من الله عزّ وجلّ ، لمّا عبد قوم موسى العجل نكس رأسه ، وسأله ما بال الماعز مفرقعة الذنب بادية الحياء والعورة فقال : لأنّ الماعز عصت نوحا عليه السلام لمّا ادخلت[۵] السفينة فدفعها فكسر ذنبها ، والنعجة مستورة الحياء والعورة لأنّ النعجة بادرت بالدخول إلى السفينة فمسح نوح عليه السلام يده على حيائها و ذنبها فاستوت الأليّة[۶] .

بيان: تدلّ هذه الأخبار على أنّ الثور لم يكن قبل عبادة بني إسرائيل العجل على هذه الخلقة ولااستبعاد فيه ، و يمكن أن يقال : المراد لمّا علم الله أنّه سيعبد على هذه الخلقة ، و كذا القول في الماعز والنعجة ، ولكنّه بعيد .

۴۶ ـ المجازات النبويّة : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : وقد سئل عن الابل ، فقال :

---

(۱) في المصدر: «الستيتي» و ذكر اختلاف النسخ في هامشه راجع.

(۲) علل الشرائع ۲ : ۱۸۰ (طبعة قم) .

(۳) في المصدر : عن أبيه عن آبائه عن علي بن ابي طالب عليه السلام .

(۴) في العلل : انه سأله .

(۵) في المصدر : لما ادخلها .

(۶) علل الشرائع ۲ : ۱۸۰ و ۱۸۱ عيون الاخبار : ۱۳۴ و ۱۳۶ فيه : فاسترت بالالية .

أعنان الشياطين لاتقبل إلاّ مولّية ولا تدبر إلاّ مولّية ، ولا يأتي نفعها إلاّ من جانبها الأشأم .

قال السيّد الرضي رضي الله عنه : فقوله : أعنان الشياطين مجاز ، والأعنان : النواحي ، وقال بعضهم : الصحيح أنّ عنان الشيء نواحيه ، فالأوّل قول البصريّين والثاني قول الكوفيّين والمراد على القولين المبالغة في وصف الابل بالأخلاق السيّئة والطباع المستعصية فكأنّ الشياطين تنهاها وتأمرها [١] ، و ممّا يؤيّد ذلك قوله ﷺ : « الابل خلقت من الشياطين » وقوله : « إنّ على ذروة كلّ بعير شيطانا » ثمّ ذكر نحواً ممّا مرّ من كلام الزمخشري [٢] .

٤٧ ـ المجازات : قال ﷺ : « لاتسبّوا الابل فإنها رقوء الدم » وإنّما المراد أنّها إذا أعطيت في الديات كانت سببا لانقطاع الدماء المطلولة [٣] والثارات المطلوبة فشبّه عليه السلام تلك الحال بالعرق العائذ [٤] والدم السائل الذى إذا ترك لجّ واستنثر الدم ، وإذا عولج انقطع ورقأ ، و يروى : فانّ فيها رقوء الدم [٥] .

٤٨ ـ الدّر المنثور : عن زيد بن ثابت قال : امتنعت [٦] على نوح الماعزة أن تدخل السفينة فدفعها في ذنبها ، فمن ثمّ انكسر ذنبها فصار معقوفا و بداحياؤها و مضت النعجة حتّى دخلت فمسح على ذنبها فستر حياؤها [٧] .

بيان : عقفه كضربه : عطفه ، والحياء : الفرج من ذوات الخفّ والظلف والسّباع .

---

(١) فى المصدر : فكان الشياطين تختلها و تنفرها و تنهاها و تأمرها .

(٢) المجازات النبوية : ٢٩٠ (طبعة القاهرة) .

(٣) المطلولة : المسفوكة المراقة .

(٤) العرق العائذ : السائل الذى لاينقطع .

(٥) المجازات النبوية : ٣٢٧ .

(٦) فى المصدر : استصعبت .

(٧) الدر المنثور ٣ : ٣٢٩ و ٣٣٠ .

۴۹ ـ الدلائل للطبريّ : عن العبّاس بن معروف عن أبي الحسن الكرخي عن الحسن بن عمران عن زرعة عن سماعة عن أبي بصير قال : خرجت مع عليّ بن الحسين عليه السلام إلى مكّة فبلغنا الأبواء فاذا غنم و نعجة قد تخلّفت عن القطيع وهي تثغو ثغاء شديداً ، و تلتفت إلى سخلتها تثغو و تشتدّ في طلبها ، فكلّما قامت السخلة [1] ثغت النعجة فتتبعها السخلة ، فقال : يا أبا بصير تدري ما تقول النعجة لسخلتها ؟ فقلت : لا والله ما أدري ، فقال : إنّها تقول : الحقي بالغنم فانّ اُختك عام أوّل تخلّفت في هذا الموضع فأكلها الذئب [2] .

۳

﴿ باب ﴾

✿(البحيرة و اخواتها)✿

الآيات : المائدة «۵» : ما جعل الله من بحيرةٍ ولا سائبةٍ ولا وصيلةٍ ولاحامٍ ولكنّ الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون » ۱۰۳ .

تفسير : « ما جعل الله من بحيرة » قال الطبرسيّ رحمه الله : يريد ما حرّمها على ما حرّمها أهل الجاهليّة ولا أمر بها ، والبحيرة : هي الناقة التي كانت إذا نتجت خمسة أبطن وكان آخرها ذكرا بحروا اُذنها و امتنعوا من ركوبها ونحرها ولاتطرد عن ماء ولا تمنع من مرعى ، فاذا لقيها المعيي لم يركبها عن الزجّاج ، وقيل : إنّهم كانوا إذا نتجت الناقة خمسة أبطن نظروا في البطن الخامس فان كان ذكراً نحروه فأكله الرجال والنساء جميعا ، وإن كانت اُنثى شقّوا اُذنها ، فتلك البحيرة ثمّ لايجزّ لها وبر ولا يذكر عليها اسم الله إن ذكّيت ولا يحمل عليها ، و حرّم على النساء أن

---

(۱) في المصدر : فكلما لعبت السخلة .

(۲) دلائل الامامة : ۸۸ :

يذقن من لبنها شيئاً ولا أن ينتفعن بها ، وكان لبنها ومنافعها للرجال خاصّة دون النساء حتّى تموت ، فاذا ماتت اشترك الرجال والنساء في أكلها عن ابن عبّاس ، وقيل : إنّ البحيرة بنت السائبة عن محمّد بن إسحاق « ولا سائبة » وهي ما كانوا يسيّبونها فانّ الرجل إذا نذر لقدوم من سفر أو لبرء من علّة و ما أشبه ذلك فقال : ناقتي سائبة فكانت كالبحيرة في أن لا ينتفع بها وأن لا تخلأ عن ماء ولا تمنع من رعي عن الزجّاج وعلقمة [١] .

و قيل : هي التي تسيّب للأصنام أي تعتق لها ، و كان الرجل يسيّب من ماله ما يشاء فيجيء به إلى السّدنة وهم خدمة آلهتهم فيطعمون من لبنها أبناء السبيل و نحو ذلك عن ابن عبّاس وابن مسعود ، وقيل : إنّ السائبة هي الناقة إذا تابعت بين عشر إناث ليس فيهنّ ذكر سيّبت فلم يركبوها ولم يجزّوا وبرها ولا يشرب لبنها [٢] إلاّ ضيف فما نتجت بعد ذلك من أنثى شقّ أذنها ثمّ يخلّى سبيلها مع أمّها و هي البحيرة عن محمّد بن إسحاق ، « ولا وصيلة » وهي في الغنم كانت الشاة إذا ولدت أنثى فهي لهم وإذا ولدت ذكراً جعلوه لآلهتهم ، فان ولدت ذكراً وأنثى قالوا : وصلت أخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم عن الزجّاج ، و قيل : كانت الشاة إذا ولدت سبعة أبطن فان كان السّابع جديا ذبحوه لآلهتهم ولحمه للرجال دون النساء ، و إن كان عناقا استحيوها و كانت من عرض الغنم ، و إن ولدت في البطن السابع جديا وعناقاً قالوا : إنّ الأخت وصلت أخاها محرّمة علينا [٣] فحرما جميعا ، و كانت المنفعة واللبن للرّجال دون النّساء ، عن ابن مسعود و مقاتل ، و قيل : الوصيلة : الشاة إذا أتأمت عشر إناث في خمسة أبطن ليس فيها ذكر جعلت وصيلة فقالوا : قد وصلت فكان ما ولدت بعد ذلك للذكور دون الإناث ، عن محمّد بن إسحاق ، « ولا حامٍ » و هو الذكر من الابل ، كانت العرب إذا نتجت من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا : قد حمى

---

(١) في المصدر : عن الزجاج و هو قول علقمة .

(٢) « « : ولم يشرب لبنها .

(٣) « « : فحرمته علينا .

ظهره فلا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا من مرعى ، عن ابن عبّاس و ابن مسعود و غيرهما ، و قيل : إنّه الفحل إذا لقح ولد ولده قيل : حمى ظهره فلا يركب ، عن الفرّاء .

أعلم الله أنّه لم يحرّم من هذه الأشياء شيئا ، قال المفسّرون: روى ابن عبّاس عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّ عمرو بن لحيّ بن قمعة بن خندف كان قد ملك مكّة ، وكان أوّل من غيّر دين إسماعيل فاتّخذ الأصنام و نصب الأوثان و بحر البحيرة و سيّب السائبة و وصل الوصيلة و حمى الحامي ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : فلقد رأيته في النار تؤذي أهل النار ريح قصبه ، ويروى يجرّ قصبه في النار « ولكنّ الذين كفروا يفترون على الله الكذب » أي يكذبون على الله بادّعائهم أنّ هذه الأشياء من فعل الله أو أمره « وأكثرهم لا يعقلون » خصّ الأكثر بأنّهم لا يعقلون لأنّهم أتباع فهم لا يعقلون أنّ ذلك كذب و افتراء كما يعقله الرؤساء ، وقيل : إنّ معناه أنّ أكثرهم لا يعقلون ما حرّم عليهم و ما حلّل لهم يعني أنّ المعاند هو الأقلّ منهم [1] .

۱ ـ معاني الأخبار : عن أبيه عن محمّد بن يحيى العطّار عن محمّد بن أحمد بن يحيى عن العبّاس بن معروف عن صفوان بن يحيى عن ابن مسكان عن محمّد بن مسلم عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ : « ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام » [2] قال : إنّ أهل الجاهليّة كان إذا ولدت الناقة ولدين في بطن واحد قالوا : وصلت ، فلا يستحلّون ذبحها ولا أكلها وإذا ولدت عشراً جعلوها سائبة ولا يستحلّون ظهرها و أكلها و « الحام » فحل الابل لم يكونوا يستحلّونه ، فأنزل الله عزّ وجلّ أنّه لم يكن يحرّم شيأ من ذا [3] .

العيّاشي : عن محمّد بن مسلم مثله [4] .

---

(۱) مجمع البيان ۳ : ۲۵۲ و ۲۵۳ .

(۲) المائدة : ۱۰۳ .

(۳) معاني الاخبار : ۱۴۸ فيه : من ذلك .

(۴) تفسير العياشي ۱ : ۳۴۷ فيه : ان الله لم يحرم شيئا من هذا .

٢ ـ المعاني : وقدروي أنّ البحيرة الناقة إذا نتجت خمسة أبطن فان كان الخامس ذكراً نحروه فأكله الرجال والنساء ، وإن كان الخامس اُنثى بحروا اُذنها ، أي شقّوه وكانت حراما على النساء والرجال لحمها ولبنها ، فاذا ماتت حلّت للنساء ، والسائبة : البعيرة يسيّب بنذر يكون على الرجل إن سلّمه الله عزّ وجلّ من مرض أو بلّغه منزله أن يفعل ذلك ، والوصيلة من الغنم كان إذا ولدت الشاة سبعة أبطن فان كان السابع ذكراً ذبح و أكل منه الرجال والنساء ، و إن كانت اُنثى تركت في الغنم ، و إن كان ذكراً و اُنثى قالوا : وصلت أخاها ، فلم تذبح وكان لحومها حراما على النساء إلاّ أن يكون يموت منها شيء فيحلّ أكلها للرجال والنساء ، والحام : الفحل إذا ركب ولد ولده قالوا : حمى ظهره ، و قد يروى أنّ الحام هو من الابل إذا نتج عشرة أبطن قالوا : قد حمى ظهره فلا يركب ولا يمنع من كلاء ولا ماء [١] .

٣ ـ العيّاشي : عن عمّار بن أبي الأحوص قال : قال أبوعبدالله عليه السلام : البحيرة إذا ولدت ولد ولدها بحرت [٢] .

٤ ـ تفسير عليّ بن إبراهيم : و أمّا قوله : « ما جعل الله من بحيرة ولاسائبة ولا وصيلة ولا حام » فإنّ البحيرة كانت إذا وضعت الشاة خمسة أبطن ففي السّادسة قالت العرب : قد بحرت ، فجعلوها للصنم ولا تمنع ماء ولا مرعى ، والوصيلة : إذا وضعت الشاة خمسة أبطن ثمّ وضعت في السادسة جديا و عناقاً في بطن واحد جعلوا الاُنثى للصنم و قالوا : وصلت أخاها ، و حرّموا لحمها على النساء ، والحام : كان إذا كان الفحل من الابل جدّ الجدّ قالوا : حمى ظهره و سمّوه حام ، فلا يركب ولا يمنع ماء ولا مرعى ولا يحمل عليه شيء ، فردّ الله عليهم فقال : « ما جعل الله من بحيرة » إلى قوله : « و أكثرهم لا يعقلون » [٣] .

---

(١) معاني الاخبار : ١٣٨ .

(٢) تفسير العياشي ١ : ٣٣٨ .

(٣) تفسير القمي : ١٧٥ .

٤

﴿ باب ﴾

✿(نادر في ركوب الزوامل والجلالات)✿

١ ـ المكارم : نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن الابل الجلّالة أن يؤكل لحومها ، وأن يشرب لبنها ، ولا يحمل عليهاالأدم ، ولا يركبها الناس حتّى تعلّفت أربعين ليلة [١].

بيان : سيأتي حكم أكل لحوم الجلّالات وشرب ألبانها ، و أمّا النهي عن ركوبها والحمل عليها فكأنّه على الكراهية ، و إنّما ذكر الأصحاب كراهة الحجّ على الابل الجلّالة ، قال في المنتهى : يكره الحجّ والعمرة على الابل الجلّالات ، و هي التي تتغذّى بعذرة الانسان خاصّة لأنّها محرّمة فيكره الحجّ عليها ، و يدلّ عليه ما رواه الشيخ [٢] عن إسحاق بن عمّار عن جعفر عن أبيه عليهما السلام أنّ عليّا عليه السلام قال : يكره الحجّ والعمرة على الابل الجلّالات .

٢ ـ معاني الاخبار : عن محمّد بن موسى بن المتوكّل عن محمّد بن يحيى العطّار عن محمّد بن الحسين بن أبي الخطّاب عن محمّد بن سنان عن المفضّل بن عمر عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من ركب زاملة ثمّ وقع منها فمات دخل النار [٣] .

الفقيه : باسناده عن محمّد بن سنان مثله [٤] .

قال الصدوق رحمه الله فيهما: معنى ذلك أنّ الناس كانوا يركبون الزوامل فاذا أراد أحدهم النزول وقع من زاملته من غير أن يتعلّق بشيء من الرحل ، فنهوا عن

---

(١) مكارم الاخلاق : ١٣٨ .

(٢) رواه الشيخ في التهذيب ج ١ : ٥٧٢ والكليني في الكافي ١ : ٣١٣ . والصدوق في من لا يحضره الفقيه ٢ : ٣٠٧ .

(٣) معاني الاخبار : ٢٢٣ طبعة الغفاري .

(٤) من لا يحضره الفقيه ٢ : ٣٠٩ .

ذلك لئلاّ يسقط أحدهم متعمّداً فيموت فيكون قاتل نفسه و يستوجب بذلك دخول النار . وليس هذا الحديث ينهى عن ركوب الزوامل ، و إنّما هو نهي عن الوقوع منها من غير أن يتعلّق بالرحل ، و الحديث الذي روي : « أنّ من ركب زاملة فليوص » فليس ذلك أيضاً بنهي عن ركوب الزاملة ، إنّماهو الأمر بالوصيّة كماقيل: « من خرج في حجّ أو جهاد فليوص » و ليس ذلك بنهي عن الحجّ والجهاد ، وماكان الناس يركبون إلاّ الزوامل ، و إنّما المحامل محدثة لم تعرف فيما مضى [1] .

بيان : في النهاية : الزاملة : البعير الذي يحمل عليه الطعام والمتاع كأنّه فاعلة من الزمل : الحمل .

و قال الوالد قدّس سرّه : الظاهر كراهة الركوب عليها مع القدرة على غيرها لما فيه من التعرّض للضرر غالبا كما هو شائع أنّه قلّما يركبها أحد ولم يسقط منها ، و ذكر بعضهم أنّ وجه النهي أنّه استأجرها لحمل المتاع فلا يجوز الركوب عليها بغير رضى المكاريّ ، لكن يأباه الخبر الثاني ، والظاهر أنّ المراد به الجمال الصعبة التي لم تذلّل بعد ، و قوله رحمه الله : « إنّما المحامل محدثة » لعلّه أراد أنّ شيوعها محدثة ، و إن كان فيه أيضا كلام ، إذ ذكر المحمل في الأخبار كثير .

(١) معانى الاخبار : ٢٢٣ (طبعة الغفارى) .

٥

باب

(آداب الحلب و الرعي و فيه بعض النوادر)

١ ـ معاني الأخبار : عن محمد بن هارون الزنجاني عن علي بن عبد العزيز عن أبي عبيد القاسم بن سلام رفعه أن رجلا حلب عند النبي صلى الله عليه و آله ناقة فقال النبي صلى الله عليه و آله : دع داعي اللبن .

يقول : أبق في الضرع شيئاً لا تستوعبه كله في الحلب فان الذي تبقيه به يدعو ما فوقه من اللبن و ينزله [١] ، و إذا استقصى كل ما في الضرع أبطأ عليه الدر بعد ذلك [٢] .

بيان : قال في النهاية : فيه انه أمر ضرار بن الأزور أن يحلب له ناقة ، و قال له : دع داعي اللبن لا تجهده . أي ابق في الضرع قليلا من اللبن [٣] وذكر نحو ذلك .

و في المجازات النبوية : و من ذلك قوله عليه السلام لرجل حلب ناقة : دع داعي اللبن ، قال السيد : هذه استعارة ، والمراد أمره أن يبقي في خلف الناقة [٤] شيئاً من لبنها من غير أن يستفرغ جميعه لأن ما يبقى منه يستنزل عفافتها [٥] و يستجم درتها فكأنه يدعو بقية اللبن اليه و يكون كالمثابة له و اذا استنفد الحالب ما في الخلف أبطأ غزره [٦] و قلص درته [٧] .

---

(١) في نسخة من المصدر : و يدر له .

(٢) معاني الاخبار : ٢٨٤ .

(٣) النهاية ٢ : ٢٥ .

(٤) خلف الناقة بكسر الخاء و سكون اللام : ثديها .

(٥) العفافة : بقية اللبن في الضرع بعد ما حلب اكثره و يستجم درتها اى يكثر ادرارها و انزالها اللبن .

(٦) الغزر : الكثرة ، و قلص : قل ، والدر : نزول اللبن في الضرع .

(٧) المجازات النبوية : ٢٥٠ طبعة القاهرة .